الجمهـــــــــورية الجزائرية الديمقراطية الشعبيـــــــــة.

وزارة التعليم العالي والبحث العـــلمي.

جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي.

عنـــــوان الأطروحة :

الحُـــــــــــروف العَربيَّـــــــــــة

دراسة في تطوُّرها والعلاقة بين الصَّوت والرَّسم والمَعْنى

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في اللغة العربية.

إعداد الطـــالبة: إشراف الأستاذ الدكتور:

هنـاء سعداني أحمـد جلايـلي

أعضاء لجنة المناقشة:

- الأستاذ الدكتور: أحمد بلخضر، جامعة قاصدي مربـــاح ورقلـــــة رئيـــــسا.
- الأستاذ الدكتور: أحمد جلايلي، المركز الجامعي بالنعامـــــــــــة مقـــــررا.
- الدكتور: يحي بوتردين، جامعة غردايـــــــــــــــــــــــة.عضوا مناقشا.
- الدكتور:الطـــــاهـر لوصيـف، المركـــــز الجـــــامعي بتيبازة.عضوا مناقشا.
- الدكتور: محمد سعيدي، جامعة مستغـــــــــــــــــــــانم عضوا مناقشا .
- الدكتور: لبـوخ بوجمليـــن، جامعة قاصدي مربـــاح ورقلـــــة . عضوا مناقشا .

السنة الجامعية : 2013/2012 م.

الجمهـــــــورية الجزائرية الديمقراطية الشعبيـــــــة.

وزارة التعليم العالي والبحث العـــلمي.

جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي.

عنـــــوان الأطروحة:

الحُـــــــــــروف العَربيّـــــــــــة

دراسة في تطوُّرها والعلاقة بين الصَّوت والرَّسم والمَعْنى

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في اللغة العربية.

إعداد الطـــــالبة: إشراف الأستاذ الدكتور:

هنـاء سعداني أحمد جلايلي

أعضاء لجنة المناقشة:

- الأستاذ الدكتور: أحمد بلخضر، جامعة ورقلـــــــــــــــــــة رئيـــــسا.
- الأستاذ الدكتور: أحمد جلايلي، المركز الجامعي بالنعامـــــــــــة مشـــــرفا.
- الدكتور: يحي بوتردين، جامعة غردايـــــــــــــــــــــة.عضوا مناقشا.
- الدكتور:الطـــــــاهر لوصيـف، المركـــــز الجـــــــامعي بتيبازة.عضوا مناقشا.
- الدكتور: محمد سعيدي، جامعة مستغـــــــــــــــــــــانم عضوا مناقشا .
- الدكتور: لبوخ بوجملين، جامعة ورقلـــــــــــــــــــــــة عضوا مناقشا .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الإهـــــــــداء:

أهدي عملي المتواضع هذا

إلى والدي الغالي الذي أضاء دربي، وعلمني الصبر، ومهد لي صعاب طريق العلم. . .

إلى والدتي الحنون التي تساندني في كل شؤون الحياة، وتزرع في المحبة والقوة. . .

إلى رفيق دربي الذي حضن معي كل المتاعب، بكل الرفق والأناة.

إلى صغاري منبع الجمال: نور الإحسان، عبد المعز عثمان، ريحان، محمد عبد اللطيف.

إلى روح أخي الغالي محمد، الذي لم يتأخر قط عن أفراحي العلمية، وفاء له ، أهدي لروحه عملي هذا.

إلى كل إخوتي، سندي في هذه الحياة. . .

شكر وعرفـــــــان:

أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان والتقدير إلى مشرفي الفاضل: الأستاذ الدكتور:

أحمد جلايلي،

ماذا أقول وهذا اليوم أمدحكم عذرا إليكم فقد عيَت قوافينـــا

ماذا أجازيك فضلا يا أستاذنـــا يرعـاك ربي ودمتم مفخرا فـينـــا

كما أتوجه بخالص الشكر إلى الأساتذة الأفاضل الذين لم يتركوا سبيلا إلا واتخذوه ليدعموني ويدفعوا بي قدما: د عادل محلو، أ مليك جوادي، د أحمد زغب، أد بو بكر حسيني.

إلى أخي وأستاذي العزيز سليم، فقد كان مصدر دعم مادي ومعنوي لا ينضب.

إلى الشيخ عبد الباقي مفتاح الذي أعانني بالكثير من المصادر والمراجع، له خالص الشكر والعرفان.

إلى أُخيَّة صديقة جاد الزمان بها: أ/ حياة عبيد، فقد عاشت معي كل لحظات البحث، وزرعت الابتسامة في حياتي. وأ/ عقيلة قرورو، التي كانت بدورها مصدر إلهام لي.

إلى كل زميلاتي بالعمل اللاتي شكلن بطيبتهن أسرة مهنية رائعة.

لكم جميعا كل الشكر والعرفان

المُقَدِّمَـــــة:

المقدمـــــــــــة:

اهتمَّت الدراسات اللغوية بالحرف العربي منذ القدم، لكنها تعاملت معه تارة على أنه يضم ثنائية الصوت اللغوي ورسمه، وتارة أخرى على أنه الصوت اللغوي فقط، ومن ثمَّ نجد هذه الدراسات في مجملها تسلّط الضوء إما على جانب الحرف النطقي، أو تهتم بتاريخ رسمه أي تاريخ الكتابة أو الخط، فلا أحد اليوم ينكر أن للحرف وجهين يعرف بهما، هما: الصوت والرسم.

كما أن عنصرا ثالثا في تشكيلة الحرف العربي توفر عند البعض منهم، وهو جانب المعنى، إلا أن هذا الأخير لم يؤمن به الجميع، فقليلون هم من آمنوا بأن للصوت اللغوي المفرد معنى يختص به، وفي الواقع كل من اتبع هذا الاعتقاد بنى كلامه على دلالة الصوت في الكلمة وليس بالاعتماد على الصوت مفردا، فجل النظريات الحديثة التي تعتني بالفونيم (الحرف) ترى أنه أصغر وحدة صوتية لا تحمل معنى بذاتها، ورغم ذلك يبقى الحرف العربي في تاريخ دراسته متكونا من عناصر ثلاثة هي: الصوت، الرسم، والمعنى.

لكن إذا كان البعض من الدارسين لم ينكر الصلة القوية بين الصوت والمعنى، فلماذا لم تطرح إمكانية تواجد صلة أيضا بين الصوت والرسم؟، فتُثْبت قوة العلاقة بينهما، وتؤكد أن اختصاص صوت برسم دون غيره، سببه ما بينهما من انسجام، بحيث يمكن أن يجسد الرسم الصوت، كما أمكن بنظر البعض للصوت أن يجسد المعنى.

لطالما شغلت هذه الفكرة بالنا ورغبنا دوما في البحث فيها، وعند محاولتنا الاقتراب منها وجدنا أنفسنا أما فريق جديد غير اللغويين، هم المتصوفة الذين أشاروا بأشكال شتى إلى قيمة الحرف رسما وصوتا، في مجالات غير علم الأصوات أو الصرف أو النحو، هذه الفروع التي عهدناها تعتني بالحرف العربي واستخداماته.

فزادت رغبتنا في الموضوع، وقررنا البحث في هذه الثلاثية مجتمعة، برؤية جديدة تضم الفكر اللغوي والفكر الصوفي، خاصة عند الحديث عن معاني الحرف العربي وأسراره، فكان عنوان بحثنا:

"الحروف العربية ، دراسة في تطورها والعلاقة بين الصوت والرسم والمعنى."

وقد قوى صلتنا بالموضوع وعزز محبتنا له منن إلهية رسخت فينا منذ الصغر، فقد استيقظت أناملنا، منذ دبت الحركة فيها، على يد أب معلم لقننا أصول كتابة الحرف، بقواعد الخط العربي، هذا أثناء تحفيظه لنا سور القرآن الكريم رفقة كتابة حروفه وفق الرسم العثماني، تارة بالدواة وأخرى بالطبشور، ثم تعودت آذاننا على تمييز النوطات الموسيقية على يد الأب المعلم نفسه، حين كان يدربنا على النشيد والقصيد، فجمعنا متعة رسم الحرف ولذة سماع الصوت.

ثم دعم الجانب المهني ذلك أيضا، من خلال سنوات تدريسنا مقياس علم الأصوات، ومشاركة الطلبة تحسس الأصوات مخرجا وصفة، ثم عشرة زوج تغذى بفكر ابن عربي أكبر شيوخ المتصوفة الذين اهتموا بالحرف وأسراره.

هكذا اكتملت عناصر حياة بحثنا، وهي التي ساعدتنا على تجاوز كثير من صعوبات الدراسة، من مراجع صعب بلوغها، ومفاهيم صوفية معقدة، تحتاج كثيرا من الصبر لفك رموزها.

وعند النظر إلى الدراسات العربية السابقة المتعلقة بالحرف العربي نجد محاولات للبحث في جوانبه متفرقة، دون الاهتمام بالعلاقة بين الصوت و الرسم و المعنى، ككتاب: استخدامات الحروف العربية معجميا، صوتيا، صرفيا، نحويا، كتابيا، لسليمان فياض. إلا أننا نجد في :أسرار الحروف (أصول اللغة العربية) لأحمد زرقة عناية خاصة بعناصر الحرف لكنه بدوره لم يعالج العلاقة بين الرسم و الصوت.

ولأن جوانب الحرف تأخذنا لعلوم عدة تنوعت المصادر والمراجع في بحثنا، فضمت: فقه اللغة وعلم الأصوات، وتاريخ الكتابة، وعلم الدلالة، والتصوف، فكان منها: العين للخليل، والكتاب لسيبويه، وسر صناعة الإعراب لابن جني، وصبح الأعشى للقلقشندي، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري، وأسباب حدوث الحروف لابن سينا، وفقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي، وتاريخ الخط العربي لصلاح الدين المنجد، وانتشار الخط العربي لعبد الفتاح عبادة، وحياة اللغة العربية لحفنى ناصف، وفن الخط العربي لعفيف البهنسي، ومقدمة لدرس لغة العرب للعلايلي، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس والصوتيات اللغوية لعبد الغفار حامد هلال، وخصائص الحروف العربية ومعانيها لحسن عباس، والفتوحات المكية لابن عربي ورسالة الحروف لابن مسرة ومثلها لسهل التستري... وذكرنا هذه العناوين ليس على سبيل التخصيص كونها الأهم، بل هي بعض المصادر والمراجع المهمة.

وقد توزعت المناهج في عملنا كالآتي: بني الفصل الأول على أساس المنهج التاريخي بشكل عام، فهو يتتبع تطور الحرف العربي عبر التاريخ، أما الثاني فقد تأسس على المنهج الوصفي والمقارن، حيث يوصف الصوت وتحلل طريقة حدوثه ثم تقارن برسمه، وأخيرا كان المقارن منهجا لمادة الفصل الثالث، إذ تُقدم فيه معاني الحروف عند اللغويين والمتصوفة.ثم نعلق عليها بناء على اهتمام الفريقين بها.

وقد كانت الخطة لبسط هذا الموضوع كالآتي:

مقدمة، حول مجال البحث، وظروف كتابته، وخطته ومنهجها، ليقسم بعدها متن البحث إلى **تمهيد** تليه فصول ثلاثة، **الفصل الأول**: والذي عنوناه بـ: تطور الحرف العربي، يبتدئ بتوطئة، تتبعها جملة من العناصر كانت أساسية للإحاطة بالحرف والجوانب النظرية المتعلقة به، وهي على التوالي:

*أصول الخط العربي، *العرب والكتابة قبل الإسلام، *الشكل النهائي للحروف العربية، * بين الحرف والصوت، *الصّوت اللّغوي:(جهازه، مخارجه، صفاته)، *أسرار الحرف عند المتصوفة. وقد أنهيناه بخلاصة توجز أفكاره بشكل عام.

يليه **الفصل الثاني**، وهو بعنوان: علاقة صوت الحرف برسمه، تقدمت عناصره توطئة تتحدث عن علاقة الصوت بالرسم بصورة عامة عند العرب وغيرهم من الأمم، ثم خصصنا لكل صوت عنصرا، وفيه نتابعه صوتيا ونربط علاقة هيئة حدوثه بالرسم الذي أُختير له بعد مراحل صقل متتالية، و استعنا لإيصال فكرتنا بجملة من الأشكال تساعد على تصور عناصر الانسجام. وقد رُتبت الأصوات في هذا الفصل وفق ما وصلنا إليه من روابط بين الحروف رسما، معتمدين على الترتيب الألفبائي كقاعدة لذلك، كونه أول ترتيب يراعي علاقة الحروف فيما بينها رسما، فكانت نتيجة المزاوجة بين ترتيب الحروف بناء على نتائجنا ومنهج الألفباء في الترتيب كالآتي: ء – ب – ت – ث – ي – ف – ج – ح – ع – خ – غ – د – ذ – ر – ز – س – ش – ص – ض – ط – ظ – ق – ك – ل – ن – م – هـ – و، وقد أردفناه بخلاصة توجز فكرته العامة.

و**فصل ثالث**، لمعاني الحرف العربي عند اللغويين والمتصوفة، هنا عرضنا ما أمكننا جمعه من معان للحروف العربية بين الفكرين اللغوي والصوفي، ورتبنا الحروف فيه وفق مخارج الأصوات، لأن مكان الصوت يؤثر في معنى الحرف في بعض الأحيان.

إذ رتبت الحروف فيه: ء (أ)، هـ، ع، ح، خ، غ، ق، ك، ض، ش، ج، ي، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و، وقد كان هذا الترتيب الذي اختاره ابن عربي للحروف في فتوحاته المكية.

وحُددت معاني كل حرف عند اللغويين والمتصوفة في عنصر خاص بها وفق هذا الترتيب. ليختم الفصل بخلاصة توجز ما فيه.

ثم خاتمة للفصول الثلاثة، ضمت أهم ما توصلنا إليه بخصوص علاقة الصوت بالرسم وبعض الملاحظات العامة التي سجلناها أثناء البحث.

فقائمة للمصادر والمراجع وفهارس: للجداول والأشكال، والموضوعات.

ولا يسعنا أخيرا سوى التقدم لمشرفنا الفاضل الدكتور أحمد جلايلي بفائق التقدير، وعظيم الشكر، فقد رافق بحثنا وصبر على مسيرتنا البطيئة، ولم يثبط عزيمتنا وسمح لنا ببسط فكرتنا رغم ما تحمله من مجازفة علمية.و الحمد لله الذي أجزل العطاء وخصنا بفضل مجاورة أهل العلم، فنسأله ألا يحرمنا هذا ما حيينا، ويجمعنا بهم دنيا وآخرة.

الطالبة: هناء سعراني

قمار الوادي

2012/04/25.

تَمْهِيـــــــد :

تمهيـــــــــد :

خلق الله الإنسان بين عاملين، الضرورة التي تسوقه إلى البحث، والنور الطبيعي الذي يدُلُّه على أسرار الطبيعة ويهديه إلى ما يساعده في حفظ ذاته ودوام نوعه[1]، فقد "قضى الإنسان قرونا متطاولة يأكل وبشرب، ويلبس وينام ويتكلم لكنه لا يكتب "[2]، حتى دعت الضرورة إلى الكتابة كي يتواصل مع رفيقه وجاره، ويسجل ذكرياته.

فالكتابة حروف وهياكل، تنقل الكلام من الميدان المسموع إلى الميدان المنظور، أي تنقل ما هو سمعي إلى ما هو بصري[3] .

أي أن الإنسان عند نشأته لم يتلقن أصول الكلام وفق الأصول القاعدية التي تلقن بها اللّغات في المدارس، بل إنه يتلقن في الواقع الجرس المنسجم مع الإشارة التي يرغب من خلالها في التعبير عن خياله الفطري[4].

" إن الكتابة إذا قورنت بالاختراعات الإنسانية الأخرى، تعتبر حديثة عهد بالوجود، ومبدأ الكتابة لا يوصف بالحداثة فحسب إذا قورن بغيره، بل إن انتشاره من أماكن ظهوره في مصر والعراق والصين إلى الأماكن الأخرى قد حدث في غضون العصر التاريخي"[5]، إذ أن

---

[1] يراجع: جرجي زيدان . الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، (ط:1، بيروت، لبنان:دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م.)، ص : 173.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] يراجع: طالب عبد الرحمن، نحو تقويم جديد للكتابة العربية، (ط:1، الدوحة:وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999م)، ص:49، 50 .

[4] يراجع: عفيف البهنسي، فن الخط العربي، (ط:2، دمشق، سورية:دار الفكر، بيروت، لبنان:دار الفكر المعاصر، 1999م.) ص :18.

[5] ADGAR, H. Sturtevant, An introduction to linguistic. Science (new haven Yule university press. Landon. Geoffrey Cumberlege. Oxford university Press) P: 19.

الكتابة لم تكن في القديم أمرا شائعا، بل ما تزال آلاف اللّغات في عالمنا المعاصر منطوقة لا يكتبها أهلها .[1]

فالإنسان قبل أن يكتب الرُّموز الأبجدية ليدلّ بها على الأصوات، كان يرسم الصور ليدلّ بها على الأفكار، ومن القبائل البدائية من يستخدم الصور هذا الاستخدام حتى اليوم.[2]

والكتابة عموما هي رسم خاص يقابل كل وحدة موصوفة في المنطوق بمعناها وشكلها.[3] وهي ما يطلق عليه الخطّ أيضا، وهو صور كانت مخطوطة عند الأقوام بقدر عدد حروف لغتهم، ثم اختصروا تلك الصور مع مرور الأيام حتى صارت علامات لا تدلُّ إلَّا على أصوات الحروف.[4]

" وليست الصور الشكلية، وقد تدرجت من رسم الشكل ذاته إلى صور هيروغليفية أوإلى رموز، إلا الكتابة ذاتها التي خضعت فيما بعد إلى مخارج الحروف، فكانت هجائية أوغاريت بداية التركيب اللغوي القاعدي. "[5]

وتعد الكتابة أو"الخط من الصناعات المدنية التي تقوى بقوة الحضارة وتضعف بضعفها وتنعدم بانعدامها "[6]، ولقد سارت الخطوط الإنسانية مسيرة تطورية هادئة حتى بلغت شكلها الحالي، ويمكن تقسيم هذه المسيرة إلى مراحل أو أدوار[7] . منهم من جعلها ثلاثة ومنهم من جعلها أربعة .[8]

---

[1] يراجع: محمود فهمي حجازي، علم اللّغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات والسامية، (القاهرة:دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دت.)، ص : 151.

[2] يراجع: تمام حسَّان . اللُّغة بين المعيارية والوصفية، (المغرب: الشركة الجديدية، دار الثقافة، دت.)، ص : 135.

[3] يراجع: أندريه مارتنيه، وظيفة الألسن وديناميتها، تر: نادر سراج، (ط:1؛بيروت، لبنان:دار المنتخب العربي، 1996م.)، ص:121.

[4] يراجع: حفني ناصف، حياة اللغة العربية، (ط:1، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.) ص : 48.

[5] عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص 18.

[6] حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 36.

[7] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها ؛ جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص : 174 ؛ تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص : 135؛ ويراجع : حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، ، ص : 122، 123.

[8] يوجد من يقسمها إلى ثلاثة أدوار فقط أو مراحل، فحسن ظاظا مثلا يعد منها: التصويرية، المقطعية والأبجدية .

ومع هذا الاختلاف في العدد إلا أن أغلب الدارسين يتفق على تقسيم أدوار الكتابة قبل اختراع الأبجدية إلى الأدوار التالية:

1. الدَّور الصوري الذاتي، أوالصوري المادي[1]:

" وهو أبسط الأدوار لأنه قاصر على تصوير الحادثة كما وقعت تمامًا، ولا فائدة منه إلا في الحوادث المؤلفة مما يقبل التَّصوير " [2].

فإذا أرادوا أن يدلوا على معنى الأسد رسموا صورة أسد، وإذا قصدوا الدَّلالة على معنى المعبد رسموه...[3] لكن الكتابة بهذه الطريقة ناقصة، لأن من المدلولات ما لا صورة له (مادية)، كالخوف، والحزن والفرح، والنسب الكلامية التي تتصور بين الموضوع والمحمول [4]، فهنا دعت الحاجة للدور الثاني.

2. الدور الصوري الرمزي، أو الصوري المعنوي[5]:

بدأت الصور شيئا فشيئا تتخذ شكلا عرفيا على حسب مستواها الفني[6]. فللتعبير عن النهار ترسم شمس في أعلى الدائرة، وللمحبة حمامة، وللبغض حيَّة [7]... " فكانت الكتابة في هذا الدور تتألف من صور ماديات للدلالة عليها، وماديات أخرى للدلالة على ملزوماتها من المعاني، وذلك مُشاهد كثيرا في الرسوم المصرية القديمة "[8].

= يراجع : اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، (ط :2؛ دمشق، دار القلم، بيروت : الدار الشامية، 1990 م)، ص : 127، 129 . وهو تقسيم . فندريس في كتابه: اللغة، تع : عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص (د د، د ت)، ص : 385، 402.

[1] يطلق عليه جرجي زيدان، (الذاتي)، أما حفنى ناصف فيطلق عليه: (المادي).

[2] جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص : 174.

[3] يراجع: حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، (ط:1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2007م.) ، ص: 122.

[4] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] يطلق عليه : زيدان اسم (الرمزي)، أما حفنى ناصف فيسميه بـ : (المعنوي).

[6] يراجع: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص : 135.

[7] يراجع: جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص : 174.

[8] حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 48؛ ويراجع: حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، ص : 122

ويقدم جرجي زيدان مثالا، وهو أن أناسا جاؤوا قَبيلةً بحرًا، وبعد مسيرتهم ثلاثة أيام نزلوا الشاطئ ليلا، وشيخ القبيلة غائب فأراد أحد أتباعه إبلاغه ذلك كتابة، فرسم له :

الشكل:1 نموذج كتابة الإنسان في الدور الصوري[1].

ويمكن بهذه الطريقة التعبير عن أكثر حاجيات الإنسان[2]

3. الدور الصوري المقطعي، الصوري الحرفي [3]:

" بدأت الصور فيه تكتسب قيمة صوتية، فأصبحت تمثل مقطعا في الكلام، يتفق مع الكلمة القصيرة التي كانت الصورة تدل عليها قبل هذا التطور " [4]، وهذا معناه أن الإنسان في هذه المرحلة اهتدى إلى اتِّخاذ صورة الشيء للدلالة على أول مقطع من اسمه كاستخدام رسم السفينة للدلالة على السين المفتوحة، أو صورة العدوّ للدلالة على أول مقطع من (عَدو) وهو العين المفتوحة [5].

وتعتبر هذه "أهم خطوة في اختراع الكتابة لأن بها تتحول الأشكال الصّورية من الدلالة على أسمائها كاملة إلى الدلالة على أول مقطع من مقاطعها "[6].

---

[1] يراجع: جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص:174.
[2] يراجع: المرجع نفسه، ص : 175.
[3] يسميه جرجي زيدان : (المقطعي)، وحفنى :(الحرفي).
[4] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص : 136.
[5] يراجع: جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص : 176 ؛ يراجع:حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، ص : 123.
[6] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أما الدور الأخير في تطور الكتابة فهو :

4. الدور الصوري الهجائي، أو الصوري الحرفي الصرف [1]:

فقد كان "في رسم هذه الحيوانات والنباتات مشقة تحول دون انتشار الكتابة وتداولها، على أن يد الإنسان ميَّالة إلى التنويع التماسا للسرعة واقتصادا في الوقت، فلا يلبث رسم الرجل المسلَّح أن يتحول إلى شكل يشبهه، ثم يبعد الشبه كثيرا حتى لا يعرف لذلك الشكل شبه مع بقاء دلالته الأصلية."[2]

ثم اهتدى الإنسان بعد ذلك إلى اختراع الحركات، فبدلا من أن يدل الشكل الواحد على المقطع الواحد وهو حرف وحركة معا، يدل على الحرف فقط، ويأتي بما يدل على الحركة أويقوم مقامها .[3]

هكذا إنتقل الإنسان من التعبير البدائي بالصور إلى التعبير بالرموز الكتابية، واستطاع أن يضبطَ بذلك رسما ثابتا لكل صوت لغوي يستخدمه في تواصله، وسنرى في فصلنا الأول كيف تطور الخط العربي ليبلغ الصورة التي نعرفه عليها اليوم.

---

[1] يسمي جرجي زيدان هذا النوع : (الهجائي)، ويطلق عليه حفنى ناصف : (الحرفي الصِّرف).
[2] جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص : 176 .
[3] يراجع: المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

الفصل الأول:

تطور الحرف العربي.

الفصل الأول :

تطـــــور الحرف العربـي:

توطئة :

I. أصول الخط العربي.

II. العرب والكتابة قبل الإسلام.

III. الشكل النهائي للحروف العربية:

أ) وضع الشكل (نقط الإعراب).

ب)وضع الإعجام (نقط الإعجام).

ج) الشكل بطريقة الحروف الصغيرة.

IV. بين الحرف والصوت:

V. الصّوت اللّغوي، جهازه، مخارجه، صفاته :

VI. أسرار الحرف عند المتصوفة:

الخلاصة :

توطئــة:

عرفت اللغة الملفوظة قفزة نوعية يوم عرفت الانتقال من الرسوم المادية للأشياء والإشارات المرئية أو المحسَّة إلى الرموز الصوتية المجردة التي لا ينبغي أن تتجاوز في كل الحالات عدد المخارج الصوتية لدى الإنسان[1].

والخطوط الإنسانية قُسِّمت على هذا الأساس التطوري إلى فرعية وأصلية، أما الأصلية فهي التي تمُّر بالأدوار التي رأيناها لتطور الكتابة الإنسانية، ثم يتفرع عنها ما يسمى الخطوط الفرعية [2].

والخطوط أو الأقلام الأصلية أربعة، وهي:الخط المسماري، الخط الحيثي، الخط الصيني، الخط الهيروغليفي.

أما ما يعنينا في دراستنا فهما الخطان : المسماري والهيروغليفي، فقد ساعدا في نشأة الخط العربي.

أ) الخط الهيروغليفي:

يعد من أهم الأقلام الأصلية[3]، وقد تفرع منه أكثر الخطوط المستعملة في آسيا وإفريقيا وأوروبا[4]. ابتكره المصريون القدماء، وتطور فيما بعد إلى الكتابة المقطعيَّة . [5]

---

[1] يراجع: عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي، (الجزائر:دار هومة، 2003م.)، ص : 92.

[2] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 48، 49 .

[3] يراجع: جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص : 178.

[4] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 49.

[5] يراجع: نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، تق: عبده الراجحي، (ط:1، الاسكندرية: دار الوفاء، 2006م.)، ص : 37.

وقد ظهرت الأبجدية الهيروغليفية في وادي النيل حوالي سنة 3200 قبل الميلاد.[1] وقيل 3100 قبل الميلاد.[2] ويرى العلماء أن المصريين لم يلجئوا إلى طريقة مقاطع الكلمات كما جاء في الخط المسماري، بل عمدوا إلى تبسيط الصُّور المرسومة وجعلوا أجزاءها قواعد أساسية للكتابة، بحيث تدل على الشيء الذي يريدون الإشارة إليه، والتعريف به ثم اعتمدت كتابة أخرى متصلة الحروف أبسط منها[3]، وقد بقي المصريون أزمانا متطاولة يكتبون بهذا القلم، الذي تفرع منه قلمان استخدموهما معه، وهما الهيراتي والديموطيقي [4]. ونرى في الجدول (1) تطوره .

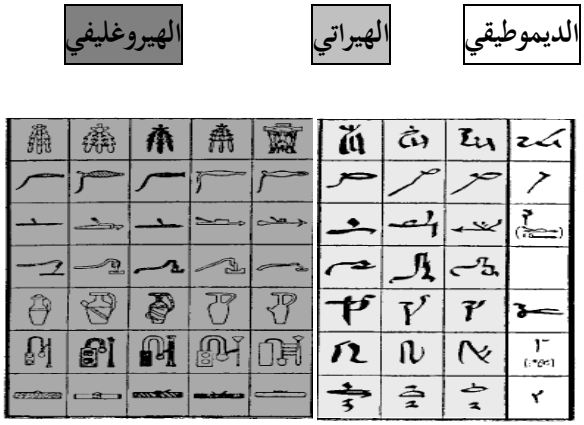

الجدول:01 – أنواع الخط الهيروغليفي[5].

والخط الهيروغليفي أصل أكثر الخطوط المشهورة، والأرجح أن الفضل في نقل هذه الخطوط وتفريقها في العالم راجع إلى الفينيقيين سكان سواحل سورية، فقد عاصروا الفراعنة القدماء، أثناء تنقلهم للاتِّجار [6]. وهم من جمع بين الكنعانية والهيروغليفية [7]. أما ما انتهت إليه الكتابة الهيروغليفية من رموز فهو الآتي:

---

[1] يراجع: ناجي زين الدين، مصور الخط العربي، (ط:3، بغداد:مكتبة النهضة، بيروت:دار القلم، 1980م.)، ص : 297.
[2] Josiane Boutet. Langage et societe,(paris,France:mémo seuil,1997), P : 10.
[3] يراجع: ناجي زين الدين، مصور الخط العربي، ص : 197.
[4] يراجع: جرجي زيدان، الفسفة اللغوية، ص : 179؛ وحفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 54، 55 .
[5] Steven Roger fisher, A History of Writing, ,(London,published byreqktion books ltd,2001).P: 43.

[6] يراجع: جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص : 179 ؛ حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 54، 55.
[7] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 55.

Sign	Transcription/Meaning	Sound
	ȝ / vulture	glottal stop
	i / flowering reed	I
	y / two flowering reeds	Y
	y / oblique strokes	Y
	ʿ / forearm and hand	Semitic *ʿayin*
	w / quail chick	W
	w / cursive for	W
	b / foot	B
	p / mat	P
	f / horned viper	F
	m / mat	M
	n / water	N
	r / mouth	R
	ḥ / reed shelter	H
	ḥ / twisted flax	H (slightly gutteral)
	ḫ / sieve (?)	KH (as in Scottish *loch*)
	ḫ / animal's belly	KH (soft)
	s / door bolt	S
	ś / folded cloth	S
	š / pool	SH
	ḳ / hill	Q
	k / basket with handle	K
	g / jar stand (?)	G
	t / loaf	T
	ṯ / tethering rope	CH (as in *chin*)
	d / hand	D
	ḏ / snake	J

الجدول:02 – الحرف الهيروغليفي، معناه والصوت الذي يوازيه.[1]

ب)الخط المسماري:

" هو وسيلة من وسائل التدوين، ابتكرها السومريون وقلدهم غيرهم، فكتبوا بها لغاتهم المتباينة"[2]، وقد" أخذ الساميون عن السومريين الخط المسماري، واستخدموه في تدوين لغاتهم الأكادية "[3].

[1] Steven Royer Fisher, A History of Writing, P: 40.

[2] محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، ص : 152.

[3] علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، (دط، دار نهضة مصر للطبع والنشر، دت.) ص : 30.

وقد كانت الكتابة المسمارية صورية رمزية ثم أصبحت مقطعية حتى القرن الأول ق م. وفيها حوالي 100 إشارة صوتية[1].

سميت هذه الكتابة بالمسمارية لأن أشكال رموزها تشبه المسمار وتشطب به [2]، وتطبع العلامات على ألواح طينية [3]. " ولا يشير المسمار أو مجموع المسامير أبدا إلى صوت حرف مباشرة، وإنما وضعه مع غيره يدلُّ على معنى ومن ثم على المجموعة الصَّوتية التي تحمل هذا المعنى. وبذلك صار كتابة تصويرية، تمثل المعاني المفردة أي معاني الكلمات باصطلاح خاص "[4].

فالكتابة المسمارية تقوم عموما على أساس صوتي، فالكلمة تنقسم إلى مقاطع ولكل مقطع رمز يكتب به [5]. وبذلك يختلف أساس الخط المسماري عن الأساس الذي يقوم عليه الخط الهيروغليفي الذي كتبت به نفس الفترة الزمنية اللغة المصرية القديمة [6].

وانتشر الخط المسماري على يد الأكاديين الساميين الذين تسلموا الحكم 2350 ق م [7]، وهم خلاصة اختلاط السومريين بالساميين، ولغتهم بدورها كانت خلاصة اختلاط لغة الشعبين معا .

فقد كانت لغة الساميين الوافدين من شمال بابل أول الأمر منطوقة غير مكتوبة. وساد في هذه الفترة ازدواج لغوي بين السامية والسومرية فأصبحت هذه اللغة الجديدة تعرف

---

[1] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، (ط:3، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2003م.)، ص : 76.

[2] يراجع: عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 26.

[3] أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 75 ؛ ويراجع: عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي (فقه اللغة العربية)، (ط:1، عمان، الأردن:دار أسامة للنشر، 2004م.)، ص :100

[4] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، (د ط، الجزائر، موفم للنشر، 2007 م).، ص:51.

[5] يراجع: محمود فهمي حجازي، علم اللغة، ص : 153. وقد مرت قبل هذا بمرحلة كان الرسم فيها معنويا بحتا، أي تشير رموزه إلى معان لا إلى أصوات فقد كانت ترمز بـ : النجم (☜) إلى كلمة الدالة على (السماء)، يراجع:علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص : 30، 31.

[6] يراجع: محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، ص : 153.

[7] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 30، 31.

بالأكادية القديمة [1] وهي مكتوبة بالخط المسماري السومري [2]. وعرف أصحابها بالأكاديين الذين لم يظنوا يوما أن"لغتهم المنطوقة يمكن أن تدوَّن وتتحول إلى ظاهرة مرئية" [3].

وكان هذا الخط بذلك من أول الخطوط التي عرفتها البشرية في العهود القديمة، ويمكننا أن نرى صورته من خلال هذا الشكل :

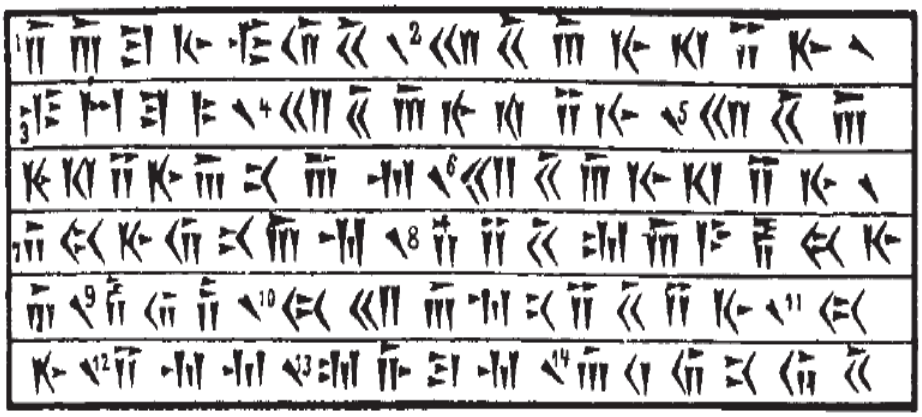

الشكل :2 – الكتابة المسمارية[4].

فالخطان : الهيروغليفي والمسماري هما من أهم الخطوط بالنسبة لنا لأنهما معا يشكلان الجذور الفعلية للخط العربي.

و سنرى ذلك من خلال عناصر فصلنا هذا.

[1] الأكادية، نسبة إلى أكَّد وهي أول مدينة سكنها الساميون.
[2] يراجع: علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة : ص : 30، 31 . ومحمود فهمي حجازي، علم اللغة، ص : 152.
[3] يراجع:محمود فهمي حجازي، علم اللغة، ص : 152.
[4] Steven Royer Fisher, A History of Writing,p:57.

I. أصول الخط العربي:

" لقد كان الرسمان المسماري والهيروغليفي يشيران أحيانا إلى الأصوات، لكنهما بقيا ضمن الأسلوب الصوري الرمزي، ولم يصلا إلى الكتابة اللفظية الحرفية " [1]، رغم أن الخط الهيروغليفي كانت له علامات ترمز إلى أصوات مفردة، كصورة الشفتين مثلا فقد كانت ترمز أحيانا إلى صوت الراء المجردة، كما نرمز في العربية له بـ: (ر) . وهذه العلامات في الهيروغليفية تبلغ 24 رمزا، تدل على الأصوات الساكنة (غير اللَّينة)، أي أنه كان في استطاعة المصريين أن يتركوا أسلوب الرسم المعنوي ويُنشئوا رسما هجائيا بحتا، يعتمد على هذه الرموز الأربعة والعشرين لكنهم لم يفعلوا [2].

بعد هذه المرحلة ظهر في بلاد الكنعانيين ما يعرف بـ : الرسم السامي الهجائي، وقد اشتقت منه جميع الخطوط السامية. وهو رسم هجائي صرف يرمز كل حرف فيه إلى صوت مفرد [3]. وقد انقسم إلى :

1. شمالي : ضمته اللغة الأوغريتية
2. متوسط : ضمته اللغة الفينيقية .
3. جنوبي : ضمته اللغة العبرية والمؤابية.

لقد كان الساميون في بلاد كنعان أوَّل من اخترع هذا الرسم واستخدمه ولا ينفي هذا أن يكون مخترعوه قد ألموا بين الخط الهيروغليفي والمسماري، وقد اقتضت حياتهم الترحالية التجارية هذا الأسلوب للتواصل الأسهل والأسرع [4].

---

[1] أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 75؛ علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص : 35.
[2] يراجع:علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة العربية، ص : 35.
[3] يراجع:المرجع نفسه، الصفحة نفسها ؛ أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 75.
[4] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص: 77؛ وعفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 27.

كما" أبانت النقوش التي اكتُشِفت في سرابيط الخادم (سيناء)، والتي ترجع إلى عام 1850 ق م، أن ثمة رابطة بين الكتابة الديموطيقية المصرية والكتابة الكنعانية التي هي آخر تطورات الكتابة المسمارية "[1].

1. الكنعانية الشمالية (الأوغريتية) :

اعتقد المؤرخون لمدة طويلة أن المدونات الفينيقية التي تعود إلى القرنين العاشر والحادي عشر ق م هي الأقدم [2]. لكن اكتشفت خلال القرن (20) مجموعة كبيرة من النقوش الأوغرتية لم تعرف قبل هذا التاريخ [3].

ففي عام 1947 م عثر دشيفير (Sheffear) في مدينة أوغاريت (رأس شمرة) قرب اللاذقية على رقيم صغير الحجم يحتوي عددا من الصِّيغ المسمارية وعددها ثلاثون شكلا، تبين له بعد الدراسة والتدقيق أن هذه الأشكال المسمارية ما هي إلَّا حروف أبجدية لم يعرف لها نظير[4].

ومن هذه الرموز الثلاثين (30) اثنان وعشرون (22) رمزا تتفق مع الفينيقية، ويدل هذا على أن مخترعي هذه الأبجدية كانوا على معرفة بالأبجدية الفينيقية أو أنهما فرعان من خط أقدم منها عهدا [5].

لقد كتب الأكاديون برموز مسمارية يدل كل منها بصفة عامة على مقطع، لذا كانت هناك حاجة إلى استخدام مئات الرموز، ولكن الأوغرتيين كتبوا برموز قليلة لا تتجاوز(30)،

---

[1] البهنسي، فن الخط العربي، ص : 25.
[2] أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 78.
[3] يراجع: حجازي، علم اللغة العربية، ص : 158. يراجع: عبد الكريم مجاهد، علم اللسان، ص : 108.
[4] يراجع: البهنسي، فن الخط العربي، ص : 26.
[5] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة، ص : 78 .

أي أنهم بسَّطوا نظام الكتابة، ولقد عبر الأوغرتيون عن كل صوت من أصوات اللغة بحرف واحد، لذا كانت الحروف بعدد الوحدات الصوتية الموجودة في لغتهم [1].

رغم كون الأوغرتية أول كتابة أبجدية إلَّا أنها في الوقت نفسه مختلفة عن الكتابة الأكادية، لأن هذه الأخيرة كانت تدون الحركات، فالرمز المقطعي كان يدل على الصامت والحركة، لذلك يمكن التعرف على البنية الصوتية للحركات الأكادية على نحو أفضل من معرفتنا بالأوغرتية [2].

لكن الملاحظ أن الأوغرتيين جعلوا للهمزة المفتوحة ثم للهمزة المضمومة، ثم للهمزة المكسورة رموزًا مختلفة، وهذا القصور في تدوين الهمزة أصبح ميراثا تتناقله كل الكتابات السامية الأبجدية بعد ذلك [3].

والواقع أنه لا يوجد عدد من الحروف أومن عناصر الكلام، محدَّد تحديدا مطلقا، فلبعض الشعوب حروف أكثر من غيرها، وذلك حسب اللغات، وحسب التعديلات التي تدخل على حروفها؛ صوامتها وصوائتها[4].

---

[1] يراجع: محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، ص : 159.
[2] يراجع: المرجع نفسه، ص : 159، 160.
[3] المرجع نفسه، ص : 159.
[4] جان جاك روسو، محاولة في أصل اللغات، تح : محمد محجوب، نقد : عبد السلام المسدي، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، الدار التونسية للنشر، 1986 م)، ص : 43.

ويمكننا ملاحظة الرموز الأوغريتية من خلال هذا الجدول :

Character	Transcription	Character	Transcription
𐎀	ȧ	𐎓	d
𐎁	b	𐎔	n
𐎂	g	𐎕	ẓ
𐎃	ḫ	𐎖	s
𐎄	d	𐎗	ʿ
𐎅	h	𐎘	p
𐎆	w	𐎙	ṣ
𐎇	z	𐎚	q
𐎈	ḥ	𐎛	r
𐎉	ṭ	𐎜	ṯ
𐎊	y	𐎝	ǵ
𐎋	k	𐎞	t
𐎌	š	𐎟	ʾi
𐎍	l	𐎠	ʾu
𐎎	m	𐎡	ṡ

الجدول:03 الحروف اللأوغريتية وما يوازيها من كتابة صوتية.[1]

2. الكنعانية المتوسطة (الخط الفينيقي) :

انتشرت حروف الهجاء الفينيقية منذ الألف الأول قبل الميلاد، ومنها تفرعت جميع حروف الهجاء التي استخدمتها الإنسانية فيما بعد [2]، " أما توصل الفينيقيين إلى تلك الحروف، فكان بالاقتباس والتحسين وليس بالاختراع . " [3]

" وهي أبجدية كاملة تكاد تنطبق على الأحرف الأبجدية المعاصرة ... وشكل هذه الحروف يقترب من أصل الحرف اللين العربي، مبتعدا عن الأشكال المسمارية القاسية . " [4]

---

[1] Roger D. Woodard, The Ancient Languages of Syria – Palestine and Arabia,(Cumberlege university, Press:2008), P : 8.

[2] يراجع: علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص : 36؛ جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص : 179؛ أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 78.

[3] جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص : 180.

[4] عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 26.

ويمكن أن نلحظ الرموز الفينيقية من خلال هذا الجدول:

Character	Transcription	Character	Transcription
𐤀	ʾ	𐤋	l
𐤁	b	𐤌	m
𐤂	g	𐤍	n
𐤃	d	𐤎	s
𐤄	h	𐤏	ʿ
𐤅	w	𐤐	p
𐤆	z	𐤑	ṣ
𐤇	ḥ	𐤒	q
𐤈	ṭ	𐤓	r
𐤉	y	𐤔	š
𐤊	k	𐤕	t

الجدول:04 رموز الكتابة الفينيقية.[1]

" وليس من شك في أن الفينيقيين قد حاكوا في أسلوبهم هذا بعض ما كان يشمل عليه الخط الهيروغليفي من صور هجائية، بل ثبت أنهم نقلوا من هذا الخط ثلاثة عشر حرفا[2] من حروفهم البالغة اثنين وعشرين حرفا " [3].

وقد وصلت الكتابة الفينيقية : كنعان الساحلية وآسية الصغرى، وبلاد الرافدين، ومصر واليونان وقبرص وروس ومالطة وسردينية [4]، و" يطلق على اللغة الفينيقية في امتدادها في المغرب اسم اللغة البونية " [5].

وتعد الكتابة الأبجدية الفينيقية امتدادا مباشرا للأبجدية الإغريقية ... فقد احتفظ الفينيقيون بفكرة النظام الأبجدي، غير أنهم عدَّلوا أشكال الحروف، لتصبح سهلة الكتابة، وحافظوا على نفس ترتيب الإغريقيين [6].

---

[1] Roger D. Woodard, The Ancient Languages of Syria – Palestine and Arabia, P : 85.

[2] وهناك من يرى بأنهم نقلوا (15) حرفا، يراجع: حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص :04.
[3] علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص : 36.
[4] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها ؛ يراجع: عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص : 109.
[5] محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، ص : 162.
[6] يراجع: المرجع نفسه، ص : 163.

والفينيقية تدون الحروف الصحيحة (الصوامت)، (Consonnes) وتغفل تدوين حروف العلة (الصوائت)، (Voyelles) [1]، وهذا يجعلنا لا نتصور كيفية نطق الفينيقيين لها [2].

ثم أخذ اليونان حروفهم عن الفينيقيين. لكنهم وجدوا مجموعة منها عبرت عند الفينيقيين عن أصوات الحلق وأصبحت بالنسبة لهم دون فائدة، فأدخلوا تحديدا منهجيا على الخط بأن استخدموا مجموعة الحروف المذكورة للدلالة على الحركات في سياق الكلمة [3]. "ولم يكتف اليونانيون بتبني أحرف الفينيقين، فقد تبنوا أيضا اتجاه السطر عندهم، فقد كتبوا في البداية مثلهم من اليمين إلى اليسار [4].

3. الكنعانية الجنوبية: وتنقسم إلى خطين هما:

أ) الخط العبري :

اشتق الرسم العبري القديم من الفينيقية [5] و" تتألف حروفه من اثنين وعشرين حرفا، ترمز إلى اثنين وعشرين صوتا ساكنا، ويكتب من اليمين إلى الشمال متفرق الحروف ماعدا الألف واللَّام فترسمان متَّصلتين " [6]، وكان يستعمل من أقدم الأزمنة إلى عهد السبي البابلي، ثم استبدل اليهود بهذا الرسم رسما آخر يشبه الآرامي [7]، أوينحدر منه ويعرف بالمربع، وكان اليهود قديما متأثرين بالخطوط السامية، لا يكتبون الحركات المعروفة الآن، بل كانوا يدونون حروفا مجردة من الحركات [8]. و" في هذه الفترة كان العهد القديم يتلى بعد أن يحفظ فلم تكن كتابته كاملة، بل كان النص المكتوب، يذكر القارئ بالنطق " [9]، ثم أخذوا يستعملون بعض

---

[1] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 80.
[2] يراجع: المرجع نفسه، ص : 80.
[3] يراجع: المرجع نفسه، ص : 163، 164.
[4] جان جاك روسو، محاولة في أصل اللغات، ص :43.
[5] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 80.
[6] علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص : 53، 54.
[7] يراجع: حجازي، فقه اللغة العربية، ص : 167؛ قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية ص : 80؛ عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص : 115.
[8] يراجع:أحمد محمد قدور، فقه اللغة العربية، ص : 80، 81.
[9] محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، ص : 168.

الحروف كعلامات للحركات لضبط النطق، فاستعملوا الألف والهاء والواو، والياء ولكن اليهود بعد أن تعرضوا للتشتت، خشوا على لغتهم من الزوال، فعمل رجال الماسورا[1]، على ضبط النص العبري، واعتمدوا على طريقة السريان في ضبط الخط السرياني[2].ويمكن أن نلاحظ صورة الخط العبري، وكيف تطور حتى أخذ صورته النهائية، من خلال هذا الجدول:

الجدول:05-تطور الخط العبري .[3]

[1] وهم الكتبة الذين أخذوا على عاتقهم تحديد نسخة موحدة للعهد القديم وتشكيلها لحسم الخلافات، والماسورا اصطلاحا تعني: التقليد.
[2] يراجع:محمود فهمي حجازي، علم اللغة، ص : 168. وعلي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص : 54، 56.
[3] Steven Roger Fisher, A History of writing, P : 96.

ب)–المؤابية :وهي من اللهجات الكنعانية الجنوبية، وتتمثل في :

- الخط الآرامي (الكتابة الآرامية) :

أخذ الآراميون عن الفينيقيين دون إضافة، " بل إن الآرامي في أقدم أشكاله لا يكاد يختلف عن الرسم الفينيقي " [1].

لقد لعبت الكتابة الآرامية دورا مهما جدا في الشرق القديم منذ نهاية العصر الآشوري[2]. وأهم ما يميز الآرامية القديمة عن اللهجات الآرامية الأخرى، أنها تستخدم القاف في كلمة (أرقا) ومعناها (أرض)، بينما تأتي هذه الكلمة في اللهجات الآرامية الأخرى، (أرعا)، ومعنى هذا، أن الضاد العربية هي الامتداد المباشر للضاد في اللغة السامية الأولى، وقد تحولت في الآرامية القديمة إلى (قاف) وفي اللهجات الآرامية الأخرى إلى (ع) [3].

أما في العصر اليوناني والروماني فلم يحدث لها أي تغيير يذكر [4]. وفي نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني ق م، انقسمت فأصبحت[5]:

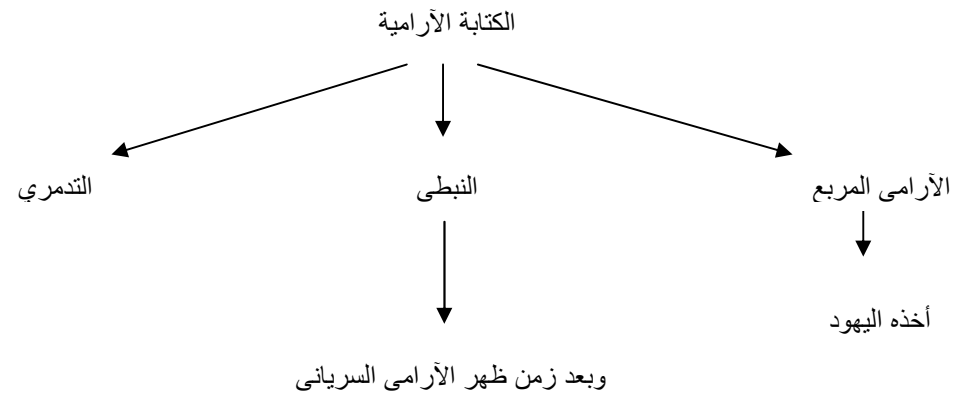

[1] علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة العربية، ص : 36؛ويراجع The Ancient languages of syria – Palestine and Arabia , P : 110 , 111.

[2] يراجع: حجازي، علم اللغة العربية، ص : 172، 173؛ يراجع عبد الكريم مجاهد، علم اللسان، ص : 117.

[3] المرجع نفسه، ص : 173.

[4] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 81.

[5] يراجع المرجع نفسه، الصفحة نفسها؛ يراجع: نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، ص: 110.

ويمكن رؤية الحروف الآرامية، بصوامتها جدول 6، وصوائتها جدول 7:

Square script	Estrangelo	Transliteration
א	ܐ	ʾ
ב	ܒ	b
ג	ܓ	g
ד	ܕ	d
ה	ܗ	h
ו	ܘ	w
ז	ܙ	z
ח	ܚ	ḥ
ט	ܛ	ṭ
י	ܝ	y
כ ך	ܟ	k
ל	ܠ	l
מ ם	ܡ	m
נ ן	ܢ	n
ס	ܣ	s
ע	ܥ	ʿ
פ ף	ܦ	p
צ ץ	ܨ	ṣ
ק	ܩ	q (or ḳ)
ר	ܪ	r
ש	ܫ	š
ת	ܬ	t

الجدول:06- رموز الكتابة الآرامية(الصوامت).[1]

Tiberian	Transliteration	Jacobite	Transliteration
בִּ or בִי	bi or bî	ܒܝ or ܒ	bī or bî
בֵּ or בֵי	bē or bê	ܒ	be
בֶּ	be		
בַ	ba	ܒ	ba
בָּ	bā or bo	ܒ	bā
בֹ or בוֹ	bō or bô		
בֻ or בוּ	bu or bû	ܒ or ܒ	bū or bû

الجدول:07- يمثل رموز الصوائت في الكتابة الآرامية[2].

[1] Roger D. woobard, The Ancient Languages of Syria Palestine and Arabia , P : 110.

[2] المرجع نفسه، ص : 111.

- **الخط السرياني :**

" السريانية لهجة آرامية ارتبطت بالمسيحية " [1]، وقد كان خطها (الخط السرياني القديم) يكتب بحروف منفصلة [2]. ثم ما لبث أن اتصلت حروفه وظهر الخط المعروف بالأسطر نجيلي في الرَّها [3].

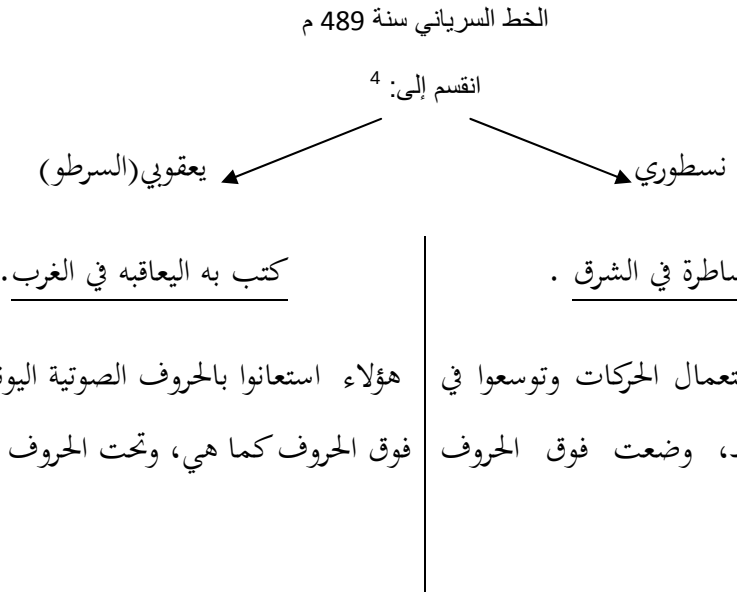

" ويفيد تتبع الخطوط الآرامية في التعرف إلى أصل الكتابة العربية الشمالية، فكثير من القدماء يرى أن الخط السرياني الأسطرنجيلي هو أصل الخط العربي، على حين يرى فريق من الباحثين أن أصل الخط العربي يرجع إلى الكتابة الآرامية النبطية " [5]

---

[1] محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، ص : 176؛ يراجع: عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص : 117.
[2] أحمد محمد قدور، فقه اللغة العربية، ص : 81؛ يراجع عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص : 117.
[3] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 81.
[4] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 57؛ قدور، مدخل إلى فقه اللغة، ص : 81؛ نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، ص : 110.
[5] أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة، ص : 81، 82 ؛ يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 57 ؛ يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 218.

II. العرب والكتابة قبل الإسلام:

الكتابة والخط "مظهر من مظاهر الحضارة، وأثر من آثار الاجتماع والتجارة"[1]، "والإنسان كائن اجتماعي بغريزته، ولغته بدورها ظاهرة اجتماعية لا يمكن تصورها إلى في ظل نظام عام للتبادل المادي والفكري " [2]، لذلك كان أسبق الأمم إلى الخط المصريون الفينيقيون، وأجهل الناس به البدويون، فلم يعرفه العرب إلاَّ في الجهة التي عرفتها الحضارة وارتقت فيها العمارة [3].

وبعد ثورة المكتشفات الأثرية وعلم مقارنة اللغات، تأكد أن الخط الفينيقي مصدر الخطوط السامية، وأن الآرامي والمسند (الحميري)، بأنواعه مشتقان منه، ومن الآرامي اشتق الخط النبطي .[4]فهذه هي المصادر المباشرة التي يمكن أن ينسب لها الخط العربي قبل الإسلام.

* **الخط المسند:** هو ما نراه في النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية . فقد كتبت بخط أبجدي يعرف بالمسند يقوم على أساس الخط العربي الجنوبي [5]، فهناك نقوش مدونة من اليمين إلى اليسار وأخرى عكسها، فاتجاه الكتابة يختلف من نقش لآخر، وهناك نقوش مكتوبة بخط المحراث : Boustrophedon، أي يكتب السطر الأول من اليمين إلى اليسار ثم الثاني من اليسار إلى اليمين ... [6]

ومن الملاحظ أن كل النقوش العربية القديمة تتفق في تدوينها للصوامت مثل : الباء، والتاء، والسين، فلكل منها حرف متميز، ولكن الفرق الأساسي بين كتابة هذه النقوش والخط العربي الحالي، أن هذه النقوش لا تدون الحركات الطويلة . فضلا عن تدوينها

---

[1] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، (ط:8، بيروت، لبنان: دار المعرفة، 2004م.) ص : 60.
[2] حس ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، (ط:2، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، 1990م.)، ص : 50.
[3] إبن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون (المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر.)، (ط:1، بيروت، لبنان: دار الفكر، 2004م.)، ص : 145.
[4] يراجع: فولفد يتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، تر: سعيد حسن بحيري، (ط:1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2002م.)، ص:77، 79.
[5] يراجع: محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، ص : 121؛ قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 83.
[6] يراجع: محمود فهمي حجازي، علم اللغة، ص : 121.

للحركات القصيرة [1]. وعدد حروف هذا الخط تسعة وعشرون وترمز إلى تسعة وعشرين صوتا ساكنا [2].

وقد انتقل هذا الخط عن طريق القبائل المعينية التي نزحت من اليمن وكونت محطات تجارية ومستعمرات كبيرة، حملته إلى شمال الجزيرة، وكذلك هجرة القبائل اللحيانية والثمودية والتي وفدت من اليمن (العسير) إلى شمالي الجزيرة [3].

وتشير الدراسات إلى أن "استعمال هذا الخط امتد حتى القرن الخامس الميلادي، وربما حتى السادس، أي أن ذلك الخط قد زال من الاستعمال قبل مجيئ الإسلام، أما عن بدايته فهي غير واضحة. ويُعتقد أنه مشتق من الفينيقي، أو أنه متفرع عن الأبجدية السينائية التي انحدر عنها الخط الفينيقي. "[4].لذلك يعتقد الدارسون أنه من المحتمل أن يرجع خط النقوش الشمالية الغربية المبكرة، والخط العربي الجنوبي القديم إلى المحيط السرياني الفلسطيني، النمط الأصلي للنقوش السينائية الأولى.[5]

مع ذلك" فكل النقوش الصفوية والثمودية واللحيانية تشترك في عدد من الخصائص اللغوية الأساسية...، مما يجعلنا نقول إنها من اللهجات العربية المبكرة، غير أن هذه اللهجات لا تمثل العربية الفصحى المتطورة التي وصلتنا في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، فهناك فرق بين وجود بعض الظواهر اللغوية الصرفية أو المعجمية المشتركة، وبين كون هذه النقوش ممثلة لنفس المستوى الذي عرفته لغة الشعر الجاهلي."[6]

---

[1] يراجع: المرجع السابق، ص : 121، 122.

[2] يراجع: عبد الجليل مرتاض، دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، (الجزائر:دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م.)، ص : 162.

[3] يراجع: أحمد محمد قدور، فقه اللغة العربية، ص : 83؛ يراجع:
Roger D. Woobard , The Ancient languages of Syria – Palestine and Arabia, P : 197 – 184.

[4] غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، (ط :1، الجمهورية العراقية، 1982م.)، ص : 39.

[5] فولفد يتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، ص:96، الهامش :4.

[6] محمود فهمي حجازي، اللغة العربية عبر القرون، (القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968م.)، ص:32.

وهذه نماذج للخطوط العربية الشمالية المبكرة التي يعتقد أن مصدرها الخط العربي الجنوبي القديم، والأكيد أنها زالت من الاستعمال قبل الإسلام[1]

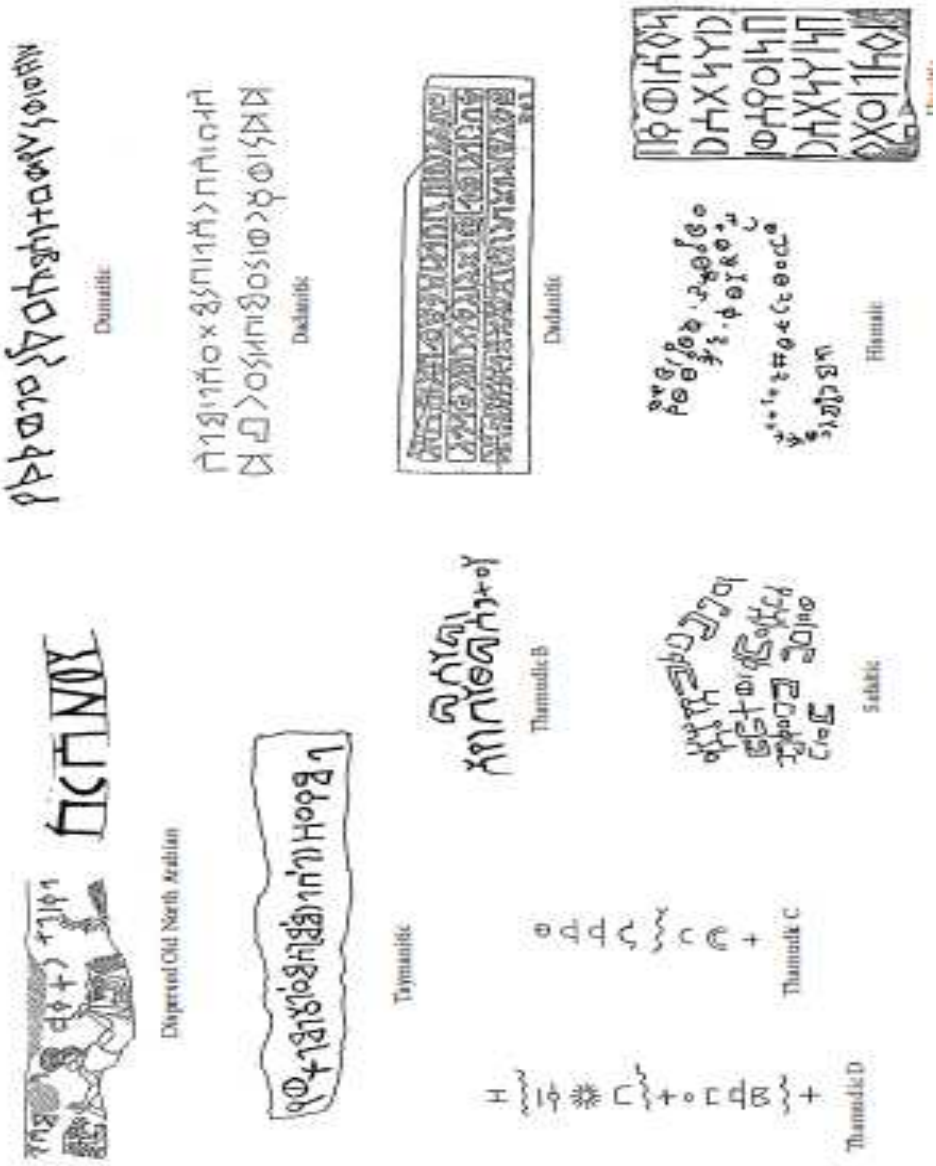

الشكل: 03- الخطوط العربية الشمالية المبكرة [2]

[1] يراجع: فولفد يتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، ص : 40.

[2] Roger D. Woobart ,The Ancient languages of Syria – Palestine and Arabia, P : 182.

***الخط النبطي:**

ينسب هذا الخط للنبط، وهم قوم من الساميين في دولة البتراء، سيطروا من سنة 169 إلى 106 قبل الميلاد على جنوب الشام وشمال شبه الجزيرة العربية، يسود الاعتقاد بأنهم قبائل عربية متجولة تحضرت واستخدمت الآرامية لغة كتابية لها وكانت العربية لغة حياتهم اليومية، وظلت الكتابة النبطية مستعملة بعد زوال مملكة النبط لعدة قرون . ثم طوروا خطهم الآرامي مستغرقين بضعة قرون في ذلك ليحل محل بدائل الخط السامي الجنوبي الشائع في بلاد العرب الأخرى في شمال الجزيرة العربية، ثم تطور بعد ذلك إلى الخط العربي الذي انتشر باعتباره حاملا للغة العربية القديمة للأدب [1].

فالكتابة العربية " تولَّدت ونمت في شمال الجزيرة في بلاد الأنباط، ثم اتجهت تحت تأثير الظروف السياسية إلى الشرق، ووجدت في الحواضر العربية في العراق المناخ الملائم لأن تتطوَّر وتتأصَّل وتنتشر في الحيرة وغيرها من القرى العربية "[2]. وقد كان بين أهل الحيرة وأهل الجزيرة العربية صلة تجارية، وكانوا يجوبون أرجاء الجزيرة العربية وكانوا ينشغلون بتعليم القراءة والكتابة لمن يطلبها لأن بلاد العرب ومكة خاصة لم تكن تعتني بتعليم أطفالها الكتابة والقراءة، وإنما كان الرجل من أهلها يتعلمها عندما يشعر بالحاجة لها [3].

كما أنه من المقبول أن تكون الكتابة العربية قد دخلت الحجاز من الأنحاء الشمالية مباشرة، فهناك اتصال تجاري مستمر بين أهل الحجاز وبلاد الشام [4].

وقد بقيت هذه الطريق بين مكة ويثرب والشام تسلكها القوافل حتى بعد ظهور الإسلام، وقد أَجبرت هذه القوافل العرب دوما على المرور بمدائن صالح وبلاد الأنباط،

---

[1] يراجع: غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، ص : 35، 36؛ يراجع: فولفد يتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، ص:78.

[2] غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، ص:53.

[3] يراجع: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1:(الدولة العربية في مصر والمغرب والأندلس 622-749م) ، (ط:14، بيروت:دار الجيل، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1996م.)، 1 / 58.

[4] يراجع:غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، ص : 54.

فاقتبسوا منهم أساليب الحياة وطرق الكتابة، ولم يتحرج العرب من التأثر بهم لأنهم عرب مثلهم.[1]

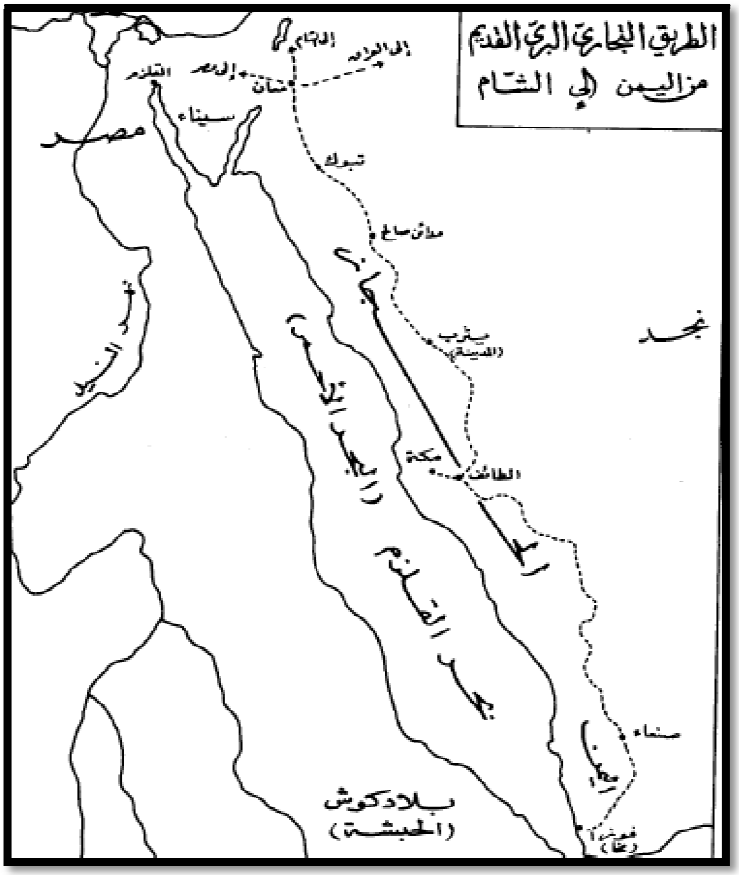

خريطة طريق التجارة الرابط بين اليمن والحجاز وبلاد الأنباط والحيرة والشام.[2]

لهذا لا يرى تمام حسان مانعا بأن يكون منبع الكتابة بالنسبة للعرب لم يكن الحيرة وحدها، وإنما الحيرة ودمشق معا، ولعل تسمية هذا الخط الذي تعلمه الحجازيون باسم الحيرة لم يكن إلاَّ نتيجة من نتائج تحول أهل الحيرة من النساطرة في بلاد العرب واشتغالهم بتعليم الخط في الوقت الذي جاء فيه الخط من عرب الشام اليعاقبة [3].

---

[1] يراجع: صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، (ط:2، بيروت، لبنان:دار الكتاب الجديد، 1979م.)، ص:13.

[2] المرجع نفسه، ص:14.

[3] يراجع: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص : 140.

لذلك يفسر بعضهم رسم الألفات – في المصحف – المنقلبة عن ياء بياء، والمنقلبة عن واو بألف، بأنه موروث من خط أهل الحيرة الأوَّل، فهؤلاء كانوا يُميلون الألفات المنقلبة عن ياء، إمالة شديدة، فرسموها بالياء لقربها منها، وتركوا التي لا تُمال بالألف، ثم أخذت قريش عنهم صورة رسمهم كما هي، من غير أن تطوِّرها أوتراعي فيها خواص لغتها لعدم معرفتها بالكتابة[1].

ومما يؤكد أيضا عودة الحروف العربية للنبطية اتفاقهما في نقاط عدة:

- تشابه الأبجديتين.
- اتفاقهما في أسماء الحروف : (الألف، الجيم، الدال، الزاي، الشين، الصاد، الضاد)
- تشابه الحروف رسما إذا اتفقت مخرجا، نحو:(ص، ض، ط، ظ)
- الحرف الآرامي(النبطي) يكتب متصلا وله ثلاثة أشكال حسب موقعه في الكلمة كما الحال في العربية [2].
- كما يفصل الشعبان بعض الحروف ك: الراء، الواو، الألف، الدال، عما يليها كتابة.

وتبقى بذلك النبطية المتأخرة التي أُخذت عن الآرامية، الجسر والأصل المباشر للحرف العربي [3].

وقد وصل الخط إلى العرب في صورتين هما : التَّقوير أي المدوَّر وهو النسخي، والبسط أي اليابس وهو الذي أطلق عليه فيما بعد الكوفي [4].

---

[1] مختار الغوث، لغة قريش، (ط : 1، الرياض، دار المعارج الدولية للنشر، 1997 م)، ص :81.
[2] يراجع: محمد بن سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.)، ص : 13. ويراجع: عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 22
[3] يراجع: البهنسي، فن الخط العربي، ص : 22.
[4] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 77. وأحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 82، 83.

أما تأثير الخط السرياني في الخط العربي فهو محدود، ويكاد ينحصر في الخط العربي المعروف بالكوفي الذي يشبه الأسطرنجيلي برسمه الهندسي[1].

و تبقى قرابة الخط النسخي الحجازي من الخط النبطي كبيرة وواضحة، فكلاهما مدوَّر وسلس، ويعد نقش النّمارة المؤرخ عام 328م أقدم أثر كتابي للغة العربية الشمالية، فقد كتب بحروف نبطية متصلة وبلغة عربية فصيحة .

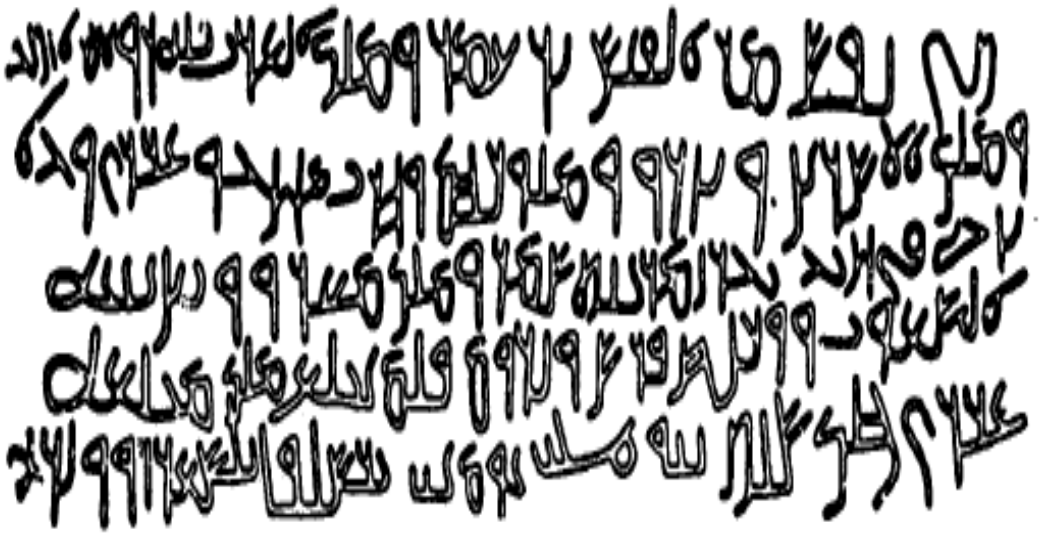

الشكل: 04 – نص نقش النمارة.[2]

[1] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 82. ويراجع: إياد حسين عبد الله الحسين، التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم، (ط:1، بيروت:دار صادر، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، طرابلس: جروس برس، 2003م.)، ص: 20.

[2] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص:20.

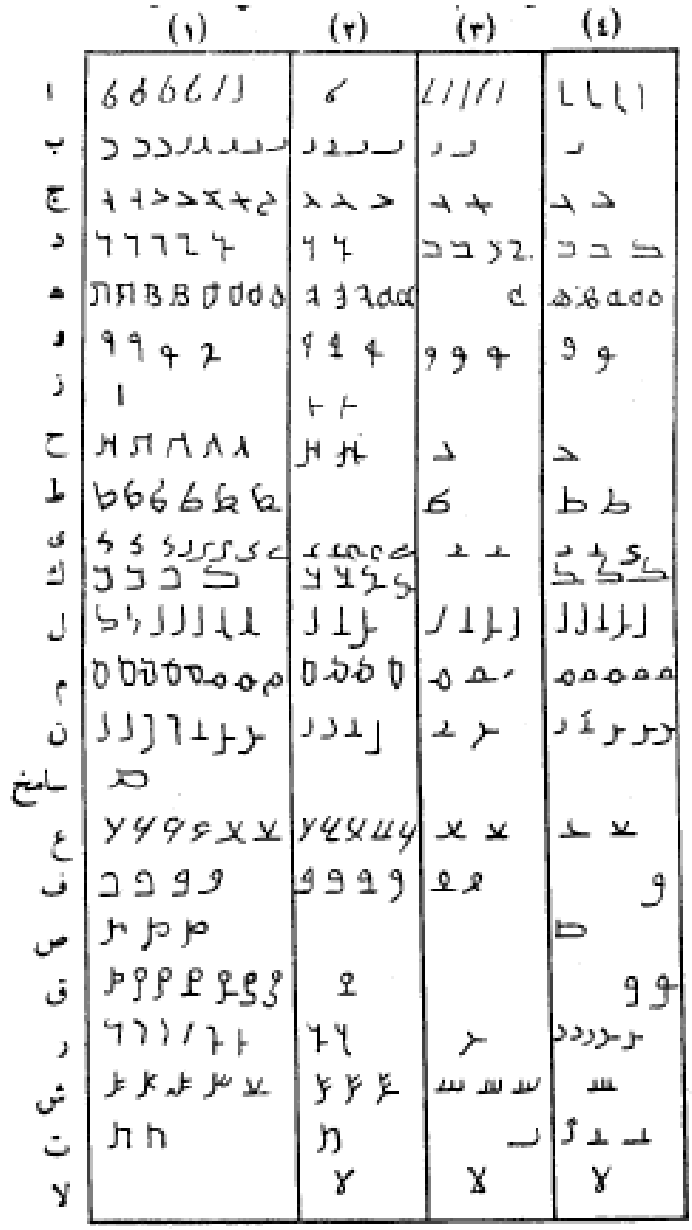

(١) نماذج من الخط النبطي المتأخر (القرن الأول والثاني والثالث ب. م.) مستخلصةٌ من نقوش بطرا والحِجْر.

(٢) نماذجُ من حروفِ نقشِ الفارة من القرن الرابع ب. م.

(٣) نماذجُ من حروفِ نقشَيْ: زَبَد وحرّان من القرن السادس ب. م.

(٤) نماذجُ من حروفٍ عربيّةٍ مُستخلَصةٍ من نقوشٍ عربيّةٍ قديمةٍ من القرنِ الأولِ للهجرة.

الجدول:08- رموز الحروف العربية من خلال النقوش القديمة.[1]

[1] غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، ص:747.

يمكننا أن نلاحظ من خلال الجدول الآتي كيف تطور الحرف العربي من شكله النبطي إلى النسخ الحديث.

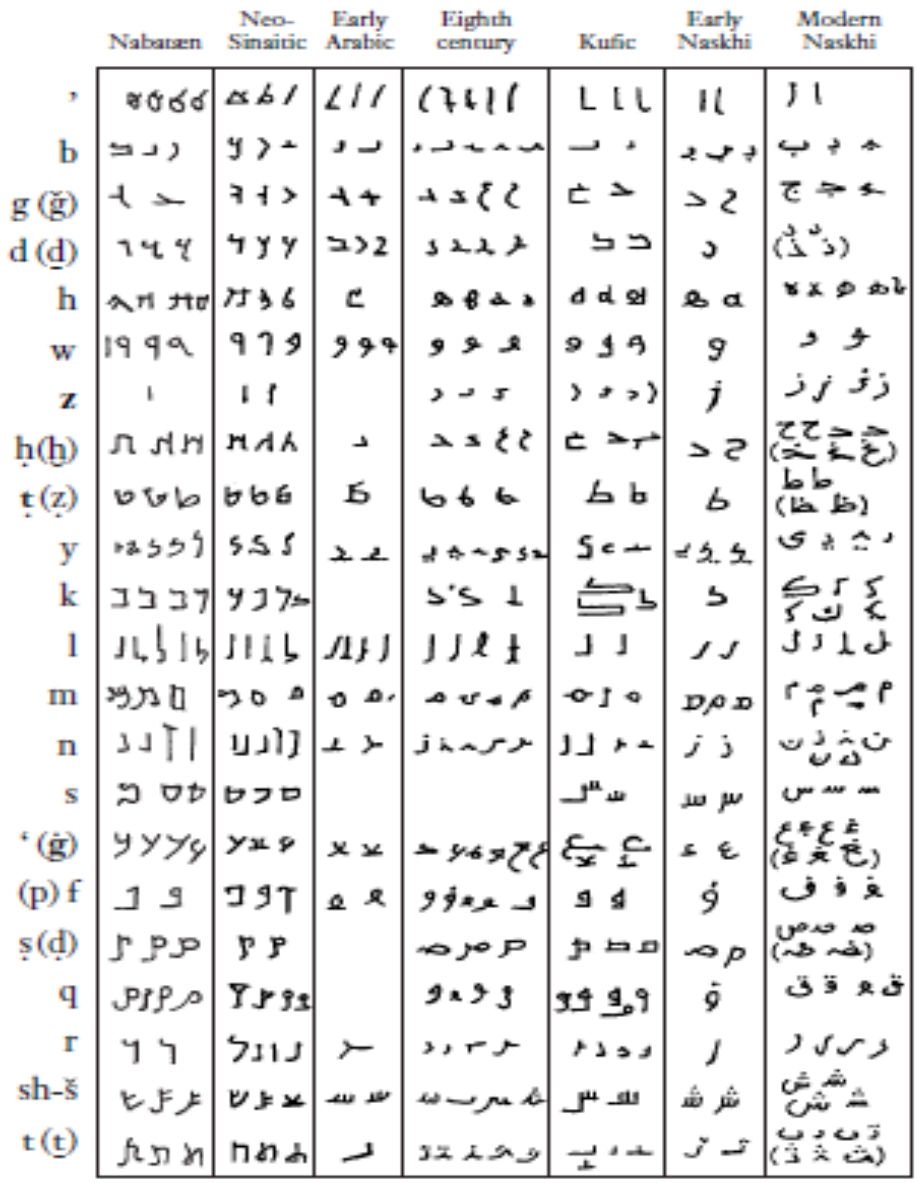

الجدول:09- تطور حروف الخط العربي من النبطي إلى النسخ الحديث[1]

[1] Steven R. Fisher ; History of Writing , P : 101.

III. الشكل النهائي للحروف العربية:

لم يكن الخط الذي وصل إلى العرب مضبوطا بالحركات والسكنات، كما هو اليوم، بل كان خلوا مما يدل على أشكال الحروف المكتوبة، وكان الناس مع ذلك يقرؤون كل ما يكتب معتمدين على سياق الكلام وما يقتضيه المقام ودلالة السوابق واللواحق ولا يلحنون في شيء مما يقرؤونه لتعوُّدهم على النطق الصحيح واقتفاء ألسنتهم لعقولهم [1].

وقد أكد ابن خلدون أن " السمع أبو الملَكات اللسانية " [2]، لذلك فهو يرى أن فساد ملكة اللغة التي هي ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللِّسان يعود إلى ما أُلقي إليها مما يغايرها، لجنوحها إليه باعتياد السمع [3]. وهذا هو سبب اللحن، وإفساد اللغة، والميل بها.

ولما شاعت هذه الظاهرة، وعرا اللسان العربي بعض العجمة، خشي العرب أن تفسد ألسنة أولادهم، وتضعف لغتهم ويتطرق الخطأ إلى القرآن وهو حفاظ الدين وأساس الإسلام، فأخذوا يفكرون في تدارك هذا اللسان قبل أن يستفحل الفساد [4].

وكانت أعظم صور الصيانة حينها، قد ظهرت فيما قدَّمه أبو الأسود وبعض تلاميذه، "والحق أن أبا الأسود نسب إليه وضع العربية فظن بعض الرُّواة أنه وضع النحو وهو إنما وضع أوَّل نَقْطٍ يُحرِّر حركات أواخر الكلمات "[5].

فمن أمثلة ما كتب دون حركات، ما خط في زمن الإمام علي كرَّم الله وجهه .

---

[1] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 83؛ حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، ص : 153.
[2] ابن خلدون، المقدمة، (علم النحو)، ص : 621.
[3] يراجع: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[4] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 83.
[5] رحاب عكاوي، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري صانع النحو وواضع العروض، (ط : 1، بيروت، لبنان : دار الفكر العربي، 2003م)، ص : 9.

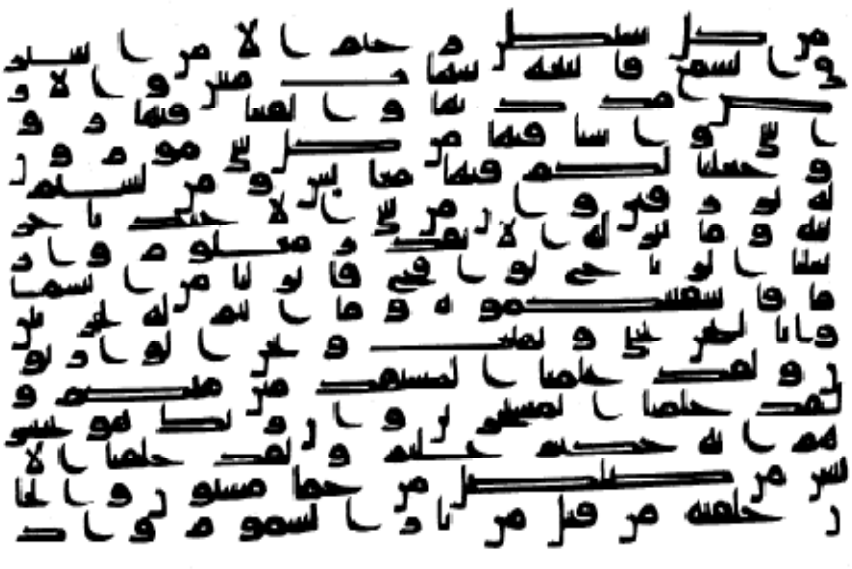

الشكل: 05 –الخط العربي القديم في المصحف المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب [1] .

و" لما كانت العلوم في الأمم لا تظهر فجأة، بل تأخذ في النهوض شيئا فشيئا حتى تستوي على سوقها . كان ذلك مدعاة في كثير من الأمم لأن تلتبس نشأة بعض العلوم"[2]ببعض. ومنها ما قام به أبو الأسود .

ففي الواقع "نقط أبي الأسود الدؤلي في ظاهره ضبط صوتي، وإن كان في مضمونه وغايته يشكل بداية الدرس النحوي عند العرب . فما النُّقط التي اقترحها للحركات، إلا علامات لخصائص صوتية " [3] أثَّرت تأثيرا مباشرا على نمو الخط العربي وتطوره ليأخذ صورته الأخيرة .

[1] غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، دراسة لغوية وتاريخية، ص:767.
[2] رحاب عكاوي، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، ص : 9.
[3] عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص : 26.

لذلك نقول أن اللَّحن الذي أصاب اللغة العربية كان عاملا إيجابيا حقيقيا، ساعد في وضع اللمسات الأخيرة على الخط العربي . وقد كان هذا العمل دليلا على " فهم مبكر دقيق لطبيعة الصوت اللغوي " [1] العربي وأثره على المعنى .

يُسمَّى ماقام به أبو الأسود بالشكل أو نقط الإعراب . وسنقدمه بوضوح في عنصرنا الآتي .

أ – وضع الشكل : نقط الإعراب :

يقال " شَكَلَ الكتاب يَشكُلُه شكلا وأشكَلَه : أَعجَمَه : شَكَلْتُ الكتاب أَشْكُلُه فهو مشكول إذا قيَّدته بالإعراب ... والشِكَال : العِقالُ، أشكلت الكتاب : كأنك أزلت عنه الأشكال والالتباس ." [2]

و" هو مأخوذ من شكل الدابة، لأن الحروف تضبط بقيد فلا يلتبس إعرابها كما تضبط الدَّابة بالشكل فيمنعها من الهروب " [3]. وقيل سميت هذه النقط شكلا لأنها تدل على شكل الحرف وصورته، ولولا ذلك لكان الحرف مادة قابلة لأن تشكل بأي شكل . فوضع النقطة نُصَّ في قَصْرِ الحرف على شكل مخصوص وهذا هو السبب في تسمية هذه العلامات شكلاً [4].

و"النصوص تذكر أن أبا أسود الدؤلي، المتوفى سنة 69 هـ، كان أوَّل من اخترع حركات الإعراب – أي الشكل – وأدخلها في المصحف . متخذا نقطا تدل عليها .. " [5].

لكن لم يكن الشكل قد دخل على الحرف العربي أولا، فقد ظهر في لغات أخرى في وقت سابق، هي السريانية، والعبرية، واستعمل السريان الشكل في لغتهم بعدما دخلوا في

---

[1] علاء جبر محمد، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، (ط : 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006 م)، ص : 3.
[2] ابن منظور، لسان العرب، (القاهرة: دار المعارف، دت)، 2311/4.
[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ، (القاهرة: المطبعة الأميرية، 1914م.). 160/3.
[4] يراجع، حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، ص : 154؛ حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 85، 86.
[5] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص : 125.

النصرانية، ونقلوا الكتب الدينية إلى لغتهم، فخشوا اللحن، في قراءتها، فوضعوا الشكل للحرف، وقد شاع الشكل في اللغة السريانية في القرن الرابع الميلادي، وقيل في القرن السادس الميلادي، وأول من وضع النحو السرياني هو يوسف الأهوازي (ت:580م) . وفي السنة 705 م أعاد يعقوب الرهاوي(640-708م)النظر في ضبط متون التوراة، وأتم هذه الطريقة التي نقلها عنه ابن العبري(ت:1286م) في نحوه، فكان عندهم نقط كبيرة توضع فوق الحرف أو تحته [1].

وقد استعمل اليهود في لغتهم الحركات في القرن الخامس والسادس الميلاديين، وهي نقط توضع فوق الحرف أو تحته، لتمثل الفتحة والكسرة، والضمة، والشدة، والمدة، والوصل، وقيل إنهم اتخذوا أوَّل الأمر بعض الحروف، كالألف والهاء والياء، لتقوم مقام الحركات، إلا أنهم سرعان ما تركوها، وذلك لما تسببه من تغيير في هجاء الكلمات، ومن زيادة في عدد الحروف، ثم اتخذوا النقط فوق أوتحت الحرف لتمثيل الحركات . [2]

"أما اللغة العربية فهي متطورة عن النبطية، والنبطية خالية من الشكل، ويبقى الاحتمال أن العرب قلدوا السريان في وضع نقاط للشكل، أو أنهم قلدوا اليهود، وخاصة أن من المسلمين من كان يعرف السريانية، ومنهم من كان يعرف العبرية منذ زمن الرسول ﷺ، فقد تعلم زيد بن ثابت السريانية، وأبو خارجة العبرية وكلاهما بأمر من النبي ﷺ " [3].

لكن تتفق أغلب الروايات على أن أبا الأسود هو من وضع الشكل بين العرب، فقد " فعل هذا عندما سمع رجلا يقرأ القرآن ويلحن فيه، فيكون عمل أبي الأسود إصلاحا للحن وتوضيحا لحروف المصحف حتى لا يقع قارئها في الخطأ عند القراءة " [4].

---

[1] يراجع، يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، (ط:1، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1994م)، ص:100، 101.

[2] يراجع، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص: 101.

[4] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص : 125.

فقد " أحظر من يمسك المصحف، وأحظر صِبغًا يخالف لون المداد، وقال للذي يمسك المصحف عليه : إذا فتحتُ فاي فاجعل نقطة فوق الحرف، وإذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف، وإذا ضممت فاي فاجعل نقطة أمام الحرف، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنَّة (يعني تنوينا) فاجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف . " [1]. وقد كان أبوالأسود يتابع كل صحيفة على حدة عند إتمامها، حتى أتمَّ عمله [2]. ومثال شكله [3]:

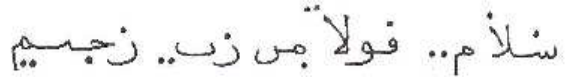

وقد تفنن الناس من بعد أبي الأسود في شكل النقط فمنهم من جعلها مربعة ومنهم من جعلها مدورة مسدودة الوسط، ومنهم من جعلها مدورة خالية الوسط على هذا النحو: (◆ • ○) [4].

وقد اخترع أهل المدينة للحرف المشدَّد علامة على شكل قوس طرفاء لأعلى : هكذا: ﺏ ، توضع فوق الحرف المفتوح وتحت المكسور، وعلى شمال المضموم وكانوا يضعون نقطة الفتحة داخل القوس ونقطة الكسرة تحت حدبته ونقطة الضمة على شماله [5]:

الفتح : ـَـّـ .

الكسر : ـِـّـ .

الضم : ـُـّـ .

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، 160/3؛ يراجع: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المحكم في نقط المصحف، تح : عزة حسن، (ط:2، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1997م .)، ص : 04.

[2] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 85؛ حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، ص : 153، 154.

[3] حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 86.

[4] المرجع نفسه، ص : 86.

[5] يراجع: المرجع نفسه، ص : 86 ؛ إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي، ص : 22

وبعد زمن استغنوا عن النقط وقلبوا القوس مع الكسرة والضمة وصار الحرف المشدد المفتوح : ـّـ ، والمكسور : ـّ ، والمضموم : ـّـ .[1]

وقد " زاد أتباع أبي الأسود علامات أخرى في الشكل، فوضعوا للسكون جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه سواء كان همزة أو غير همزة، ولألف الوصل جرة في أعلاها متصلة بها إن كان قبلها فتحة، وفي أسفلها إن كان قبلها كسرة، وفي وسطها إن كان قبلها ضمة "[2]، على هذا النحو:

ألف الوصل : ٱ : إذا كان قبلها فتحة .

ٱ : إذا كان قبلها كسرة .

ٱ : إذا كان قبلها ضمة.

وكل هذا كان باللون الأحمر، وهو مخالف للون الكتابة، وقد جرى أهل الأندلس على استعمال أربعة ألوان في المصاحف، السَّواد للحرف والحُمرة للشكل بطريقة النقط والصُفرة للهمزات، والخُضرة لألفات الوصل [3].

بقدر ما سبب اللحن من مشاكل لغوية، إلاَّ أنه أعان بوجوده على تقديم عمل جليل يخدم اللغة العربية ليومنا هذا . والحال لم يسلم من الفساد اللغوي رغم جهو د أبي الأسود، فقد ظهر همٌّ جديد بعد اللحن وهو التصحيف أي تغيير اللفظ والمعنى[4]معا.

---

[1] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 86.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها ؛ يراجع: إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي، ص : 22.

[3] حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 87؛ إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي، ص : 22، 23 .

[4] يراجع: أبوالبقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، محمد المصري، (ط:2، بيروت، لبنان:مؤسسة الرسالة، 1998م)، ص:294.

وهذا حدث لأن "صور بعض الحروف تشتبه بصور بعضها الآخر، وليس ثمة ما يميز صورة من صورة، كالتشابه الذي بين صور الباء والتاء والثاء والنون والياء المتوسطة "[1]. وهنا دعت الضرورة إلى الإعجام .

ب . وضع الإعجام، نقط الإعجام:

يقال :" أعجم الكتاب وعَجَّمَه : نَقَّطَه ... والعَجْمُ : النقط بالسواد مثل التاء عليه نقطتان، يقال: أعْجمتُ الحرف."[2].

و"أعجمت الكتاب، أي أزلت عنه استعجامه"[3]، فأنت إذا أعجمت الكتاب أوضحته وبينته [4].

لقد نسب أغلب الدارسين وضع النُّقط التي تميز بين الحروف المتاشبهة إلى نصر بن عاصم ويحي بن يعمر [5]. والحقيقة أنهما " قد نقطا المصاحف، ولم يبتكرا الإعجام أو وَضْع النقط على الحروف المتشابهة، لأن هذا قديم " [6]، فالبردِّية المصرية المؤرخة سنة 22هـ"، كان على بعض حروفها رقش، وكذلك الكتابة الحجرية التي وجدت على سدّ الطائف، والتي يرجع تاريخها إلى سنة 58 هـ، ظهر الرقش على بعض حروفها، إذن فالنَّقط كان معروفا، ومستعملا قبل نصر بن عاصم ويحي بن يعمر، اللذان توفيا سنة 90هـ، فليس هما اللذان اخترعا النَّقط " [7].

---

[1] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص : 143.
[2] ابن منظور، اللِّسان، 2827/4.
[3] ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح:محمد حسن محمد حسن إسماعيل، (ط:1، بيروت، لبنان:دار الكتب العلمية، 2000م 52/1.
[4] يراجع: المصدر نفسه، 50/1.
[5] يراجع: صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص : 125، 126.
[6] يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص : 105.
[7] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص، 126.

والبعض يعتقد أن الإعجام أو النُّقط " كانت موجودة في بعض الحروف قبل الإسلام وتُنوسيت " [1] . ومن أرجعها للعصر الجاهلي اعتمد على ما جاء في الشعر الجاهلي من استعمال لكلمتي (الرقش والترقيش)، أما الدلائل المادية فلم يصلنا شيء منها [2].

أما اللغات القديمة الأخرى التي عرفها العرب كالسريانية والعبرية، فقد كان فيها إعجام، واستخدم السريان الإعجام بالإضافة إلى الشكل في كتاباتهم، لكنه لم يميز إلا بين الدال والراء من خلال نقطة لكل منها تحت الرمز أوفوقه، أوللحروف: ب ج د ك ت وهي حروف انفجارية، كما تجاوزوا هذا للدلالة على معان نحوية، وأيضا نقط العبرانيون كذلك بعضا من حروفهم، كالذال والخاء والظاء، ولكن العرب لم يأخذوا خطهم عن السريان أوالعبرانيين، ولعلهم حين احتاجوا إلى الإعجام تأثروا باللغات المجاورة [3].

وهناك من يرى أن القرآن قد كتب منقوطا في عهد سيدنا عثمان ثم جرَّده الصحابة من النقط عمدا، ودليل هذا قول ابن الجزري : " ثم إن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جردوها من النقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صح عن النبي ﷺ، وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتْلُوَّين، شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين ..." [4].

نصل بهذا إلى أن الإعجام كان موجودا وقد عرفه العرب منذ عصر الرسالة، واستعملوه في كتاباتهم اليومية، إلا أنه لم يكن إعجاما كاملا [5]، " فالنقط ما كان من اختراع يحي بن يعمر وصاحبه ... وإنما الذي فعله هذان هو إدخال النَّقط على المصحف"[6].

---

[1] عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، (مطبعة هندية بالموسكي بمصر، 1915م). ص : 28.
[2] يراجع: يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص : 105، 106.
[3] يراجع: المرجع نفسه، ص : 106؛ قولفد يتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، ص: 105، هامش :82.
[4] النشر في القراءات العشر، تح: جمال الدين محمد شرف، (ط:1، دار الصحابة للتراث بطنطا، 2002م)، 37/1، 38
[5] يراجع: يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة، ص : 107.
[6] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص : 126.

وقد قام نصر بن عاصم ويحي بن يعمر بنقط المصحف بأمر من الحجاج، " وذلك أنه لما كثر التصحيف خصوصا في العراق والْتبست القراءة على الناس لتكاثر الأعاجم من القراء، والعربية ليست لغتهم، فصعب عليهم التمييز بين الأحرف المتشابهة، ففزع الحجاج إلى كُتَّابه وسألهم أن يصنعوا لهذه الأحرف المتشابهات علامات، ودعا نصرا بن عاصم الليثي ويحي بن يعمر العدواني (تلميذي أبي الأسود) لهذا الأمر فوضعا النقط أوالإعجام أزواجا وأفرادا بعضها فوق الحروف وبعضها تحتها " [1].وقد كان عدد الحروف المرسومة قبل نقطها تسع عشرة صورة [2] كالآتي :

الصورة	تضمُّ قبل النقط صور أخواتها
ا	الألف .
ب	الباء – التاء – الثاء
ح	الجيم – الحاء – الخاء.
د	الدال – الذال .
ر	الراء – الزاي .
س	السين – الشين .
ص	الصاد – الضاد .
ط	الطاء – الظاء .
ع	العين – الغين .
ف	الفاء – القاف .

[1] يراجع: حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 89؛ عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي، ص : 28.
[2] يراجع: القلقشندي، صبح الأعشى، 23/3.

ك	الكاف.
ل	اللام .
م	الميم .
ن	النون .
هـ	الهاء .
و	الواو.
لا	اللام ألف .
ي	الياء .

الجدول: 10- الحروف العربية قبل أن تنقط.

ويعتقد المعلق على كتاب صبح الأعشى أن القلقشندي قد قصد صورة مفردة للفاء، وأخرى مفردة للقاف، وهذا ما يؤكده سقوط صورة من العدد (19) الذي حدده، إذ ورد فقط عنده (18) صورة .

وقد نقل القلقشندي علل أماكن النقاط التي وضعت على الحروف وأعطى لكل حرف حقه في ذلك، نقدمها هنا ملخصة في هذا الجدول [1]:

الحرف	سبب نقطه، وعلة عدد نقاطه .
ا، الألف	لا تنقط لانفرادها بصورة واحدة، ليس في الحروف ما يشابهها
ب، الباء	تنقط من أسفل لتُخالف التاء المثناة من فوق والثاء المثلثة، إفرادا وتركيبا، والياء المثناة من تحت والنون في حالة التركيب ابتداء أووسطا، ونقطت من أسفل لئلا تلتبس بالنون حالة التركيب.
ت، التاء	تنقط باثنتين من فوق لتخالف ما قبلها وما بعدها من الصورتين إفرادا، وتخالفها مع الياء والنون في حالة التركيب ابتداء أووسطا.
ث، الثاء	تنقط بثلاث من فوق لتخالف ما قبلها (ب، ت) في الإفراد، وتخالفهما مع النون والياء أيضا في التركيب ابتداء ووسطا.
ج، الجيم	تنقط بواحدة من تحت لتخالف الصورتين بعدها (ح، خ).
ح، الحاء	لا تنقط، ويكون الإهمال لها علامة، وحذاق الكتاب يجعلون لها علامة غير النقط، هي حاء صغيرة تحتها.
خ، الخاء	تنقط بواحدة من أعلاها لتخالف ما قبلها من الجيم والحاء.
د، الدال	لا تنقط ولا تُعلَّم، ويكون ترك العلامة لها علامة .
ذ، الذال	تنقط بواحدة من فوق فرقا بينها وبين أختها .
ر، الراء	لا تنقط ولا تُعلَّم، ويكون الإهمال لها علامة .
ز، الزاي	تنقط بواحدة من فوق فرقا بينها وبين الراء .

[1] صبح الأعشى، ، 157/3، 156.

س، السين	لا تنقط، وتكون علامتها الإهمال، والبعض ينقطها بثلاث من أسفلها.
ش، الشين	تنقط بثلاث من فوق فرقا بينها وبين أختها، فإن كانت مدغمة فلا بد من جرة فوقها، ثم إن كانت محققة فاللائق التأسيس بنقطتين وجعل نقط ثالث من أعلاها، وإن كانت مدغمة فالأولى جعل الثلاث نقط سطرا واحدا.
ص، الصاد	لا تنقط، يجعل لها حذاق الكتاب علامة كالحاء، وهي صاد صغيرة تحتها.
ض، الضاد	تنقط بواحدة من أعلاها فرقا بينها وبين أختها .
ط، الطاء	لا تنقط، لكن لها علامة كالصاد والحاء، وطاء صغيرة تحتها .
ظ، الظاء	تنقط بواحدة من فوقها فرقا بينها وبين أختها .
ع، العين	لا تنقط، ولها علامة الحاء والصاد والطاء، وهي عين صغيرة في بطنها .
غ، الغين	تنقط بواحدة من فوقها فرقا بينها وبين أختها .
ف، الفاء	مذهب أهل الشرق أن تنقط بواحدة من أعلاها، ومذهب أهل الغرب أن تنقط بواحدة من أسفلها .
ق، القاف	تنقط من أعلاها بواحدة عند من نقط الفاء من أسفلها، وباثنتين عند من نقط الفاء من أعلاها .
ك، الكاف	لا تنقط، إذا كانت مشكولة عُلِّمت بشكله، وإذا كانت معراة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما التبست باللام
ل، اللام	لا تنقط لانفرادها بصورة، ولا تُعلَّم .
م، الميم	لا تنقط ولا تُعلَّم لانفرادها بصورة .
ن، النون	تنقط بواحدة من أعلاها، وكان ينبغي اختصاص النقط بحالة التركيب ابتداء ووسطا لالتباسها حينئذ بالباء والتاء والثاء أوائل الحروف، والياء آخر الحروف، بخلاف حالة الإفراد

	والتطرف في التركيب أخيرا، فإنها تختص بصورة فلا تلتبس إلا أنها غلبت فيها حالة التركيب فروعيت .
هـ، الهاء	لا تنقط بجميع أشكالها، لأنه ليس فيها ما يلتبس بغيره من الحروف .
و، الواو	لا تنقط وإن كانت في حالة التركيب تقارب الفاء، وفي حالة الإفراد تقارب القاف، لأن الفاء لاتشابهها كل المشابهة، ولأن القاف أكبر منها مساحة.
لا، لام ألف	لا تنقط لانفرادها بصورة لا يشابهها غيرها .
ي، الياء	تنقط بنقطتين من أسفلها، وإن كانت في حالة الإفراد والتطرف في التركيب لها صورة تخصها : لأنها في حالة التركيب في الابتداء والتوسط تشابه الباء والتاء والثاء والنون، فيحتاج إلى بيانها بالنقط لتغليب حالة التركيب على حالة الإفراد كما في النون، وربما نقطها بعض الكتاب في حالة الإفراد بنقطتين في بطنها .

الجدول:11- الحروف العربية سبب نقطها وعلة عدد نقاطها.

ونرى في الجدول الآتي، كيف تُرسم هذه الحروف حسب موقعها من الكلمة بالإضافة إلى كيفية نطق أسمائها وأصواتها عن طريق الكتابة الصوتية.

Name	Initial	Medial	Final	In isolation	Sound value
'elif			ـا	ا	;
bā	بـ	ـبـ	ـب	ب	b
tā	تـ	ـتـ	ـت	ت	t
ṯā	ثـ	ـثـ	ـث	ث	ṯ
ǧīm	جـ	ـجـ	ـج	ج	ǧ
ḥā	حـ	ـحـ	ـح	ح	ḥ
ḫā	خـ	ـخـ	ـخ	خ	ḫ
dāl			ـد	د	d
ḏal			ـذ	ذ	ḏ
rā			ـر	ر	r
zā			ـز	ز	z
sīn	سـ	ـسـ	ـس	س	s
šīn	شـ	ـشـ	ـش	ش	š
ṣād	صـ	ـصـ	ـص	ص	ṣ
ḍād	ضـ	ـضـ	ـض	ض	ḍ
ṭā	طـ	ـطـ	ـط	ط	ṭ
ẓā	ظـ	ـظـ	ـظ	ظ	ẓ
ʿain	عـ	ـعـ	ـع	ع	:
ġain	غـ	ـغـ	ـغ	غ	ġ
fā	فـ	ـفـ	ـف	ف	f
kaf	قـ	ـقـ	ـق	ق	ḳ(q)
ḳāf	كـ	ـكـ	ـك	ك	k
lām	لـ	ـلـ	ـل	ل	l
mīm	مـ	ـمـ	ـم	م	m
nūn	نـ	ـنـ	ـن	ن	n
hā	هـ	ـهـ	ـه	ه	h
wāw			ـو	و	w
jā	يـ	ـيـ	ـى	ى	j
lām-elif			ـلا	لا	lā

الجدول:12- صورة الحرف العربي منفردا، وفي أول الكلمة، في وسطها، وفي آخرها.[1]

[1] S.R.F. A History of Writing , P : 103.

وقد ظل التنقيط جزئيا في الكلمات، في بعض حروف الكلمات التي تلتبس حتى العصور العباسية، وكان الناس فيما يبدو يكرهون تنقيط الكتاب لما فيه من دلالة على سوء الظن بفهم القارئ[1].

والحقيقة أن وضع علامات الإعراب التي أدخلها أبو الأسود، ونقط الإعجام التي أدخلها يحي بن يعمر ونصر بن عاصم، هذان الأمران – الشكل والإعجام – لم يكونا إصلاحا للخط كما ذهب إلى هذه التسمية بعض من كَتَبَ عن الخط، لأنهما لم يبدلا الصور الأساسية للحروف، وإنما عملا على ضبط النطق وضبط الإعراب وتحسين لفظ القارئ وأمن اللحن والتصحيف [2].

" فالخط في حد ذاته لم يتحسن، ولا ذهبت بعض عيوب تركيبه التي ورثها عن الخط النبطي، بل تحسن لفظ القارئ " [3].

وبعد هذا الجهد وضبط نقط الإعجام، " رأى الكاتبون أن يجعلوا الشكل بمداد الكتابة نفسه تيسيرا للكاتب، فوقف في سبيلهم اختلاط الشكل العام بالإعجام فكان لابد من طريقة للتفريق بين الشكل والإعجام، وهذا ما قام به الخليل بن أحمد، حين جعل علامات الإعراب بالحرف بدلاً من النقاط " [4].

---

[1] يراجع: يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة، ص : 107.
[2] يراجع: المرجع نفسه، ص : 108. وصلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص : 125.
[3] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص : 125.
[4] يراجع: يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة، ص : 108.

ج. الشكل بطريقة الحروف الصغيرة:

كان الخليل أوسع الناس علما بالعربية، فوضع طريقة أخرى للشكل، هي التي نعرفها الآن، وقد أتهم الخليل دوما بأخذ علمه عن الشعوب الأخرى، الهنود أواليونان.

لكن الكثير من الدارسين يرفض أن يكون الخليل قد أخذ أفكاره وعلمه عن هؤلاء، بل هو بعض من عبقريته التي أنتجت علم العَروض وغيره [1].

وقد تحدث القدامى عن اجتهاد الخليل حين وضع الشكل بالحروف، إذ " قال أبو الحسن بن كيسان، قال محمد بن يزيد : الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل، وهو مأخوذ من صور الحرف " [2].

فقد وضع الخليل " للفتحة ألفا صغيرة مضطجعة فوق الحرف، وللكسرة رأس ياء صغيرة تحته، ـِ وللضمة واوا صغيرة فوقه: ـُ فإذا كان الحرف المحرك منونا كرر الحرف الصغير فكتب مرتين فوق الحرف أو تحته، ووضع للسكون الشديدة المصاحب بالإدغام رأس ش: ـّ ووضع للسكون الخفيف رأس خاء بلا نقطة: ـْ ووضع للهمزة رأس عين : ء، ولألف الوصل رأس صاد: ٱ توضع فوق ألف الوصل دائما، وللمد الواجب: ـٓ وهي ميم صغيرة مع جزء من الدال " [3].

هذه المهمة التي قام بها الخليل كانت تكشف عن حسه المرهف وقدراته الصوتية التي تفوق في كثير من جوانبها الدراسات الصوتية الحديثة، فقد شعر الخليل بالرابط الصوتي بين إنتاجنا صوت واو المد وإنتاج حركة الضم، وتلمس بدقة الفارق بينهما، المتجسد في الجانب الزمني، أي المدة الزمنية التي يستغلها الصوت لدينا، فالواو تختلف عن الضمة، في كونها

---

[1] يراجع: أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي من خلال مقدمة العين، (ط:2، دمشق:دار الفكر، 2003م.): ص 28، 30.
[2] الداني، المحكم في نقط المصحف، ص: 7.
[3] حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 96.

أطول منها زمنا [1]، أما من حيث كيفية الحدوث فلا فرق، والضمة تعاني عدم وجود رمز مناسب لها، فصغَّر الواو للتعبير عن جزء من زمنها وهو إنتاج الضمة، والحال نفسه مع الألف والياء إذ استخرج منها رمزا للفتحة والكسرة ..

[1] يراجع: جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، تر:صالح القرمادي، (الجامعة التونسية، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، 1966م.)، ص : 145، 146.

IV. بين الحرف والصوت:

إن الحرف والصوت لفظان استخدما منذ القدم، وتشاكلت دلالتهما عند الكثيرين، قدامى ومحدثين، والأصل أن الصوت غير الحرف وهذا ما سنحاول عرضه هنا، وسنقدم تعريف الصوت عن الحرف لأن حدث الصوت سابق للحرف في الواقع .

I. المعنى اللغوي:

أ) **الصَّوت لغة** : " الصَّوت : الجرس، وقد صات يصُوت ويَصاتُ صوتا، وأصات، وصوَّت به : كُلُّه نادى، ويقال : صوَّت يُصوِّت تصويتا، فهو مُصوِّت، وذلك إذا صوت بإنسان فدعاه، ويقال : صات يَصوتُ صوتا، فهو صائت، ومعناه صائح... الصوت صوت الإنسان وغيره." [1]

ب) **الحرف لغة** : " حرف كل شيء طرفه وشفيره وحَدُّه...حرف الشيء : ناحيته، وفلان على حرف من أمره أي ناحية منه ..." [2]

II. المفهوم الاصطلاحي :

أ) **الصوت اصطلاحا** : تعلق تعريف الصوت عند أغلب اللغويين بمفهوم السمع كون الصوت لا يدرك من دونه، فهو دوما نتيجة له، فهو " الحدث الذي يختص السمع بإدراكه " [3]، والصوت " بالمعنى العام هو الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة حتى ولولم يكن مصدره جهازا صوتيا حياً . " [4]

وقد حاول ابن سينا قديما التدقيق في الصوت وسببه حين قال : " يحدث أيضا عن مقابل القرع وهو القلع، وذلك ان القرع هو تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم له لمزاحمته، تقريبا تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها، ومقابل هذا تبعيد جرم عن جرم آخر مماس

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، 2521/4.
[2] المصدر نفسه، 838/2.
[3] عبد الغفار، حامد هلال، الصوتيات اللغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، (ط:1، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2009م.)، ص : 33.
[4] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (المغرب:دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1986م)، ص : 67.

له، منطبق أحدهما عن الآخر، تبعيدا ينقلع عن مماسته انقلاعا عنيفا لسرعة حركة التبعيد، وهذا يتبعه صوت من غير أن يكون هناك قرع."[1]

فالصوت إذن ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها [2]. وما نعرفه على أنه صوت إنساني هو حس يختص الإنسان بإنتاجه وهو : " عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته " [3].

ويشرح الفارابي كيفية إنتاج الإنسان أصواته بقوله : " وظاهر أن تلك التصويتات إنما تكون من القرع بهواء النفس بجزء أو أجزاء من حلقه، أو بشيء من أجزاء ما فيه، وباطن أنفه وشفتيه، فإن هذه هي الأعضاء المعروفة بهواء النفس، والقارع أوَّلا هي القوة التي تُسَّرب هو اء النفس من الرئة وتجويف الحلق أولا إلى طرف الحلق الذي يلي الفم والأنف وإلى ما بين الشفتين. ثم اللسان يلتقي ذلك الهواء، فيضغطه إلى جزء من أجزاء باطن الفم، وإلى جزء من أجزاء أصول الأسنان وإلى الأسنان، فيقرع به ذلك الجزء، فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه ويقرعه به تصويت محدود، وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم فتحدث تصويتات متوالية كثيرة ومحدودة " [4].

فالصوت الإنساني إذن ككل الأصوات إلا أنه " ينشأ من ذبذبات مصدرها الحنجرة، فتحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم والأنف، تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل الأذن " [5].

ب) **الحرف اصطلاحا** : يقول ابن جني : " الحرف حدُّ مُنْقَطَعِ الصوت وغايته وطرَفه . " [6] والسيرافي يقول : " حروف الصفير ... وأصواتها فاشية . " [7] ويفهم من هذه

---

[1] أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسن الطيان، يحي مير علم، (ط:1، دار الفكر، 1983م)، ص: 56، 57.
[2] يراجع: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ، (ط:5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979م.)، ص : 6.
[3] ابن جني، سر صناعة الإعراب، 19/1.
[4] الفارابي، كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، (ط:3، بيروت، لبنان: دار المشرق، 2004م.)، ص : 136.
[5] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 8.
[6] سر صناعة الإعراب، 28/1.
[7] السيرافي، ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تح:صبيح التميمي، (باتنة، الجزائر:دار الشهاب للطباعة والنشر، دت)، ص : 66.

العبارة أن الصوت غير الحرف، وكأنه أراد بالحرف الرمز الكتابي [1]. ويوضح ابن سينا :"ونعني بالحروف كل ما يسمع بالصوت حتى الحركات..والحروف...إما صائتة وإما مصوتة."[2]

والواقع أن كل من أراد تعريف الحرف من اللغويين اعتمد على التفريق بينه وبين الصوت درجاً يُوصل لفهم الحرف، لذلك نجد التعريفات الآتية تقول :

- " فينبغي إذن أن نفرق بين الصوت والحرف، فالصوت نفَس مقذوف من الجوف إلى الحلق، إلى الفم، يخرج مدفوعا مستطيلا متصلا " [3]، وهذا هو الصوت عند محمود محمد شاكر، ليتم كلامه محددا به الحرف كونه الجرس الناتج عن الاعتراض، فيقول : "حتى يعرض له في طريق استطالته واندفاعه ما يثنيه أو يقْفه أو ينكسه، وإنما يعرض له ذلك في الحلق أوالفم أوالشفتين أوالثنايا والأضراس من اللسان، أوفي الخيشوم أوفي أعلى الحنك، على اختلاف في مواقع النفس من كل هذه الأعضاء، فحيث يُعرض للنفس المقذوف من الجوف ما يقفه أويقطعه عن الامتداد والاستطالة جرس يتميز من جراء اختلاف نوع الصوت حيث ينقطع، فانثناء النفس عن المقطع أو وقوفه أو تردده أو ارتداده أو انتكاسه يُحدِث من الجرس ما نسميه « الحرف » . " [4].
- " فالفرق بين الحرف والصوت هو أن الأول يشتمل على معنى، وهو أنه وِحدة بنائية في الكلام وفي اللغة " [5] بينما الثاني لا يمثل وحدة بنائية.
- " الحروف تجريدات والأصوات تحقيقات " [6].

---

[1] يراجع: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، (ط:1، دمشق:دار الفكر، 2000م.)، ص : 217.
[2] الشفاء، الرياضيات، 3 جوامع علم الموسيقى، تح: زكريا يوسف، (ط:2، جامعة الدول العربية، المجمع العربي، 1984م.)، ص:123.
[3] جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جم قد : عادل سليمان جمال، (ط:1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2003م .)، 710/2.
[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[5] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص : 216.
[6] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 153.

- " الصوت هو ذلك الذي نسمعه ونحسه، أما الحرف فهو ذلك الرمز الكتابي الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين، أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى . " [1].

- الفرق بين الصوت والحرف " هو فرق ما بين العمل والنظر، أو بين المثال والباب، أو بين أحد المفردات والقسم الذي يقع فيه، فالصوت عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس، وعلى الأخص السمع والبصر، يؤديه الجهاز النطقي حركة، وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقي حين أدائه، أما الحرف، فهو عنوان مجموعة من الأصوات، يجمعها نسب معين، فهو فكرة عقلية لا عملية عضلية " [2].

مما سبق نجد أن الحرف عبارة " عن رمز كتابي للصوت اللغوي، ولفظ يدل على الصوت اللغوي أيضا، مثل حرف الراء بمعنى صوت الراء، وحرف الميم بمعنى صوت الميم وهكذا " [3].فالحرف يحمل جانب الكتابة والصوت معا.

والصوت الذي هو جزء من الحرف ليس الصوت كظاهرة طبيعية عامة، بل هو الصوت اللغوي الإنساني، والفارابي يرى أن " الأصوات والنغم التي يستعملها الحيوان عند الانفعالات الحادثة فيها، ليست هي التي يستعملها الإنسان علامات في الدلالة على الأمور"[4].

وما زال الحرف والصوت ليومنا هذا على حالهما من الخلط المتوارث بين مفهوميهما، حتى نسب بعضهم الأصوات لعلم اللغة، والحروف للخط أو الكتابة [5].

---

[1] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، (ط:3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997م.)، ص : 83، 84.
[2] تمام حسلن، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص : 132.
[3] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص : 217.
[4] الفرابي، الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة، (القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دت.)ص : 63.
[5] يراجع: حاتم صالح الضامن، علم اللغة، (الموصل: مطبعة التعليم العالي، 1989م.)، ص : 155.

ويمكننا القول أن الحرف يتكون كالآتي:

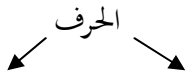

صورة منطوقة (الصوت)　　صورة مرئية (مكتوبة)، رسمه (رمزه)

الحرف بين التوقيف والاصطلاح:

ناقش اللغويون مسألة وجود الحرف في حد ذاته، فمنهم من يراه توقيفا ومنهم من يراه من صنع البشر .

إذ "ذهب بعض الدارسين إلى أن الحرف العربي موقوف منزل من عند الله، أنزله الله على آدم عليه السلام، على ماهو عليه شكلا وعددا، وأنه ليس لبني الإنسان دخل في شأنه وتطوره، وإن سلموا له بشيء من ذلك حصروه في تحسين شكل الحرف وتجميله، وأحاطوا الحرف العربي بهالة من التقديس، ودعموا آراءهم بأحاديث في الموضوع يظهر عليها الوضع والاختلاف . " [1].

لكن هناك من يرى أن " الحرف العربي من عمل الدارسين، نشأ، ونما، وتطور وتفرع كغيره من المعارف والصنائع العربية، بين مستعمليه حتى استوى واكتمل على الشكل الذي نراه اليوم عليه"[2]، فما الحروف العربية إلا بقايا صورة مجسمة كانت ترسم للدلالة على أسمائها وأعمالها، أوهما معا، إذ يقول العقاد : " فالباء هي الحرف الأول من كلمة «بيت» التي كانت ترسم على شكل بيت للدلالة على المبيت أوالمساء، ثم تولَّد منها مقطع بحروفه الثلاثة، ثم تولد من المقطع حرف واحد هو الذي بقي من الصورة كلها، وهو الذي نسميه

[1] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، خلفيات وامتداد، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2007م.)، ص : 29.
[2] المرجع نفسه، ص : 32.

الآن حرف «الباء» ونسمعه فلا يخطر لنا رسم البيت على بال، لأننا تخطينا بالكتابة عهد الصورة الهيروغليفية وعهد المقطع إلى عهد الحروف الأبجدية " [1].

ومع ذلك ففي الحقيقة " أن كل اللغات لم توفق تماما في جعل كل حرف من حروف أبجديتها يدل على صوت محدد، بمعنى : حرف واحد لصوت واحد، وصوت واحد لحرف واحد، ولا يوجد شعب من شعوب الكرة الأرضية إلا ويشكو نظام الكتابة في لغته إنْ قليلا أو كثيرا " [2] .

لكن " الألفباء العربية قد تكون أدق الألفبائيات في العالم كله، لقد خصص أجدادنا حرفا واحدا للصوت الواحد، وصوتا واحدا للحرف الواحد، وهم بذلك يتفوقون على باقي الأمم والشعوب." [3].

" وقد كانت سليقة اللغة العربية، هي الهداية النافعة لعلمائها فيما اختاروه من ترتيب الأبجدية على وضعها الأخير " [4].

عدد الحروف العربية :

هناك اختلاف منذ القدم بين عدِّ حروف الهجاء تسعة وعشرين أو ثمانية وعشرين، يقول ابن جني : " اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا، فأولاها الألف، وآخرها الياء، على المشهور من ترتيب حروف المعجم، إلا أبا العباس *، فإنه كان يعدُّها ثمانية وعشرين حرفا، ويجعل أولها الباء ويدع الألف من أولها، ويقول : هي همزة، ولا تثبت على صورة واحدة، وليست لها صورة مستقرة، فلا أعتدُّها مع الحروف التي أشكالها محفوظة معروفة " [5].

---

[1] اللغة الشاعرة، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م.)، ص 34.
[2] عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية، (الفنولوجيا)، (ط:1، بيروت، لبنان: دار الفكر اللبناني، 1996م.)، ص : 134.
[3] المرجع نفسه، ص: 136.
[4] العقاد، اللغة الشاعرة، ص: 10.
* يقصد، أبا العباس المبرد .
[5] سر صناعة الأعراب، 55/1.

ويرى البعض أن عدد حروف العربية واحد وثلاثون حرفا، منها ثمانية وعشرون أصلية، وثلاثة مدود (ا، و، ي) تأخذ صورة الصوامت (أ، و، ي). [1]

فـ"من المعروف أن حروف الهجاء الصحيحة في العربية الفصحى ثمانية وعشرون، وأن حروف العلة ثلاثة، لكل منها كميتان، إحداهما قصيرة أو حركة، والثانية طويلة أو لين، فمجموع الحروف في العربية الفصحى واحد وثلاثون حرفا، بناء على هذا الفهم، أما أصوات العربية الفصحى فأكثر من ذلك " [2].

ترتيب الحروف العربية :

أما ترتيب حروف الهجاء العربية فهو مُخالف لترتيب الحروف الأخرى المرتبة على أبجد، هو ز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضغظ [3]، وهو الترتيب القديم المعروف عند أكثر الأمم ولا سيما الأمم السامية، وأما العربية فتبتدئ هكذا، أ ب ت ث، مع أن التاء في اللغات الأخرى هي آخر حروفها " [4].

ويتحدث عبد الفتاح عبادة عن واضع هذا الترتيب فيقول : " وهذا الترتيب حديث العهد في اللغة العربية، وضعه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني، في زمن عبد الملك بن مروان، وهو مبني على مشابهة الحروف في الشكل فابتدءا بالألف والباء لأنهما أول الحروف في ترتيب أبجد وعقَّبا بالتاء والثاء لمشابهتهما الباء، ثم ذكر الجيم من حروف أبجد وعقَّبا بالحاء والخاء للمشابهة ثم ذكر الدال وعقَّبا بالذال، ولكون الهاء تشبه أحرف العلة في الخفاء أخراها معها لآخر الحروف، وقبل أن يذكرا الزاي ذكرا الراء المشابهة لها لتكون الزاي مع باقي أحرف الصفير ولذلك ذكرا السين بعد الزاي وعقَّبا بالشين للمشابهة، ثم ذكرا الصاد وعقَّبا بالضاد ثم رجعا للطاء من أبجد وعقبا بالظاء وأخَّرا أحرف «كلمن» حتى يفرغا

---

[1] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 14، 16.
[2] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 116. ويراجع: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، (الأردن: الأزمنة، 1998م.) ص : 97.
[3] يراجع: القلقلشندي، صبح الأعشى، 22/3.
[4] عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي، في العالم الشرقي والعالم الغربي، ص: 24.

من الأحرف المتشابهة، وذكرا العين وعقَّبا بالغين ثم ذكرا الفاء وعقَّبا بالقاف. ثم ذكرا أحرف «كلمن» والهاء وأحرف العلة ." [1].

وفي الواقع " يوجد بين المشارقة والمغاربة فرق بين الترتيب الهجائي والأبجدي * وهذا الاختلاف ينفي عن الحرف صفة التوقيف والتأصيل، لأنها لوكانت منزلة لما اختلفوا في ترتيبها " [2].

والأصل في اختلاف ترتيب الحروف عند المغاربة أنهم يرون ترتيب أبجد عن الأمم القديمة هو : " أبجد، هو ز، حطي، كلمن، صعفص، قرست، ثخذ، ظغش " [3]لذلك اختلف الترتيب الألفبائي عندهم فبعد " ضمِّ كل حرف إلى مايشابهه في الشكل (صارت) هكذا :

« أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ وي » ويراها القلقشندي " ... هـ ولا ي " [4] .

كما أنه " يوجد فرق واضح في إعجام الحروف بين الخط العثماني الذي كتب به المصحف الإمام، وبين الخط المعمول به حاليا في نقطة الفاء بواحدة من تحتها، والقاف بنقطة واحدة من فوقها " [5].

وبين من قال بالتوقيف ومن قال بالاصطلاح في مصدر الحرف العربي، فريق ثالث متوسط لا يقول ما اعتقده هؤلاء، وإن بدا عليه الميل نحو التوقيف، حين يربط الحروف العربية بالظاهرة الكونية كحركة الفلك وعدد البروج والمنازل والأقمار [6]. وقد أشار القلقشندي لرأيهم حين قال : " قال علماء الحرف : وجُعِلت ثمانية وعشرون حرفا على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين، قالوا : ولما كانت المنازل القمرية يظهر منها فوق

---

[1] انتشار الخط العربي، ص : 24.

[*] يسميها القلقشندي، المفرد والمزدوج (المفرد، الهجائي) (المزدوج، الأبجدي)، 22/3.

[2] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية، ص : 31.

[3] يراجع: القلقشندي، ص : 22/3. ويراجع تعليق عبد الفتاح عباده في هامش كتابه : انتشار الخط العربي، ص : 25.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى، 22/3؛ عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط، ص : 25.

[5] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية، ص : 32.

[6] يراجع، مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية، ص : 30.

الأرض أربع عشرة منزلة ويغيب تحت الأرض أربع عشرة كانت هذه الحروف ما يظهر منها من لام التعريف أربعة عشر بعدد المنازل الظاهرة ...، وما يندغم منها أربعة عشر حرفا أيضا بعدد المنازل الغائبة .. ." [1].

ونحن سنخص هذا الفريق بحديث خاص وفيه يتضح رأيهم، لكن بعد أن نتعرف على الصوت اللغوي العربي وما يتدخل في حدوثه من عناصر.

[1] صبح الأعشى، 20/3، 21.

V. الصوت اللغوي

جهازه، مخارجه، صفاته:

إن الصوت بعض الحرف، وقد رأينا كيف تطور هذا الأخير ليختص بصوت لغوي بعينه، وما يجب علينا الآن ضبطه هو العناصر المشكلة لهذا الجانب من الحرف، و التي نبتدئها بجهاز النطق الذي ينتج لنا الصوت اللغوي.

I. جهاز النطق الإنساني:

يتحكم جهاز النطق في إنتاج الأصوات الإنسانية، وهو جهاز معقد متعدد الوظائف؛ هضمي تنفسي[1] محافظ على البقاء، وهو تصويتي أيضا، إذ كيَّفه الإنسان لخدمته تواصليا، فالضرورة الاجتماعية والذكاء الإنساني خلقا وظيفة ثانوية لهذا الجهاز الحيوي، وهي وظيفة النطق اللغوي [2].

يتألف الجهاز النطقي من قسمين، الأول، ما تحت الحنجرة، والثاني، ما فوقها، وما يعنينا فعليا هو القسم الثاني ففيه تضبط مخارج الأصوات.

1. أعضاء النطق مادون الحنجرة :

أ) الحجاب الحاجز : فهو يشكل أرضية القفص الصدري، وهو فاصل عضلي وتري يفصل تجويف الصدر عن تجويف البطن فصلا تاما، وهو مشدود مع العديد من عضلات القفص الصدري كي تعمل معا لتوسيع وتضييق المساحة للرئتين كي (تمتلئا) أوتفرغا من الهواء [3].

---

[1] يراجع: سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، (ط:1، القاهرة: عالم الكتب، 2000م)، ص : 82 . وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 73. وعبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، (ط:1، عمان: دار صفاء، 1998م.)، ص : 22، 24.

[2] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 73.

[3] يراجع: سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، ص : 75، 84 ؛ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص:26.

ب) الرئتان : " هما كتلتان مخروطيتان من مادة إسفنجية عظيمة المرونة يغطيها غشاء بلوري وفيهما تتم عملية تخليص الدم من حمولته من ثاني أكسيد الكربون بواسطة إمداده بالأكسجين النقي من الهواء الخارجي، هذه هي دورة التنفس التي تتم بالشهيق والزفير " [1]. وهذا الأخير مصدر الصوت عند الإنسان [2].

ج)القصبة الهوائية : " وفيها يتخذ الهواء مجراه قبل اندفاعه إلى الحنجرة، وقد كان يظن قديما أن لا أثر لها في الصوت اللغوي، بل هي مجرد طريق للتنفس، ولكن البحوث الحديثة برهنت على أنها تستغل في بعض الأحيان كفراغ رنان ذي أثر بين في درجة الصوت، ولا سيما إذا كان صوتا عميقا " [3].

2. أعضاء النطق ما فوق الحنجرة :

أ) الحنجرة : هي : " غرفة تكييف أساسية لإبراز الصوت، ولمرونة حركتها من أسفل إلى أعلى وأمام وخلف ينشأ رنين خاص للأصوات " [4]، وهي " علبة غضروفية على هيئة قمع تتصل بالطرف الأعلى للقصبة الهو ائية " [5]، وقد أدرك ابن سينا تكونها من غضاريف ثلاثة حين قال : " أما الحنجرة فإنها مركبة من غضاريف ثلاثة " [6]، هي : الغضروف الدرقي، الغضروف الحلقي، الغضروف الطرجهاري [7].

---

[1] سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، ص : 81.
[2] يراجع: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 27.
[3] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 17؛ يراجع: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية ص : 27.
[4] عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 55.
[5] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 28.
[6] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص : 64.
[7] المصدر نفسه، الصفحة نفسها، وحديثا هناك من يرى ما يلي : غضروف درقي، غضروف حلقي، غضروفان مخروطيان، غضروفان قرنيان، يراجع : عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 28، 29.

الشكل: 06 – الحنجرة[1]

ب) الوتران الصوتيان : و" هما أكثر أعضاء الجهاز الصوتي أهمية " [2] فهما رباطان يمتدان وسط الحنجرة، يلتقيان عند تفاحة آدم، ويتشعبان يمينا وشمالا باتجاه الحلق حيث يتحكم الغضروف الطرجهاري بهما [3]، معنى هذا ؛" يتصل الوتران الصوتيان عند أحد الطرفين بالبروز الداخلي للنسيجين الهرميين، وعند الطرف الآخر بالزاوية الأمامية للغضروف الدرقي " [4] يشكل فراغ من تباعدهما يدعي بالمزمار وهو على شكل رقم (٨)، يختلف طول وعرض الوترين بين الرجال والنساء، فهما عند الرجال أطول وأسمك منهما عند النساء والأطفال [5].

---

[1] سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، (ط:1، عمان: دار وائل للنشر، 2003م.)، ص:55.
[2] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص : 33.
[3] يراجع: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ، (ط:2، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1999م .)ص : 52 ؛ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 32.
[4] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (القاهرة:عالم الكتب، 1991م.) ص : 101.
[5] يراجع:أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص :52؛ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 32.

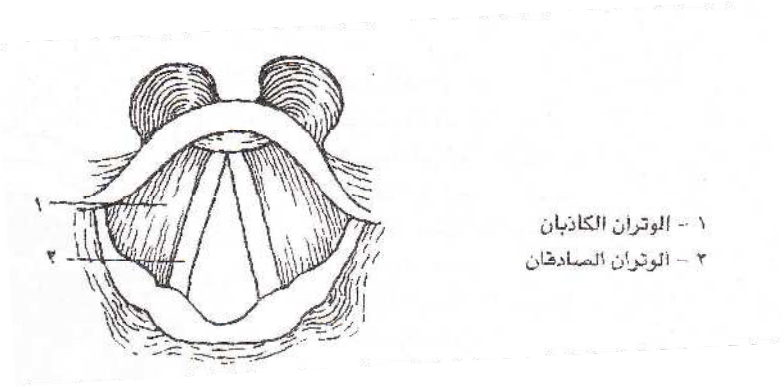

الشكل: 07[1]

الوتران الصوتيان.

تقول أغلب الدراسات أن العرب قديما لم يعرفوا هذا العضو على وجه التحديد، لكن التواتي بن التواتي يؤكد معرفتهم به، إلا أنه لم يُعرف عندهم بهذا اللفظ بل بلفظ الشوارب، وقد رأى إشارات لعدة أعلام لهذا العضو، على رأسهم، ابن جني والسيوطي، وعرَّفها كل من ابن منظور وابن دريد تعريفا يناسب الفهم الحديث [2].

ج)لسان المزمار : البعض يعتبره من غضاريف الحنجرة، وهو " نسيج غضروفي مثلث الشكل يشبه ورقة الشجرة ويوجد خلف قاعدة اللسان وجسم العظم اللامي والغضروف الدرقي "[3]، "وظيفته الأصلية أن يكون بمثابة صمَّام يحمي طريق التنفس أثناء عملية البلع"[4]. كما يرى البعض أن له وظيفة صوتية تتمثل في التأثير على نوع الحركات [5].

[1] سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، ص:102.
[2] يراجع: التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، (دط، الجزائر:دار الوعي للنشر والتوزيع، 2008م)، ص : 134.
[3] محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، (الجزائر: دار الهدى، دت.) ص : 135.
[4] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 17.
[5] يراجع: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية . ص : 31.

الشكل:08- لسان المزمار[1]

د) الحلق : ويقصد به الفراغ الواقع بين الحنجرة وأقصى اللسان، ويستعمل بصفة عامة كفراغ رنان يقوي الأصوات، ويضمها بعد مرورها من الحنجرة [2]، فهو فراغ مفتوح على أربعة تجاويف هي : المري والحنجرة والفم والأنف، حدده القدامى بطرفين أقصاهما الجوف أي الفراغ الداخل على الحلق، وأدناهما اللهاة، وقسموا الحروف التي تصدر منه إلى ثلاثة أقسام [3].

هـ) اللسان : " يعتبر اللسان العضو المهم في تشكيل بنية العملية النطقية " [4] فهو " يحتوي على عدد كبير من العضلات التي تمكنه من التحرك والامتداد والانكماش والالتواء عند مختلف الجهات"[5]، فيستطيع أن " يكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة "[6].

قسمه البعض إلى أقسام ثلاثة هي : أوَّله (طرفه)، ووسطه وأقصاه [7].

ومنهم من فصل ذلك إلى أربعة أقسام كما فعل سيبويه قديما فهي عنده : أقصى اللسان، ووسطه، وطرفه، وجانبه [8]، وهي أيضا خمسة أقسام عند البعض : نهاية اللسان (حدُّه، ذولقه)، طرفه، وسطه أومقدمه، مؤخرة اللسان أو أقصاه، أصله أوجذره [9].

---

[1] سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص:58.
[2] يراجع: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 18؛ الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص : 136.
[3] يراجع: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص : 53؛ عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص : 27.
[4] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 136.
[5] الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص : 136.
[6] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 18.
[7] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها؛ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ص : 53، 54.
[8] يراجع سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، (بيروت:دار الجيل، دت). 433/4.
[9] يراجع: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 36، 37.

وقد أطلق العرب على الجزء عينه أسماء مختلفة حسب حاله عند النطق أوالحركة وعدمها، فمثلا : طرف اللسان سمي «أسلة» إذا كان يابسا كإطلاقه حروف الصفير وسمي «ذولقا» إذا كان رخوا يتحرك بسهو لة كنطق الراء واللام [1].

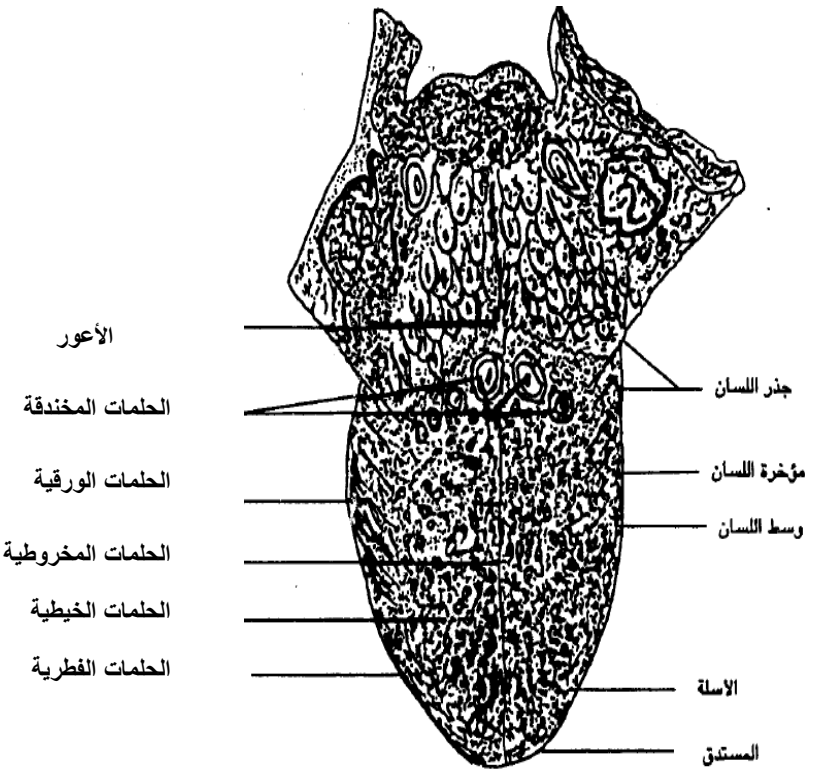

الشكل: 09 – رسم يوضح عضو اللسان [2]

يقع اللسان في الفك السفلي وهو جزء متحرك سمي أيضا الحنك الأسفل، بينما يعلوه الحنك الأعلى وقد عرَّف القدامى أجزاء اللسان بناء على مقابلته لأجزاء الحنك الأعلى .

[1] يراجع: كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص : 19.
[2] سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص:26.

إذن الحنك الأعلى هو سقف الفم وهو " العضو الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة"[1]. وهو ينقسم إلى أجزاء هي من أهم أعضاء الجهاز النطقي ففيه :

و) مؤخرة الحنك أوأقصاه : أي الجزء الخلفي القريب من الحلق [2]. وهو يتألف من :

1. اللهاة أوالطلاطلة : هي جلدة في أقصى الفم تتدلى في طرفها الأسف زائدة لحمية صغيرة، المسماة اللهاة [3] . تعمل صماما للهو ء الخارج من الحنجرة [4].

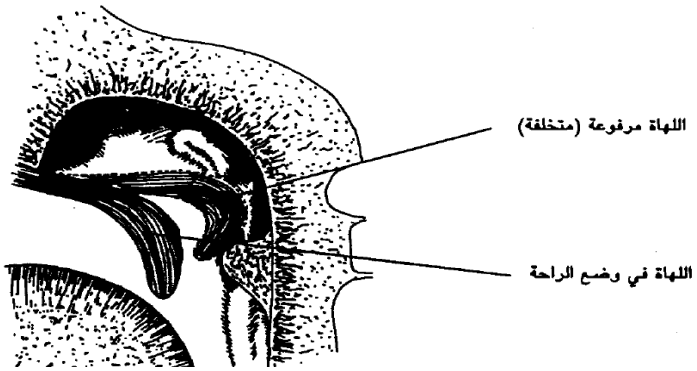

الشكل:10- اللهاة في وضع الراحة والارتفاع[5]

2. مايسميه البعض: الحنك اللين وهو الطبق، نظرا لحركته التي تؤثر مباشرة في تلونات الصوت وتشكيلاته [6] وقد أطلق عليه قديما تسمية (الحفاف)، وهو الذي يتحكم في حركة اللهاة كي تشد وتفتح المجرى الأنفي [7].

ز) وسط الحنك : وهو الذي يلي المؤخرة، ذوطبيعة صلبة يسمى بـ : الغار أوالحنك الصلب [8] ويلاحظ أنه محدب ومحزز [9] .

---

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 18.
[2] عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص 64.
[3] يراجع: كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص : 18.
[4] يراجع: الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص : 137؛ عبد العزيز الصيغ، المصلح الصوتي، ص : 26 – 30.
[5] سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص:51
[6] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 38.
[7] يراجع: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص : 37.
[8] يراجع: عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص :64؛ عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص : 137؛ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 38.
[9] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص : 54.

ح)مقدم الحنك : وهو الذي يلي الحنك الصلب [1] وتقع فيه :

1.اللثة : هي اللحم الرقيق الذي يحيط بالأسنان في أصولها [2]، وهي تضم أصول الثنايا أي منابتها، وهي آخر نقطة في الحنك الأعلى على حد وصف سيبويه [3] وهي ما سماه الخليل بالنطع [4] .

2.الأسنان : نقصد الأسنان كلها، وتُعد " عضوا عاملا في الصوت، وسقوطها يؤثر على صفات بعض الحروف " [5] وعددها الكامل اثنتان وثلاثون، موزعة على الفك السفلي والعلوي، مرتبة كالتالي :

- الثنايا : مفردها ثنية وهي السن، تقع في الجزء الأمامي من الفم وتظهر عند فتح الشفتين.

- الرباعيات : وهي أربعة أسنان تأتي بعد الثنايا، اثنان في الصف الأعلى واثنان في الأسفل.

- الأنياب:وهي الأسنان الأربعة التي تقع بعد الرباعيات مقسمة على الفك العلوي والسفلي.

- الضواحك : أربعة أيضا تلي الأنياب، مفردها ضاحكة.

- الأضراس : آخر الفم وعددها ست من أسفل ومثلها من أعلى [6] .

---

[1] عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 64.

[2] يراجع: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص : 152.

[3] يراجع، مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية، ص : 152.

[44] الخليل، العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج1، (سلسلة المعاجم والفهارس.) 65/1..

[5] مكي درار، الحروف العربية وتبديلاتها الصوتية، ص : 154؛ يراجع عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 65.

[6] يراجع: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص : 39، 40؛ مكي درار، الحروف العربي، ص: 153، 158؛ عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 65، 66.

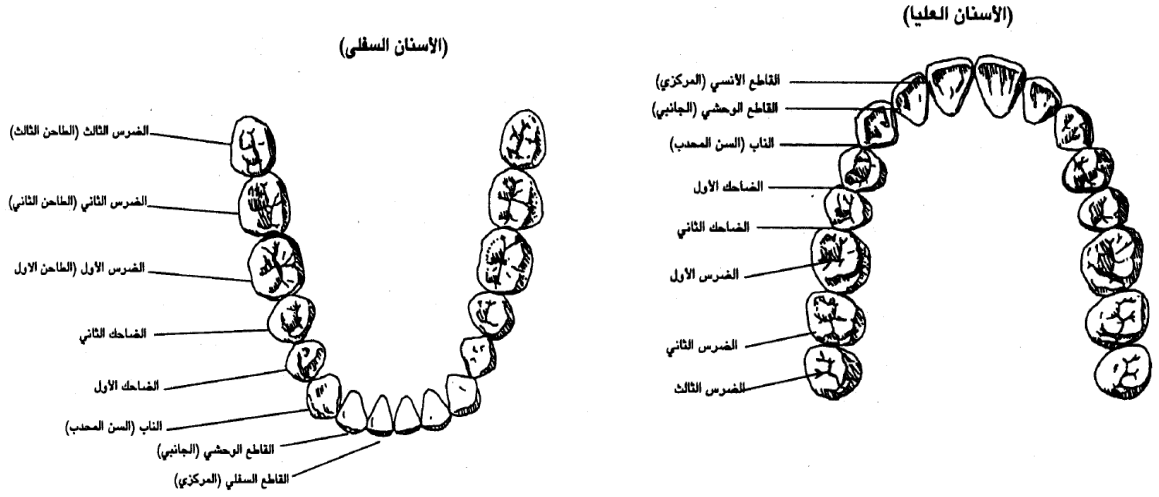

الشكل:11 – الأسنان العلوية والسفلية.[1]

ط) التجويف الأنفي (الخيشوم، الأنف) : وهو أحد التجاويف المهمة في الجهاز النطقي، فهو فراغ رنيني يلون الصوت ويكيفه ويُكسبه نغما مؤثرا دافئا [2] . يمتد التجويف الأنفي من وراء الطبق أعلى الحلق إلى فتحتي المنخرين و" يضم مسارب يمر بها الهواء في أثناء التنفس والكلام، وهو حجرة ذات مهام متعددة منها تنقية الهواء الداخل إلى الرئتين في عملية الشهيق، وكذلك تدفئته وتلطيفه ليكون مناسبا لحرارة الجسم ووظيفة الشم من اختصاصه " [3] .

[1] سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص:41.
[2] يراجع: مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية، ص : 159.
[3] يراجع: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص : 55.

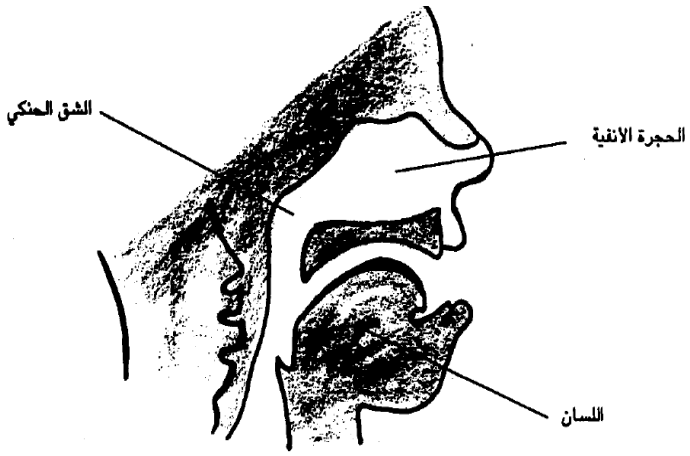

الشكل:12 -رسم يوضح موضع الحجرة الأنفية [1]

ي)الشفتان : " هما عضلتان ينتهي بهما الفم " [2] و" تقومان بعملية إغلاقه أحيانا والتحكم في فتحة الفم أحيانا أخرى بحيث تكون مستديرة تارة ومستطيلة تارة أخرى "[3]، فالشفتان هما العضو الظاهر أولا عند الكلام، لذلك قد ترمزان إلى عملية النطق كلها " [4] و" دورهما في تأدية الحركات أبرز من دورهما في تأدية الأصوات الصامتة " [5] .

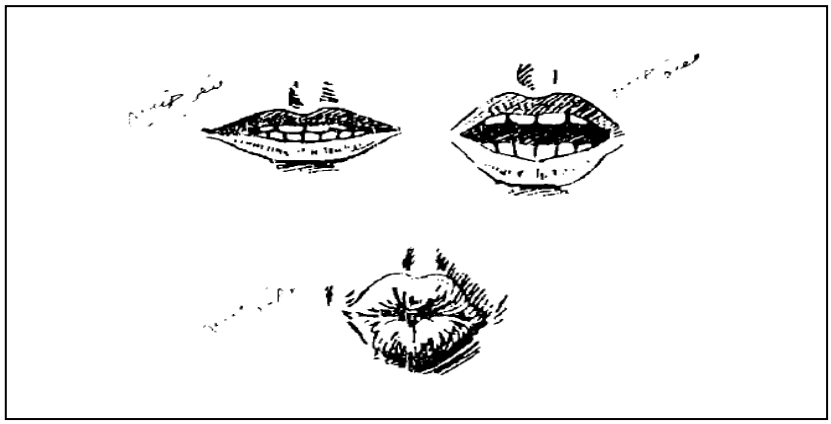

الشكل: 13 – الشفتان في بعض وضعيات الحركة [6]

[1] سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص:46.
[2] السيد أحمد عبد الغفار، الكلمة العربية كتابتها ونطقها، النطق، (ط:2، دار المعرفة الجامعية، 2006م).14/2.
[3] عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 66.
[4] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص : 55، 66.
[5] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص : 48.
[6] غانم قدوري الحمد، علم التجويد، ص: 76.

وتتوزع نقاط حدوث الأصوات على أعضاء هذا الجهاز ؛وهي ما يطلق عليه مصطلح المخارج .

II. مخارج الحروف العربية :

لغة " الخروج نقيض الدخول، خرج، يخرج، خروجا، مخرجا ... " قد يكون المخرج موضع الخروج، يقال : خرج مخرجا حسنا، وهذا مخرجه " [1].

والمخرج بفتح الميم، وهو اسم لمكان تحدث فيه عملية الخروج، ودلالة الخروج من الموضع تكون للظهور والمفارقة والانتقال والترك " [2] .

وتفيد دلالة هذه الكلمة، وجود جسم وجودا حقيقيا مستقلا يقوم بعملية المفارقة التي هي الانتقال والتحول [3] .

أما المخرج اصطلاحا فهو :" النقطة التي يلتقي عندها طرفان من جدران أعضاء النطق ليمر الهواء بينهما " [4] فهو إذن " مكان النطق الذي يحدث فيه التصويت " [5] .

يرى البعض أن هناك اختلافا بين المفهوم الاصطلاحي واللغوي للمخرج، كما يقول مكي درار : " فالمخرج في اصطلاح الدارسين نقطة حدوث الصوت، وموضع وجوده في موضع من مواضع الجهاز النقطي، مبدأ ووسط، أو منتهى وبهذا تكون دلالة المخرج في اللغة تخالف دلالته في هذا الموضع ففي اللغة هو موضع مرور وانتقال وتحول وفي الاصطلاح موضع حدوث وإنشاء وتكون"[6].

---

[1] ابن منظور، اللسان، 249/2.
[2] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية، ص : 65.
[3] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
[4] حسن ظاظا، كلام العرب، ص : 11.
[5] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص : 60؛ يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 110.
[6] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية، ص : 65.

والحقيقة أننا نُخالفه الرأي، لأن المعنيين اتفقا اتفاقا تاما، لأن مفهوم الترك والانتقال والتحول والمرور عندنا في مخرج الصوت موجود، فالصوت ما هو إلا هواء زفير عادي يترك وينتقل من الوسط الداخلي (الجوف) ليبلغ الوسط الخارجي، (الهواء الخارجي)، مارا بمخارج يضمها مقر كبير هو : الفم من الحنجرة حتى الشفتين، إلا أن انتقاله من الداخل تاركا ومغادرا إلى الخارج مارا بنقطة حدوثه التي ستظهر بصورة خاصة، وهي هيئته الخاصة به التي سيتميز بها كصوت معين، يشبه هذا تواجد الجنين في بطن أمه وخروجه إلى العالم، نقول عنه خلق وولد، ولا نقول عنه ترك وفارق، والخارج هو نفسه من كان بالداخل، إلا أنه ظهر لحاسة من حواسنا هي البصر واللمس . كما ظهر الصوت بعد صدوره من مخرجه إلى الحاسة الخاصة باستقباله وهي السمع .

ونحن في هذا البحث، سنُعنَى بمخرج كل صوت في حينه، لذلك فإن مناقشة مخارج الأصوات هنا بين القدامى والمحدثين سيعد من قبيل الحشو والتكرار، فاخترنا تقديمها في جدول موجزة، كي لا نخل بالمنهج السليم الذي يتتبعه الباحث في الصوت؛ جهازا، فمخرجا، فصفة.

مخارج الأصوات عند القدامى[1] والمحدثين [2]:

القدامى						المحدثون	
اسم المخرج	مكان المخرج	الأصوات				مكان المخرج	اسمه
حلقي	من أسفل الحلق إلى أقصاه	ء ا ه		ء ح		ما بين الوترين الصوتيين بالحنجرة	حنجري
	من وسط الحلق	ع ح		ع ح		بين الحلق ومؤخرة اللسان	حلقي
لهوي	مما فوق ذلك نحو الفم	غ خ	ق	ق	ك غ خ	بين اللهاة ومؤخرة اللسان	لهوي
شجري عند الخليل	من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس يمينا أويسارا	ج ش ي	ض	ج ش ي		ما بين الطبق وما يقابله من اللسان حين يرتفع إليه.	طبقي
شجري	من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى	ج ش ي	ض	ج ش ي		بين وسط اللسان والغار	غاري
لهوي	من أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم	ك	ق	ك غ خ		ما بين الطبق وما يقابله من اللسان حين يرتفع إليه.	طبقي
ذلقي	من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية.	ل	ل	ل ن ر		بين طرف اللسان واللثة	لثوي
	من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا	ن	ن				
	أدخل في ظهر اللسان من مخرج النون لانحرافه إلى اللام	ر	ر				
نطعي	مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا	ط د ت	ط د ت	ط د ت		بين طرف اللسان وأصول الأسنان العلوية	لثوي أسناني
أسلي	مما بين الثنايا وطرف اللسان	ص ز س	ص ز س	ض ص ز س			
لثوي	مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا	ظ ذ ث	ظ ذ ث	ظ ذ ث		طرف اللسان والأسنان العلوية	أسناني
شفهي أوشفوي	من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى	ف	ف	ف		ما بين الأسنان العلوية والشفة السفلية	أسناني شفوي
خنشومي	مما بين الشفتين	ب م و	ب م و			ما بين الشفتين	شفوي
	من الخيشوم	ن الخفيّة	ن الخفيّة				

الجدول:13- مخارج الأصوات بين القدامى والمحدثين.

[1] يراجع: العين، 57/1، 58؛ الكتاب، 433/4، 434؛ النشر، 163/1، 164.
[2] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث اللغوي ص : 110، 111؛ عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 165 – 177.

III. صفات الأصوات :

الأصوات لا تدرك ولا تميز صفاتها إلا من أذن ذوَّاقة، فهي تقوم " بدور أساس في حياة الإنسان الجسدية والنفسية والاجتماعية، هي الآلة التي يستيقظ بها الإنسان على وجود ذاته، وهي التي تتلقى الصوت الناتج عن اهتزاز جسم ما بتأثير قوة ما، وتحوله من إشارات مادية إلى إشارات عصبية تنتقل إلى الدماغ الذي يفسرها، ويحولها إلى أفكار ومفاهيم في ذهن الإنسان، ويظل استعمال الحنجرة في الكلام الإنساني مشروطا باستماع الأذن له"[1] .

فالقدامى من اللغويين العرب أدركوا صفات الأصوات، وأجادوا ضبطها بناء على هذه الحاسة الذواقة.

وعلينا أولا أن ندقق في مفهوم هذا اللفظ : «الصفة»، فلغة نقول: " وَصَفَ الشيء له وعليه وَصْفًا وصفة : حلَّاه ..، وقيل : الوَصْف المصدر والصِّفة الحِلية ... الوَصْف وَصْفُكَ الشيء بحِليته ونعْتِه . " [2] .

يرى صبحي الصالح أنَّ"معرفة المخرج بمنزلة الوزن والمقدار، ومعرفة الصفة بمنزلة المحك والمعيار " [3]، ويضيف مكي درار لهذا الفهم قوله : " لأن مخرج الصوت يحقق وجوده، وصفته تلون ذاته " [4]، فالمخرج هو الجانب العضوي والفزيولوجي للصوت، والصفة هي الجانب النفسي الفيزيائي له . [5]

لذا فنحن بحاجة لمعرفة صفات الأصوات كي نستطيع الحديث عن معانيها لاحقا، لأن هذه الأخيرة متعاضدة معها ولا تدرك إلا بها . وصفات الأصوات العربية هي الآتية * :

---

[1] أحمد زرقة، أسرار الحروف، ص : 58.
[2] ابن منظور، لسان العرب، 4849/6.
[3] دراسات في فقه اللغة، (ط : 14، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 2006 م) ص : 277.
[4] الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية، ص : 84.
[5] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
* نوردها دون مناقشة الفروقات بين القدامى والمحدثين، أوتقسيمها إلى خاصة وعامة، لأنه لا فائدة من ذلك في مقامنا هذا.

1. الجهر والهمس :

أ/ المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت [1] . وهو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان نتيجة انقباض فتحة المزمار وضيق مجرى الهواء، واقتراب الوترين الصوتيين اقترابا يسمح للهواء بالتأثير فيهما بالاهتزاز، حروفه : ء ع غ ي ج ل ن ر ز ض ظ ط د ذ ب م و. [2]

ب/ المهموس حرف أضعف الاعتماد في موضعه، حتى يجري معه النفس [3]، وهو الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان نتيجة انبساط فتحة المزمار واتساع مجرى الهواء وابتعاد الوترين الصوتيين، بحيث لا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز، حروفه : ح ث ه ش خ ص ف س ك ت . [4].

2. الشدة والرخاوة والتوسط :

أ/ الشديد (الانفجاري)، حرف يمنع الصوت من أن يجري فيه [5]، وهو الذي يحدث عند التقاء عضوي النطق التقاء محكما يمنع الهواء من المرور، ثم ينفصل العضوان بسرعة فينشأ عنهما صوت قوي له دوي، يسمى حديثا انفجاريا، حروفه : ء ق ك د ض ط ت ب .[6]

ب/ الرخو(الاحتكاكي)، هو الذي يجري فيه الصوت [7]، وهو الصوت الذي يحدث عند التقاء عضوي النطق التقاء غير محكم يسمح للهواء المندفع من الرئتين بالمرور مع

---

[1] يراجع: الكتاب، 434/4؛ سر صناعة الأعراب، 75/1؛ النشر، 165/1.
[2] يراجع: عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 185، 193.
[3] يراجع: الكتاب، 434/4 ؛ سر صناعة الأعراب، 75/1؛ النشر، 165/1.
[4] يراجع: عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 185، 193.
[5] يراجع: الكتاب، 434/4؛ سر صناعة الأعراب، 75/1؛ النشر، 165/1.
[6] يراجع: عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 193، 194.
[7] يراجع: الكتاب، 434/4؛ سر صناعة الأعراب، 75/1؛ النشر، 165/1.

إحداث نوع من الحفيف لاحتكاكه بأعضاء النطق، وحروفه هي : هـ ع ح غ خ ش ز س ص ظ ذ ث ف [1] .

ج/ المتوسط (المائع)، هو الذي بين الشدة والرخاوة [2]، لكن ضبطه الفيزيائي يؤكد أنه بين كيفية حدوث كل الصوامت، وبين كيفية حدوث الصوائت، فهو ليس أضيق مخرجا من الرخووأكثر من الشديد، بل هو قريب من الصوائت اتساعا للمجرى، لذا سميت أصواته بالشبيهة بالحركة وهي : ل ن ر م وي . [3]

3. الإطباق والانفتاح:

الإطباق هو أن ترفع لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له، وحروفه : ص ض ط ظ، وما سوى هذه الأصوات مفتوح غير مطبق، أي لا ترفع فيه لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا[4] .

4. الاستعلاء والاستفال:

الاستعلاء أن تتصعد الحروف في الحنك الأعلى، وحروفه : خ ص ض غ ط ق ظ، أما الاستفال فهو أن تنخفض الحروف، وله باقي الحروف [5].

5. الانحراف :

عندما ينحرف اللسان مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضها له، فيخرج الصوت من الناحيتين [6]، وقيل من ناحية واحدة وهو حرف اللام [7] .

---

[1] يراجع: الصوتيات اللغوية، ص : 193، 194.
[2] يراجع: الكتاب، 435/4؛ سر صناعة الأعراب، 75/1؛ النشر، 165/1.
[3] كمال بشر، علم الأصوات، ص : 358، 360؛ يراجع: الصوتيات اللغوية، ص : 193، 194.
[4] يراجع: الكتاب 436/4؛ سر صناعة الأعراب 76/1؛ النشر 166/1.؛ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 271، 272
[5] يراجع: سر صناعة الأعراب 76/1؛ النشر 165/1؛ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 272، 273
[6] يراجع: الكتاب 435/4؛ سر صناعة الأعراب 77/1 .
[7] محمد فتح الله الصغير، الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، (ط:1، الأردن:عالم الكتب الحديث، 2008م.)، ص : 86.

6. التكرار :

صفة التكرار في الحرف معناها أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير[1] . وهو لحرف الراء، أي: " تكريرها... في اللفظ وإعادتها بعد قطعها، ويتحفظون من إظهار تكريرها خصوصا إذا شددت " [2] .

7. القلقلة :

نقول الحرف المقلقل أوالحرف المشرب، يُحفز في الوقف ويضغط عن موضعه، حروفه: ق ج ط د ب [3] والقلقلة – في حقيقة وضعها – ليست إلا مبالغة في الجهر بالصوت لئلا يعتريه بعض من الهمس " [4].

8. الذلاقة والإصمات :

المذلق حرف يعتمد عليه بذلق اللسان، وهو صدره وطرفه [5]، والذلاقة صفة تلحق بعض الأصوات، وهي الخفة والسلاسة على اللسان، وحروفه هي : ر ل ن ف ب م [6]، وباقي الحروف مصمت، لا يبني وحده كلمة عربية رباعية أوخماسية [7] .

9. الغنة :

نقول: الحرف الأغن، ويسمى كذلك لما فيه من غنة متصلة بالخيشوم، وحرفاه : م ن [8]، ويشرح سيبويه كيف يحدث ذلك قائلا : " ومنها حرف شديد يجري معه الصوت لأن

---

[1] يراجع: سر صناعة الأعراب، 77/1.
[2] النشر، 167/1.
[3] يراجع، سر صناعة الأعراب، 77/1.
[4] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 278.
[5] يراجع: سر صناعة الأعراب، 78/1.
[6] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 278.
[7] يراجع: سر صناعة الأعراب، 78/1، 79.
[8] يراجع: النشر، 167/1

ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون وكذلك الميم"[1] .

10.الاستطالة:

لحرف " استطال .. عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام، وذلك لما فيه من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء "[2]وحرفه الضاد.

11.التفشي:

لحرف الشين لأنه تفشى في مخرجه حتى اتصل بمخرج الطاء [3] .وصوته يمتاز بانتشار الهواء في الفم وزيادة في التصويت[4].

12.الصفير :

وحروف الصفير هي الصاد والسين والزاي [5]، وحملت هذه الأصوات تلك الصفة، لأنها يصفر بها، وتتميز بالحدة والشدة والوضوح السمعي واحتكاكيتها [6] .

هذه هي صفات الحروف العربية كما ضبطها القدامى والمحدثون، ولنا وقفة في فصلنا الثالث معها، لنرى كيف ينقل الصوت المعاني بواسطتها.

---

[1] الكتاب، 435/4.
[2] النشر، 167/1.
[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها .
[4] يراجع، عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص:182.
[5] سر صناعة الأعراب، 432/2.
[6] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص:284.

VI. أسرار الحرف عند المتصوفة:

كثيرا ما نرى في الرقش العربي حروفا منفصلة، أو مبهمة، كانت هي ذاتها أساسا لموضوع لوحة فنية، ويرجع ذلك إلى أن العرب وفي الإسلام خاصة، قد أعطوا لكل حرف مدلولا خاصا [1].

وقد أبحر المتصوفة – خاصة – في مجال الحرف العربي وأسراره وكذا خواصه، وقدَّموا فيه الكثير، فلم يكن لهم أن يتجاهلوا هذا اللون من التأمل، وهم أهل الباطن والتعمق، وخاصة إذا كان الاهتمام بحقائق الحروف قد أعان على إثارة ما كان يدور من نقاش حول المعاني المقصودة من الحروف المقطعة التي تتصدَّر بعض السُّور القرآنية [2].

و"يشكل التصوف أحد التيارات الرئيسة في الحياة الروحية الإسلامية، وقد ظهر، منذ فجر الإسلام، ولا يزال قائما لأيامنا [3]. وقد انفرد بهذا الاسم خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله تعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة [4].

و يبنى لفظ التصوف من أربعة أحرف، تاء، صاد، واو، فاء، فالتاء من التوبة وهو على وجهين توبة الظاهر وتوبة الباطن، والصاد من الصفاء وهو أيضا على وجهين صفاء القلب وصفاء السر، أما الواو فهو من الوِلاية وهي تترتب على التصفية، وأخيرا الفاء وهو الفناء في الله ﷻ .[5]

وقد اختلفت الآراء في مصدر هذه التسمية، موجزها أن هذه الألفاظ :(التصوف، الصوفي)، من «الصُّوف»، الذي يتميز الزهَّاد والنسَّاك بلبس الخشن منه، وهناك أقوال مختلفة أخرى في اشتقاقها : من «الصّفة»، وهي مقعد مغطى خارج المسجد الذي أمر

---

[1] عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 100.

[2] سهل التستري، رسالة الحروف، تح : محمد كمال جعفر، (مصر: دار المعارف، 1974م.) ص : 359.

[3] أرثور سعدييف، توفيق سلوم، الفلسفة العربية الإسلامية (ط :1، بيروت، لبنان، دار الفرابي، 2000م)، ص : 275.

[4] يراجع : عبده الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها (ط : 4، بيروت، دار صادر، 1965 م) ص: 445.

[5] يراجع: محي الدين عبد القادر الجيلي، سر الأسرار ومظهر الأنوار (د ط : المطبعة البهية المصرية، د ت)، ص : 36، 39.

الرسول ﷺ ببنائه في المدينة، كان يأوي إليه بعض المسلمين، ومن «الصَّفّ» الأول من بين المؤمنين في الصلاة، وهم في الآخرة في «الصف» الأقرب إلى الله، ومن «الصفا»، أي الطهر الروحي، حيث صفا أهله من الشرور وأكدار الدنيا وشهو اتها، ومن اللفظة اليونانية «صوفيا» ومعناها الحكمة لما في المتصوفة من فلسفة وهذا أضعف التفسيرات [1].

ويرى القشيري (ت 465) أنه " لم يُشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق." [2] أما معناه فهو : " رياضة النفس، ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر، والإخلاص والصدق ."[3].

لقد اهتم المتصوفة بالحروف، فكان منهم من اهتم بالحرف لاعتبار القيم العددية له، وقصد بعضهم هذا العلم لاكتساب السيطرة والتحكم في المادة، كما هدف آخرون إلى رصد الحروف للتَّمثُّل كقادة سياسيين أو روحيين.[4] ومن هؤلاء كان مسلمة المجريطي (395 هـ) وجابر بن حيان (160 هـ) فقد أعلنوا منهجهم وغايتهم في الحصول على قِوى إعجازية للسيطرة على المادة، والقدرة على تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة [5].

ولكننا عندما ننظر إلى الطابع الذي يُميز دراسة المتصوفة الخُلَّص للحروف، نجد أنه يختلف اختلافا جوهريا عما سبق من دراسات، سواء كان ذلك من حيث طريقة التناول أومن حيث الهدف المقصود من هذه الدراسة والتأمل [6].

ومما ظهر من اهتمامات بعلم الحروف يستنتج بأنه ينبغي أن ينظر إليه في مستويات مختلفة، ويمكن في الجملة إرجاعها إلى العوا لم الثلاثة: الحس والمعنى والخيال ؛ أوالجسم والعقل والروح، فبالنظر إلى دلالته العليا، هو معرفة كل الأشياء في المبدأ نفسه، من حيث هي

---

[1] يراجع: أبوالقاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، وضع حواشيه خليل المنصور، (د ط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2001 م)، ص : 312، ويراجع ابن الجوزي، تلبيس ابليس (د ط، دار ابن خلدون، د ت) ص : 163، 165. ويراجع: فيصل بديرعون، التصوف الإسلامي (الطريق والرجال)، (د ط، مكتبة سعيد رأفت، 1983 م)، ص : 42، 45.

[2] القشيري، الرسالة القشيرية، ص : 312.

[3] ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص : 165.

[4] يراجع: سهل التستري ، رسالة الحروف، ص : 361.

[5] يراجع: المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[6] يراجع: المصدر السابق، ص : 360، 361.

ماهيات أزلية من وراء كل ظهو ر، أي من حيث هي أعيان ثابتة في العالم الإلهي الأزلي المحيط، وبالنظر إلى دلالته الوسطى، علم الحروف هو علم نشأة الكون وتشكيله، أي معرفة إبداع وتكوين عالم الظاهر، وأخيرا بالنظر إلى دلالته الدنيا هو معرفة خواص الأسماء والأعداد من حيث أنها تعبر عن طبيعة كل كائن، وهي المعرفة التي يمكن تطبيقها في التصرف بحكم هذا التناسب، بواسطة تأثير نمط خفي لطيف على الكائنات نفسها وعلى الحوادث المتعلقة بها.[1]وهذا الأخير هو المجال الذي خاضه البوني مثلا في شمس المعارف ومنبع أصول الحكمة.أما المستويين الأول والثاني فهما ما تحدث فيه التصوف العرفاني السامي ومن شيوخه ابن عربي والجيلي.[2]

كما اهتم ابن سينا بدوره بعلم الحروف، وخصص له رسالة عنونها بـ «الرسالة النيروزية» تحدث فيها عن معاني الحروف بمنهج علم الحروف، وهو حديث معقد صعب على طالب مثلنا متابعته [3].

وفي باب عنونه ابن منظور(ت:630هـ) بـ : « باب ألقاب الحروف وخواصها» يقدم خواص الحروف ويعرِّف بمهامها، كما يلوم من يُعرض عن هذا العلم، ويرفض التعرف عليه [4]

فيقول :"ولها خصوصية بالأفلاك المقدسة ومُلاءمة لها، ومنافع لا يحصيها من يصفها .. منها ما هو حار يابس طبْع النار، وهو : الألف، الهاء، الطاء، الميم، الفاء، الشين، والذال، وله خصوصية بالمثلثة النارية * ومنها ما هو بارد يابس طبع التراب، وهو : الباء

---

[1] يراجع:
rené guénan, la sciences des lettres , symboles de la sience scrée,(France,édition gallimard,1962), p: 54-48
تر وتع : الشيخ عبد الباقي مفتاح، ضمن "التصوف الإسلامي المقارن وتأثير الحضارة الإسلامية في الغرب مع بحوث أخرى"، ص: 47، مخطوط ملك صاحبه؛ ويراجع: عبد الباقي مفتاح، المفاتيح الوجودية والقرآنية لكتاب فصوص الحكم لابن عربي، (دط، بيروت: دار البراق للنشر والتوزيع، 2005م.)، ص:34.

[2] يراجع: الهامش من تعليق عبد الباقي مفتاح على مقال: علم الحروف، المرجع السابق، ص: 51.

[3] يتحدث ابن سينا في هذه الرسالة عن قضايا ثلاث وهي : ترتيب الموجودات والدلالة على خاصية كل مرتبة من مراتبها، والإشارة إلى كيفية دلالة الحروف عليها، ثم الغرض من ذلك.
يراجع: ابن سينا، تسع رسايل في الحكمة والطبيعيات، (ط : 2، القاهرة، دار العرب للبستاني، د ق)، ص : 133، 141.

[4] لسان العرب، 19/1، 20.

* تُقسَّم البروج إلى أقسام العناصر، فبعض البروج نارية (حارة، جافة) وهي : الحمل والأسد والقوس، وهي المثلثة النارية، والأخرى ترابية وتضم (الثور والعذراء والجدي) وتسمى المثلثة الترابية، والمثلثة الهوائية، وفيها الجوزاء، الميزان والدلو، أما المثلثة المائية، فهي : السرطان، العقرب والحوت.

والواو، والياء، والنون، والصاد، والتاء، والضاد، وله خصوصية بالمثلثة الترابية، ومنها ما هو حار رطب طبع الهواء، وهو : الجيم، الزاي، والكاف، والسين، والقاف، والثاء، والظاء، وله خصوصية بالمثلثة الهوائية، ومنها ما هو بارد رطب طبع الماء، وهو الدال، والحاء، واللام، والعين، والراء، والخاء، والغين وله خصوصية بالمثلثة المائية."[1]

أيضا تحدث ابن خلدون عن علم أسرار الحروف، ووصف أهله وأنواعهم، وقدَّم نماذج لطرق استخدام الحرف بقيمته العددية في علاج المرضى وغيره من الاستخدامات.[2]

وللحرف قيمة عددية يعتمد عليها المهتمون بعلم أسرار الحروف، ويسمى هذا حساب الجمَّل " فقد أقاموا الحروف على وحدات تتكون كل واحدة من تسعة أرقام، فالحروف التسعة الأولى وهي : الألف والباء والجيم والدال والهاء والواو والزاي والحاء والطاء تحمل الآحاد، والتسعة الثانية هي : الياء والكاف واللام والميم والنون والسين والعين والفاء والصاد تحمل العشرات، والتسعة الثالثة وهي القاف والراء والشين والتاء والثاء والخاء والذال والضاد والظاء تحمل المئات، ويحمل الرقم الأخير وهو الغين الألف."[3] وهذا هو الحساب الكبير وهناك الصغير وليس فيه سوى الآحاد من واحد إلى تسعة، يختص الأول بمظاهر التفصيل الكوني في حضرات الصفات والأسماء والأفعال، أما الثاني فيتعلق خصوصا بمظاهر الإجمال الإنساني في حضرات الذات. ولكل واحد منهما شكله عند أهل المشرق وآخر مخالف له عند أهل المغرب.[4]

---

[1] لسان العرب، 19/1.
[2] ابن خلدون، المقدمة، ص : 547، 573.
[3] أحمد مطلوب، الأرقام العربية، (ط:2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983م.)، ص : 10.
[4] يراجع: عبد الباقي مفتاح، المفاتيح الوجودية والقرآنية لكتاب فصوص الحكم لابن عربي، ص:36.

أ	1	ح	8	س	60	ت	400
ب	2	ط	9	ع	70	ث	500
ج	3	ي	10	ف	80	خ	600
د	4	ك	20	ص	90	ذ	700
هـ	5	ل	40	ق	100	ض	800
و	6	م	50	ر	200	ظ	900
ز	7	ن	60	ش	300	غ	1000

الجدول: 14-جدول حساب الجمَّل

ويرى مكي درَّار أن من هؤلاء الذين اهتموا بالحرف المفرد ومعناه من حاد عن المنهج العلمي والمجال العملي، إلى ألوان من التفلسف وعلم السحر والطلسمات [1]. ونحن لن نتوجه إلى من خرج عن حدود المقبول، لكننا سنحدث في بحثنا هذا عمَّا قيل عن معنى الحرف عند شيوخ المتصوفة، لنضعه بصورة مختلفة موازيا للدرس اللغوي.

والحقيقة أن الحروف عند علماء التصوف " سر من أسرار الله تعالى والعلم بها من أشرف العلوم المخزونة عند الله " [2].

فعلم الحروف عندهم هو علم ميزان حقائق الوجود، الذي يمكّن من العثور على مفاتيح كل المعارف من خلال فحص العناصر المكونة للكلمات وحروفها، وبه تظهر الروابط بين مبادئ الظهور وأصول التكوين وتناسبها مع الحروف والكلمات وأعدادها، ومع

[1] يراجع: الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية، ص : 41.
[2] رسائل ابن عربي، ص : 90.

دوران الدراري والنجوم في أفلاكها، ومع العناصر وطبائعها، كل ذلك في نسق من الانسجام الوجودي المطلق، كما قيل"تحت خمار غيرة الحرف تتأجج نار الحب بين الهُو والذات".[1]

والحروف مادة هذا العلم، تنقسم إلى أقسام ثلاث [2]. عند ابن عربي وهي :

I. الحروف اللفظية :

وهي الظاهرة عند النطق بخروج النفس من الصدر إلى الشفتين حسب مخارجها، ابتداء بالهمزة والهاء وانتهاء، بالواو، فأعدادها من واحد إلى ثمانية وعشرين، إذ يرى ابن عربي أن العالم من نفس الرحمان المنتشر من العماء، والإنسان مخلوق على صورته، فنفَسه الخارج من صدره إلى شفتيه لإظهار الثمانية والعشرين حرفا، مرتبط بمراتب الوجود الكائنة بنفَس الرحمان، فالحروف الأولى البارزة من الصدر وهي الهمزة والهاء، هي بمثابة أول ما صدر في عالم العظمة والغيب الأعلى، وابن عربي يوضح مع كل الحروف البروج التي تنتمي لها[3].ويؤكد أن حركة الحروف هي التي أحدثت الأفلاك وأدوارها وليس العكس، وإنما كانت للحروف تلك القوى لأنها من حقيقة أسمائه تعالى، والاسم عين المسمى عند أهل التحقيق.[4]

II. الحروف الفلكية أو الحروف المستحضرة :

يقول ابن عربي:"وأعني بالمستحضرة الحروف التي يستحضرها الإنسان في وهمه وخياله ويصورها."[5] هذه الحروف الفلكية أو الخيالية أو البرزخية يوجد عنها عالم العقل في الخيال، أي يوجد عنها ما يوجد في حكم التخيل[6].

---

[1] يراجع: عبد الباقي مفتاح، المفاتيح الوجودية والقرآنية لكتاب فصوص الحكم لابن عربي، ص:35.

[2] يراجع: رسائل ابن عربي، ص : 91، 92 . ويراجع: عبد الباقي مفتاح، شروح تساعد على فهم الباب الثاني من الفتوحات، مقدمة أولى، ص:10.(مخطوط ملك صاحبه).

[3] يراجع:الفتوحات المكية، 350/1، 351. و203/3؛ وعبد الباقي مفتاح، شروح تساعد على فهم الباب الثاني من الفتوحات، ص:9، 10. (مخطوط ملك صاحبه).

[4] يراجع: عبد الباقي مفتاح، شروح تساعد على فهم الباب الثاني من الفتوحات، ص:12.

[5] الفتوحات المكية، 203/3

[6] يراجع: شروح تساعد على فهم الباب الثاني من الفتوحات، ص:32.

III. الحروف الرقمية :

وهي أشكال مكتوبة محسوسة بالبصر وهي : أ، ب، ت، ث ...، أو أبجد، هو ز ...، إذا وجَدَت أعيانها وصحبتها أرواحها وحياتها الذاتية، كانت الخاصية لذلك الحرف لشكله وتركيبه مع روحه..ولذلك فإن ترتيبها تابع لأسرار أشكالها. وأعدادها في حساب الجمل تابع لترتيبها مع اختلاف بين المشارقة والمغاربة في ذلك.والحروف الرقمية أقرب للحس من الحروف اللفظية.كما أن كل حرف من هذه الحروف يصح أن يكون أولا وآخرا ووسطا وتتنوع خواصه بتنوع مراتبه.[1]

وقد كان للرازي (631 هـ) حديث يشبه هذا يقسم فيه الحروف أيضا إلى :(فكرية، لفظية، خطية) إذ يقول : " الحروف الفكرية هي : صور روحانية، في أفكار النفوس، مصوَّرة في جوهرها قبل إخراجها، معانيها الألفاظ . والحروف اللفظية هي : أصوات محمولة في الهواء، مدركة بطريق الأذنين، بالقوة السامعة، والحروف الخطية هي : نقوش خُطت بالأرقام في وجوه الأرواح وبطون الطوامير، مدركة بالقوة النظرة، بطريق العين " [2] . ويكمل وصفه لها، كل على حدة موضحا علاقة كل منها بالأخرى.

---

[1] يراجع: الفتوحات المكية، 203/3. ويراجع: عبد الباقي مفتاح، شروح تساعد على فهم الباب الثاني من الفتوحات، (المقدمة الثانية)، ص: 17(مخطوط ملك صاحبه).

[2] الحروف للرازي، ضمن كتاب : ثلاثة كتب في الحروف، رمضان عبد التواب، (ط:2، القاهرة:مكتبة الخانجي، 1995م)، ص: 147.

وهذه المعايير الثلاث التي يوزن بها الحرف ككل متكامل . فهو مثلث أضلعه هي هذه الجوانب... وهي الجوانب التي يود بحثنا الاعتناء بها بصورة تختلف بعض الشيء عن العادة عند اللغويين .

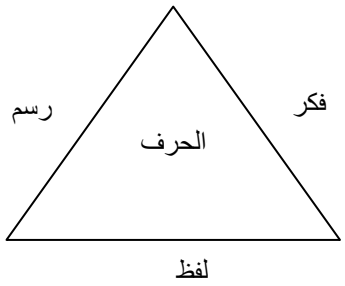

الخلاصـــــــــــة:

لقد تطور الإنسان من مخاطب بسيط إلى مبدع لنسق تواصلي ما يزال ليومنا هذا مجال بحث ومكمن أسرار.

فبعد أن سار التعبير البشري من منطوق آني إلى مكتوب ينتقل عبر الأجيال، وبعد أن نسق الإنسان مجموعة محدودة من الرموز لأصواته، ينقل بها من الأفكار ما لا تجسده الماديات بالواقع، استطاع كل شعب أن يختلف عن غيره من الشعوب بمعطيات لغوية تخصه وحده، في هذه المرحلة صنع الرجل العربي من واقعه ومن عشرته الطويلة مع الطبيعة وسليقته العذراء نموذجه الكتابي، الذي ورث أصوله عن الفينيقيين، وزاد عليه ما افتقده من رموز لأصوات تواجدت عنده ولم تصنع لها الفينيقية رموزا، لأنها ليست من أصواتها، وهو ما يسمى بالحروف الروادف الست.

ولقد كان نتاج صقل العربي لحروفه ذخيرة لغوية وفنية في آن واحد، فهو في هذا المستوى حدد لنفسه 28 رمزا لأصوات تُبنى بها لغته منذ أجيال سحيقة، ثم حسَّن حروفه وطورها حتى بلغت حد اهتمام علم الجمال بها، وصار الخط العربي أكثر الخطوط البشرية خصوبة وتنوعا، وبنيت به لوحات فنية قد تتألف من حرف واحد لا غير، وتحمل من المعاني الشيء الكثير.

ولكن الأمر الذي دعا العرب لبلوغ هذا المستوى من الجمال الفني لكتابته، هو عنايتهم برسم القرآن الكريم، وسلامة نقل صورته للقارئ، حتى بلغ الأمر ببعض الخطاطين أن يتوضأ قبل ممارسة الكتابة كونها أمرا مقدسا لا يؤتى دون طهارة.

وقد تميز الحرف العربي حتى زمن كتابة القرآن الكريم بجملة من المزايا توطد العلاقة بينه وبين أصله النبطي، إذ ترجع أغلب الدراسات العلمية نسبة الرسم العربي للحروف إلى الكتابة النبطية، إذ يشترك معها فعليا بخصائص أهمها:

كتابة الحروف بصورتها الموصولة والمفصولة، فجميعها تأخذ شكلا يوافق حالها أول الكلمة أو أوسطها أو آخرها، كذلك توجد حروف لا ترتبط بما يليها في الكلمة الواحدة بناء على نسق رسمها، أيا كان موقعها من الكلمة.والأمر الأخير هو كتابة الحروف دون نقاط، وقد بقيت زمنا كذلك.

ثم زيد للحروف العربية ما يكملها من نقط إعراب وإعجام، وأخذت صورة ثابتة، لم يضف لها اليوم شيء في الأصول، لكنها ما تزال سرح جمال وإبداع فني، من حيث تلوين الكتابة بفنون شتى.

كما سرق الحرف العربي لب أهل التصوف، وشغل فكرهم سرُّ تخصيص بعض سور القرآن بداياتها عليه، فشغفوا به، وبحثوا في أسراره وساروا في اتجاهين واحد مغال خارج عن صواب العقل وعن الدين، والثاني متشبع بالدين الإسلامي، محافظ على حدوده، وقد كان اعتمادهم دوما على فهم معنى الحرف بوجهيه؛ المرسوم والمنطوق، وربطوا ذلك بمنازل القمر، وأسرار الوجود.

وبما أن للحرف صورة مرسومة تجسدها الصورة المنطوقة، فإن العرب اهتموا أيضا بهذا الصوت من كل جوانبه؛ مصدره، نقاط حدوثه، صفاته، وكانت هذه العناية بدورها متعلقة بعنايتهم بالقرآن الكريم، حفاظا على آداء أصواته كما قرأها محمد ﷺ، وصحابته الكرام.

فقد ناقش القدامى إنتاج هذا الصوت بدقة يُشهد لها، حتى تجاوزوا البحث فيه جهاز النطق الإنساني، إذ وجدوا في الطبيعة ما يحمل هذا الصوت اللغوي ويوازيه حدثا.

الفصل الثاني:

علاقة صوت الحرف برسمه.

الفصل الثاني:

علاقة صوت الحرف برسمه

توطئة

حرف الهمزة (ء)

حرف الباء (ب)

حرف التاء (ت)

حرف الثاء (ث)

حرف الياء (ي)

حرف الفاء (ف)

حرف الجيم (ج)

حرف الحاء (ح)

حرف العين (ع)

حرف الخاء (خ)

حرف الغين (غ)

حرف الدال (د)

حرف الذال (ذ)

حرف الراء (ر)

حرف الـــزاي (ز)

حرف السين (س)

حرف الشين (ش)

حرف الصاد (ص)

حرف الضاد (ض)

حرف الطـــاء (ط)

حرف الظاء (ظ)

حرف القاف (ق)

حرف الكاف (ك)

حرف الـلام (ل)

حرف النون (ن)

حرف الميـــم (م)

حرف الهـــاء (هـ)

حرف الـواو(و)

الخلاصة

توطئة :

إنَّ"صور حروف الكتابات كثيرة الفنون مختلفة الأنواع، وهي بحسب موضوعات الحكماء من الكتَّاب، واختياراتهم "[1]، و"إنَّ المرء ليستطيع أن يدَّعي أن الأبجدية العربية ربما كانت من أوفى النظم الكتابية في العالم، بالغرض الذي وُضعت له، ذلك لأنها تضع لكل حرف من حروفها رمزا كتابيا خاصا، وهو أمر لا يستطيع كثير من لغات العالم أن يفاخر به"[2].

فالخط العربي يعتبر مظهر العبقرية الفنية عند العرب والمسلمين، ولقد كان أولا وسيلة للمعرفة، ابتدأ منذ أن كان جنينا في رحم الكتابة الفينيقية، ثم توضَّح في الكتابة الآرامية، ثم في الكتابة النبطية المتأخرة، حتى بلغ كماله وجماله في الكتابة العربية " [3]، وذلك بعد أن أدخل العرب على حروفه تغييرات عديدة وطوروها وفقا لحجاتهم وميولهم الفنية [4].

وطبيعة اللغة، بشكل عام، تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة ومسموعة، ثم يأتي فيما بعد الرسم أو الكتابة، وما الرسم إلى محاولة لترجمة الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، أي محاولة لنقل اللغة من بعدها الزمني إلى بعدها المكاني، لأن الظواهر الصوتية تتتابع في الزمن والحروف المكتوبة تتتابع في المكان . [5]

---

[1] إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء، تق: عليوش عبود، (الجزائر:موفم للنشر، 1992م.)، 296/1.
[2] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 15.
[3] عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 101.
[4] يراجع: بسام بركة، علم الأصوات العام، (د ط، لبنان : مركز الإنماء القومي، دت.)، ص : 161.
[5] يراجع: محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، ص : 135.

و"تكمن قيمة أي رمز في الاتفاق عليه بين الأطراف التي تتعامل به " [1]، حتى تصبح العلاقة بين الرمز والصوت علاقة عضوية، والخط العربي، لم يتخل حتى الآن عن وظيفته المزدوجة وطبيعته المتآصرة بين الشكل والمضمون [2].

ومن ثم أصبح باستطاعتنا أن نرى ونسمع " موسيقى اللغة العربية وجرسها تتجلى في صيغ الخط " [3]. بل أصبحت للخط فلسفة روحانية، فهو عند البعض يعلو عن الألفاظ، كما أنَّ الخط عند رجل الفن المسلم عبادة، لإيمانه بأن صَنعته ليست مجرد تحكم الأصابع في القلم، فهناك وراء ذلك، الفكر الذي يسيطر على الجوارح .[4]

وفي الواقع اللغوي إن " أقل ما يدل عليه الرمز المنفصل، هو اختلاف في المخرج أوفي الشدة والرخاوة والتركيب والتوسط أو الجهر والهمس، ولكن الباحث قد يريد أن يبين أمورا إضافية في النطق، كالتحليق والإطباق والتغوير... والشدة الأنفية، فيضيف إلى الرمز ما يوضح هذه الملامح الإضافية، ومن هنا تكثر رموز الأصوات بحسب هذه الإضافة [5].

ودليل أثر مخرج الصوت – خاصة – على الرسم، يمكن أن نستشفَّه من تشابه الحروف المتقاربة مخرجا ورسما. وهذا فكر إنساني بشكل عام وليس عربيا فقط، فالأبجدية الآرامية أيضا كل حرفين فيها من مخرج واحد يتشابه رسمها مثلها مثل العربية [6] . فالتقارب بين حروفنا في الشكل يشبه التقارب بينها في اللفظ [7] .

ويرمي هذا الكلام إلى وجود قيمة صوتية يحملها الرسم، فقد كان " في السريانية نقاط توضع فوق الحرف إذا كان حرفا قاسيا، أو تحت الحرف إذا كان حرفا لينا، فمن

---

[1] المرجع نفسه، ص : 10.
[2] يراجع: عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 135.
[3] يراجع: المرجع نفسه، ص : 138، 139.
[4] محمد بن سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة، ص : 20.
[5] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 16.
[6] يراجع: عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص، 22.
[7] يراجع: العقاد، اللغة الشاعرة، ص : 11.

المحتمل أن يكون نصر بن عاصم أويحيى بن يعمر قد قلَّدا هذه النقاط السريانية، وأدخلا على الحروف نقاط تميُّزها "[1] على هذا النحو.

وقد تعرضت الكتابة الأبجدية لتحسينات بحسب طبيعة اللغات المنطوقة [2]، ولسنا نقصد هنا الإعجام لأن السريان قد استعملوا " الإعجام بالإضافة إلى الشكل في كتابتهم، كما نقط العبرانيون كذلك بعضا من حروفهم كالذال، والخاء، والظاء . " [3]، بل نقصد اختيارهم رمزا محددا، للتعبير به عن مظهر صوتي خاص به دون غيره، أي أن باستطاعة الرمز أن يعكس حال الصوت عند حدوثه، وهذا لا نعني به بلوغ، الأمر حدَّ الكمال، بل هي محاولات لبلوغه .إذ"يعتقد كثيرون أن الكتابة بصفة عامة صورة صادقة للغة المنطوقة."[4].

وتحمل الكتابة العربية، رغم تجردها سحرا وأسرارا، ذلك لأن ارتباط الصورة بالكلمة وثيق في عين الرائي وفي فكره " [5]، لذلك يقول بعض أهل الخط أن هناك علاقة قوية بين جرس الكلام في العربية والخط العربي، إذ يرى أبو سليمان السجستاني أننا نُصغي من خلال التكوين الخطي إلى النغم مع انسياب الحرف، ونحدس بالترجيع الصوتي في ترتيب وتنسيق الحروف المتشابهة، وبالتوافق الهرموني في إحكام العلاقة بين الحروف والنقاط والعلامات [6].

و لا عجب أن يفعل الرجل العربي هذا، فقد عاش في عزلة مع الطبيعة، ذاق أصواته وتحسسها، " فاكتسب مزية السمع المرهف وما يصحبه من مزية التفريق بين الأصوات، بل بين الهمسات والأصداء " [7]، وبعد أن نمت قدراته الحسية الصوتية، تفرَّغ لتحسين رسم

---

[1] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص:128.
[2] يراجع: حسن ظاظا، اللسان والإنسان، ص : 129.
[3] يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص : 106.
[4] حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص : 156.
[5] محمد بن سعيد الشريفي، خطوط المصاحف، ص : 138.
[6] يراجع: عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 138.
[7] عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 93.

حروف لغته التي جاءته بصورة تتفق مع أهلها الأنباط، فصقلها بما يتسق مع روحه وطبيعته وحكمته، فيكشف من خلال ذلك عن مفاهيمه الصوتية والمعنوية، الخاصة به.

وقد كان المجاز دوما كلعبة بين يدي العربي، لذلك فإن المجاز في اللغة العربية قد انتقل من الحروف الهيروغليفية إلى الكتابة بالحروف الأبجدية، فهو يصور لنا المعاني المجردة من وراء تصويره الأشياء والأشكال [1]، وإذا كان العربي قد أحسن نقل المعنوي إلى مادي، فهل سيعجز عن نقل الملموس المادي بصور وأشكال ؟

هنا نطرح مصطلح (الانسجام) * في العلاقة بين الرسم والصوت، فيما نحاول دراسته في هذا الفصل، فقد يكون الانسجام من درجة عالية، وقد يكون أقل من ذلك، بقدر اجتهاد الرجل العربي، للكشف عن أصواته، بصور كتابية شفافة، تعكس ما يريد .

ولكي نستطيع تقييم درجة الانسجام بين الصوت ورسمه، فإن هذا يُلزمنا بالتعرف على أماكن الصوت، لأن الانسجام عند العربي، كان بين الصوت حيث يحدثُ (أي مكان حدوثه) وبين رمزه الذي يصف ذلك، نقلا له من صورة تطبيقية إلى أخرى مرسومة توافقها في الهيئة، من هنا نجد أغلب عناصر الانسجام عندنا تتعلق بتجسيد الجهاز النطقي بصورة ما، حين كانت أعضاؤه تؤدي صوتا ما، فالمخرج شيئ محسوس ويمكنُ أن يجسد برسم، وهو أيضا مادي مرئي، وقد اخترنا مصطلح "الرسم" لأنه تجسيد أقرب للحقيقة من الرمز، فمعناه اللغوي :هو الأثر [2]، وقيل بقية الأثر ..وقيل ما لصق بالأرض منها[3] .

وسيكون ترتيبنا للحروف في هذا الفصل حسب علاقة الصوت برسمه، لكن مراعين في ذلك أولا: الترتيب الألفبائي، الذي قارب قديما بين الأصوات رسما، لذلك لم نعتمد على الترتيب المخرجي، ثم راعينا أهمية القِدم والحداثة بين الحروف من حيث كونها أصلية أورادفة، لذلك سيكون ترتيبها كالتالي :

---

[1] يراجع: العقاد، اللغة الشاعرة، ص : 33، 34.

* هذا المصطلح كان قد استخدمه عفيف البهسني في كتابه، فن الخط العربي، حين تحدث عن الجماليين الذين يعتبرون الانسجام وحده كاف لتعريف الجميل، يراجع: ص : 139 من هذا المرجع.

[2] أبوالبقاء الكفوي، الكليات، ص: 480.

[3] ابن منظور، لسان العرب، 3/ 1646.

ء : الهمزة أولا، لأنها أول الألفباء ثم،

ب : ثانيا لأنها الثانية في الألفباء، وتليها على التوالي الحروف التي أخذت شكلها التاء والثاء ومعها الياء لأنها نقطت مقارنة بها، ثم الفاء لأنها تستمد أيضا شكل عراقتها من الباء ولاصلة لها بالقاف .

ثم الجيم لأنها تلي الباء أصلا في الألفباء، وليس لها ما يتبعها شكلا.

ثم الحاء لأنها تلي الجيم وليس لأنها مشتقة منها رسما، وتتبع الحاء العين لتعلق العين بها رسما، ثم الخاء التي تلي الحاء وتتبع الخاء الغين التي ارتبطت بها رسما أيضا .

ثم الدال لأنها تلي الخاء في الألفباء ويتبعها الذال .

ثم الراء لأنها تلي الدال في الألفباء ويتبعها الزاي لتعلقه بها رسما.

ثم السين لأنها التالية في الألفباء للراء لكنه اتفق أن الزاي رفيق الراء فسبقها أيضا. وتتبع السين الشين أختها.

ثم الصاد لأنها تلي السين ولكنها بعد رفيقة السين رسما :الشين.

ويتبع الصاد أخواتها رسما المطبقات ض ط ظ . (وهو ترتيبها في الألفباء أيضا) .

ثم القاف التالية في الألفباء ولا تابع لها رسما .

ثم الكاف ولا تابع لها رسما أيضا.

ثم اللَّام فالنون وبينهما قرابة، ثم الميم ثم الهاء ثم الواو، وكلها دون تابع، ليصبح ترتيبنا الذي يراعي الألفباء أولًا ثم الرسم وعلاقته بالصوت ثانيا كالآتي :

ء – ب – ت – ث – ي – ف – ج – ح – ع – خ – غ – د – ذ – ر – ز – س – ش – ص – ض – ط – ظ – ق – ك – ل – ن – م – هـ – و.

حرف الهمزة (الألف):

(ء)، (أ)

جاء في العين للخليل أن الهمزة مخرجها " من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصِّحاح " [1]، كما أنها كانت عنده من الحروف الجُوَّف " لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلاَّ الجوف " [2].

لكننا نجد ابن كيسان يقول : " سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهمزة، لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف، لأنها لا تكون إلا في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء، لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء ... " [3]، وهذا الكلام يؤكد أن الخليل جعل الهمزة أول حروف حيزه الأول . وقد جاء أيضا تأكيد ذلك عند الأزهري حين قال عن الخليل أنه قال بأن الهمزة أقوى حروف العلة متنا، وأن مخرجها من أقصى الحلق من عند العين [4].

هذا لا يأخذنا، إلا لنقول بأن الخليل عدَّ الهمزة أول الصوامت مدرجا، إلا أنه احتار في كونها أحيانا مضغوطة وأحيانا أخرى مُرفه عنها . أما سيبويه فقد حدد مخرجها عند

---

[1] العين، 52/1.
[2] العين، 57/1.
[3] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، (ط 3، القاهرة : مكتبة دار التراث، د ت.)، 90/1.
[4] يراجع: تهذيب اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1997م.)، 51/1.

أقصى الحلق [1]، وحدوثها كما ضبطه ابن سينا، يكون بـ " حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرجهالي الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا "[2].

كما اجتهدت الدراسات الصوتية الحديثة لتضبط مخرج الهمزة وصفاتها، والحق أنهم لم يختلفوا في مخرجها، فقد ساعدت الأجهزة على الفصل في ذلك لكن بقي وضعها بين الجهر والهمس فيه نظر .

أما عن مخرجها " فهو من المزمار نفسه . إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري هو ما نعـــبر عنه بالهمزة " [3]، "ويطـــلق على هذا الصوت عـادة الاصطلاح: «وقفة حنجرية » (Glottal stop) [4].

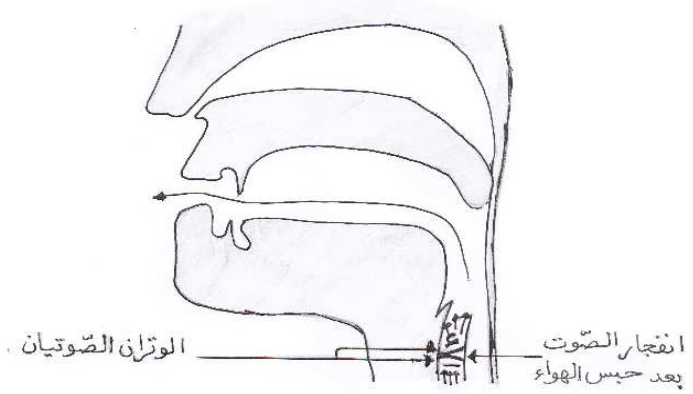

الشكل: 14 - هيئة إنتاج الهمزة.

[1] الكتاب، 433/4.
[2] أسباب حدوث الحروف، ص : 72.
[3] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 90؛ يراجع: بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 117، 118.
[4] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 125.

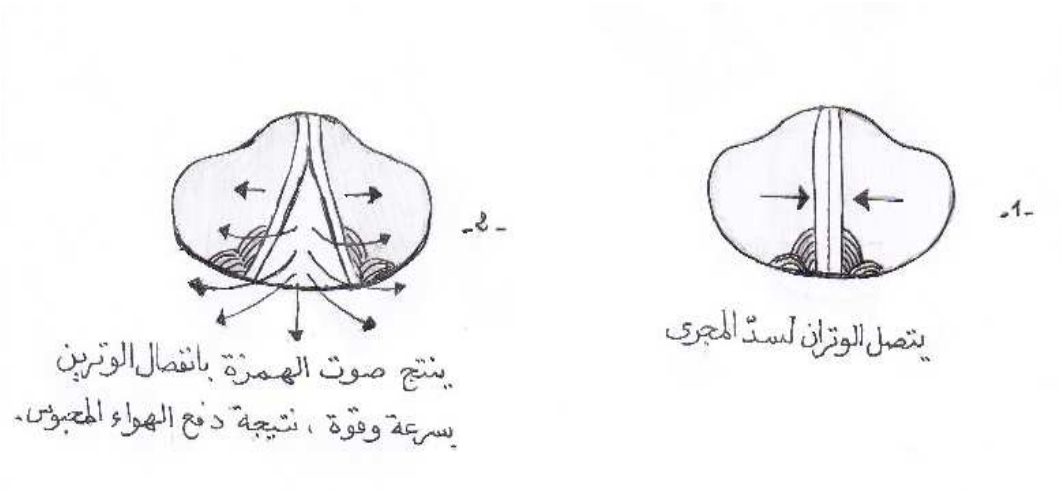

الشكل : 15 – مراحل إنتاج الهمزة.

و" الهمزة رغم شيوعها في اللغة العربية لم يرمز لها الرسم العربي القديم برمز خاص ككل الأصوات الساكنة "[1]، تفسير ذلك أنه " لما بدأ العرب يكتبون لغتهم استعملوا الخط الآرامي في بداية القرن الثالث الميلادي، وعندما أرادوا كتابة هذا الصوت الاحتباسي الحنجري لم يجدوا مقابلا له لأن صوت (ألف) قد اختص بالحركة الطويلة (الفتحة) فأطلقوا على صوت الاحتباس الحنجري اسما جديدا خاصا به هو اسم (الهمزة). فتسمية هذا الصوت باسم الهمزة حديث نسبيا " [2]، ويؤكد كمال بشر أن الألف (ا) بهذا الرسم، كانت قديما لما يعرف اليوم باسم (الهمزة)، وأن ألف المد التي ترسم اليوم (ا) لم يكن لها قديما رسم واضح، حالها حال الواو والياء المديتين [3].

و" لتصرف القدماء في الهمزة بالتخفيف – إبدالا ونقلا وحذفا – وتسهيلها بين بين، كتبت بحسب ما تخفف به، فأحيانا كتبت ألفا وطورًا واوا أو ياء، وثالثة لم يرمز لها بأي رمز، فالرمز الذي نعرفه الآن للهمزة حديث بالنسبة للرسم العثماني " [4].

---

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 89.
[2] عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 100.
[3] يراجع: كمال بشر، دراسات في علم اللغة. (ط : 9، د ب، دار المعارف ، 1986 م)، ص : 78.
[4] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 89.

والواقع أن علامة الهمزة: ء وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي حين أتم علامات الشكل، وذلك عندما أضاف إلى هذه العلامات؛ التي هي: الضمة والفتحة والكسرة خمس علامات أخرى هي : السكون والشدة والمد وعلامة الصلة وعلامة الهمزة...[1]

وقد ذكر القلقشندي أن المتقدمين يجعلونها نقطة صفراء ليخالفوا بها نقط الإعراب، والمتأخرون يجعلونها عينا بلا عراقة، وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين، ولأنها تُمتحن بها أي تُبدل بها [2].

والغريب أن من القدامى من لم يعتبر الهمزة من الحروف ولم يعدها معها فكانت عندهم 28 حرفا دون الهمزة، وهذا ما اعتقده المبرد [3]، لكن ابن جني رد عليه مؤكدا " أن لكل من الهمزة والألف وجودا في اللغة تبعا للفظ والنطق، لا الكتابة وعدم الثبات على صورة واحدة، فالهمزة تعد من الحروف الهجائية " [4].

" وأيا كان الأمر فالهمزة والألف كلاهما من حروف المعجم التي تبلغ – كما يقول القدماء – تسعة وعشرين حرفا " [5].

لقد كان رمز صوت الهمزة قديما يشبه رأس الثور: 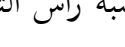 ، ولعل التدمرية والنبطية اللغتان اللتان طورتا تطويرا ليس قليلا في صورة هذه الحروف زيادة على الخط العبري المربع، فتولد الرمز: الذي فقد ملامح وجه الثور نهائيا مع انفتاح حلقته السفلى مما كان قويا إلى التوجه نحو الرمز المجدد :

وقد استخدم الرمز: في نقش النمارة : 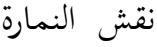 = (العرب)، وبقي مستعملا في بعض مستويات الكتابة العربية إلى يومنا هذا، ولاسيما في الاستعمال العلمي

---

[1] يراجع، حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص:96.
[2] يراجع: صبح الأعشى، 167/3، 169.
[3] يراجع: ابن جني، سر صناعة الأعراب، 57/1.
[4] عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 103.
[5] المرجع نفسه، ص : 106.

والرسوم الهندسية، ولكنه بصورة مقلوبة، أي: (۴) [1].

أما رسم الهمزة اليوم (ء) فهو بعض رسم العين، لكنه أصغر حجما منه قليلا، وقد كان دافع الخليل لاختياره – كما رأينا – قرب المخرج بين الاثنين ولأنهما يبدلان عند العرب ببعضهما .

ولكن رسم هذا الصوت بما فيه من حداثة، لم يكن مصقولا الصقل عينه الذي اكتسبته الحروف الأخرى لمرورها بأدوار كثيرة نحتت فيها حتى جسدت صوتها، وحققت الانسجام، ولعل صوت الهمزة هذا ما يزال بحاجة إلى تتمة رحلته لتحقيق الانسجام .

فنحن لا يمكننا أن نفسره تفسير العين، فهو أخذ شكلها ولم يتطور لبلوغه.

[1] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، (ط:1، عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2000م.)، ص : 220، 221. ومحمد حسام الدين عبد الفتاح، الكتابات العربية حتى القرن 6 هـ، ط:1، القاهرة:دار القاهرة، 2002م.)، ص: 26.

حرف الباء

(ب)

الباء عند الخليل " شفوية، وقال مرة شفهية لأن مبدأها من الشفة " [1] وهي كما حددها سيبويه " مما بين الشفتين " [2].

كذلك حين وصف ابن سينا هيئة حدوث الباء قال أنها من الشفة إلَّا أنها تكون "بحبس تام قوي لالتقاء جِرمين ليِّنين ثم انقلاعهما، وانحفاز الهواء المصوت دفعة إلى الخارج"[3] .

وقد وصف المحدثون حدوث الباء بقولهم: " يتكون بأن يمر الهواء أولا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه بالحلق ثم الفم حتى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقا كاملا *، فإذا انفرجت الشفتان فجأة سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الذي يسمى الباء، فللنطق بالباء تنطبق الشفتان أولا حين انحباس الهواء عندهما، ثم تنفرجان فجأة فيسمع صوت الباء " [4].فالشفتان تتلامسان وتغلقان مجرى الهواء دون انكماش [5].

ولتمَّام حسان رأي في إنتاج الباء حين يقول : " ويتم تفجير صوت الباء أحيانا من الأنف بدل الشفتين، حينما تكون الباء في نهاية الكلام، كما في المثالين (كَسَبْ، كِتَابْ) يتم هذا التفجير الأنفي بإبقاء الشفتين على اتصالهما، ثم فصل الطبق عن الجدار الخلفي للحلق فجأة فيمر الهواء قويا في المجرى الأنفي ويتم التفجير " [6].

---

[1] الخليل، العين، 58/1.
[2] الكتاب، 433/4.
[3] أسباب حدوث الحروف، ص : 124.
* وهذه العبارة تفيد انطباق الشفتين مفتوحتين، بينما لا يناسب هنا القول : "ضم الشفتين" كما جاء عند تمام حسان، مناهج البحث، ص : 45، لأن في الضم معنى الاستدارة.
[4] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 45؛ يراجع :كمال بشر، علم الأصوات، ص : 248؛ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 156.
[5] يراجع: بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 114
[6] مناهج البحث في اللغة، ص : 120.

عند التدقيق فيما سبق نلحظ أن الباء صوت غير معقد الوصف كون مخرجه ظاهر للعين، لا يحتاج مراقب حدوثه لكثير من التحسس والتذوق أو إلى أجهزة تحدد نقطة الحدوث.

وعند ملاحظة كيفية نطق هذا الصوت نجد الشفة السفلى ترتفع للعليا، وهي التي تجتهد أكثر لتوفير عملية السد، وبينما العليا المتواجدة في الفك الثابت تساعدها بالاتصال معها بليونة، كون الاثنتين من مادة رخوة لينة .

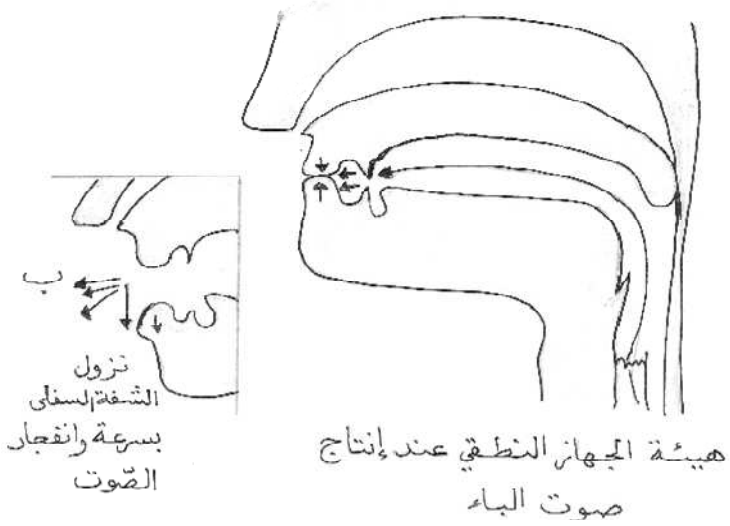

الشكل: 16.هيئة الجهاز النطقي عند إنتاج الباء

من ثمة يمكن أن نلاحظ ما يلي:

- يحدث سد المجرى كليا عند الشفتين بارتفاع السفلى منهما للعليا، واتصالهما معا.
- يحبس الهواء عند نقطة السد محدثا ضغطا.
- يبتعد العضوان (الشفتان) عن بعضهما بسرعة، يحدث ذلك – بسرعة – ابتعاد الشفة السفلى عن العليا.

- عند بداية الانفجار وانقلاع الجرمين عن بعضهما يحدث انطلاق الهواء أعلى الشفة السفلى التي تواصل نزولها

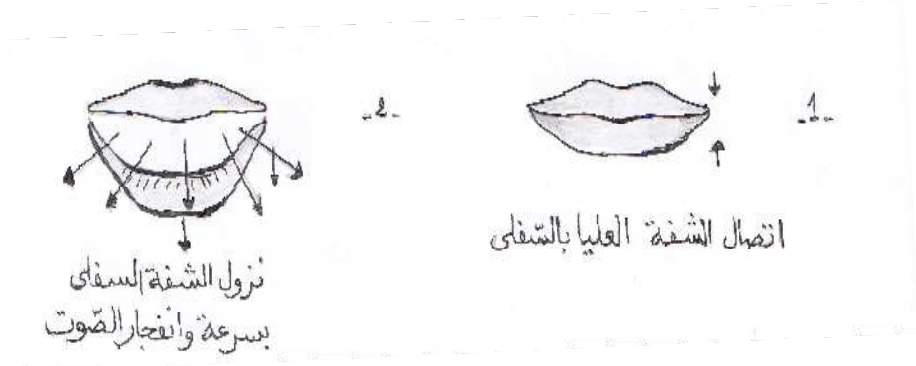

الشكل: 17 – هيئة الشفتين عند إنتاج الباء.

- أما عن علاقة هذا الحال للمخرج مع رسم الصوت فإننا نرى الرسم كان بالفعل يجسد حال الشفة والنقطة هي حدوث نزول الشفة السفلى فكانت كذلك تحت الرسم **ب**.

ويقول تاريخ الكتابة أن أول رسم عرف للباء هو : (𓃀) بمعنى البيت (bét)، وتطور ليتخذ صورا مستقاة منه في الكنعانية والآرامية، لذلك اختلف رسمه عند النبط لأن البيت عندهم كهف أوخيمة [1]. لكن وجدت كتابات في الحجر تنقل الرمزين :(ـد ، ـب)، وهي الرموز التي يعتقد بتأثر الخط العربي بها، ولاسيما في الخط النسخي الذي أورد كانتينو مقارنة له بهما [2].

[1] يراجع: يحيى عبابنة، فقه اللغة والفونولوجيا العربية، ص :222.
[2] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وقد كانت تكتب في العربية الجنوبية (200 ق م، 700م) هكذا : (ـــ) وكأنها باء مقلوبة، وفي السريانية (200م) : (ـــ) [1].

لقد تطور الرسم العربي عن غيره، لكنه دوما في آخر الأمر يرسو على الشكل المناسب للغته ومخارجها ويثبت عبقرية واضعه وعلمه بها.

ليثبت أخيرا الرسم: (ب) الذي نقط على يد نصر بن عاصم، تحت الحرف مجسدا حركة العضو المنفجر إلى أسفل .

حرف التاء

(ت)

التاء عند الخليل نطعية، " لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى"[2]، وهي تنتج " مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا " [3]. ولابن سينا وصف دقيق حين يقول : " وأما الطاء والتاء والدال فإن مخارجها من المقدم من السطح الممتد على الحنك، وتحدث كلها من حبسات تامة، وقلع ثم إخراج هواء دفعة ... وأما التاء ... الحبس بطرف اللسان فقط" [4].

ويقارن فيما بعد بين الدال والتاء ليقرر أن مجال الحبس في التاء أكبر منه في الدال، أي أن مساحة الْتقاء طرف اللسان مع الحنك الأعلى مع التاء أكبر . وذلك حين قال : "وعساه (الدال) أن يكون في الكم أقل قليلا من حبس التاء" [5].

والتاء حاله حال الطاء والدال . " فالثلاثة تشترك في أن القلع بجرم رطب لين عن جرم صلب " [6].

---

[1] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 110.
[2] العين، 58/1.
[3] سيبويه، الكتاب، 433/4.
[4] أسباب حدوث الحروف، ص : 121.
[5] المصدر نفسه، ص : 122.
[6] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وهنا نشير إلى أن ابن سينا حين وصف حدوث الأصوات من مصدر غير نطقي وذلك في فصله السادس، قال " والتاء عن قرع اليد بإصبع بقوة والدال عن أضعف منه"[1]. وفي هذا نلمس أن مساحة التاء أوسع بالفعل من مساحة الدال .

لكن المحدثين حين وصفوا مخرج هذا الصوت توقفوا عند ما يلي : " يلامس رأس اللسان (الذولق) الجهة الداخلية لمنبت القواطع من الأسنان العليا، وتدعى النخاريب، فيقف الهواء وقوفا تاما عندها، ويضغط مدة من الزمن، ثم ينفصل اللسان فجأة تاركا نقطة الالتقاء فيحدث الصوت الانفجاري إلَّا أن اللسان في هذه الحالة يكون متكتلا باتجاه الأمام ومنبسطا في وسطه ومؤخره " [2].

ويؤكد كمال بشر أن التقاء اللسان يكون مع أصول الثنايا العليا ومقدم اللثة معه [3].

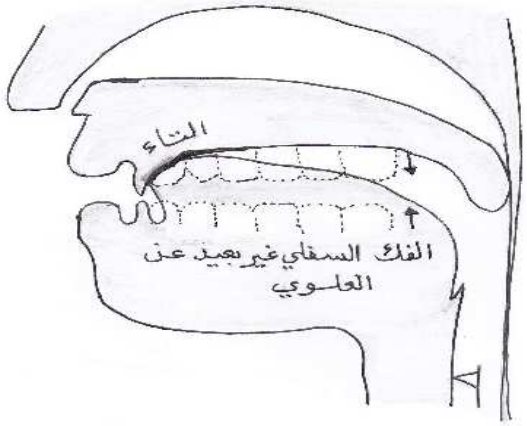

الشكل: 18- هيئة إنتاج التـــــــاء

[1] المصدر السابق، ص : 136.
[2] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 115.
[3] يراجع: علم الأصوات، ص : 249.

مما سبق يمكننا ملاحظة ما يلي:

- التاء صوت يشترك في حدوثه طرف اللسان (ذلقه) ، مع أصول الثنايا أوالنخاريب أومقدم اللثة .
- عند استشعار وتذوق حدوث التاء نجد العضلتين الجانبيتين لطرف اللسان تضغطان على موضع تواجدهما عند إنتاج التاء، ويمتد الضغط حتى وسط طرف اللسان.

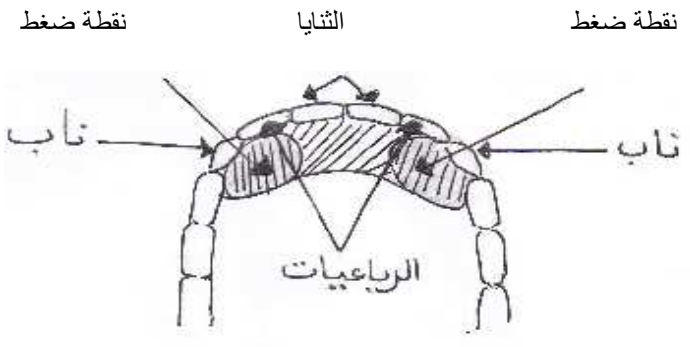

الشكل: 19- مجال اتصال اللسان بسقف الحنك الأعلى ونقاط ضغط العضلتين الجانبيتين.

- من الملاحظ أيضا وهو أمر مهم عند حدوث التاء اقتراب الفك السفلي من العلوي، مما يجعل المسافة بين الأضراس العلوية والسفلية والأسنان عموما قريبة .
- هذا الحدث هو الذي يصغر غرفة التاء فلا تشبه غرفة الطاء، لذلك لا تجد التاء مجالا للإطباق .
- هذا الوضع يسمح للسد الأمامي فقط للتاء أن يكون كافيا لحبس الهواء .
- في حدوث التاء انفجار علوي للهواء وذلك حين يترك اللسان اللثة .

- رسم التـاء تكون كما يلي:

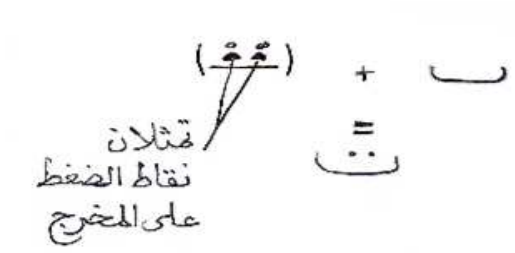

فقد كان التاء: (ـت ـ)، وأُضيفت النقطتان له لاحقا:ت، وهو أفضل شكل يعبر عن حدوث هذا الصوت .

والواقع أنَّ صورة التاء في اللغات القديمة متنوعة وهي لا تشبه بأي حال التاء العربية [1]. "أما الرمز العربي فقد وضع قياسا على الباء " [2]، وعند النقط اختار الناقط للتاء نقطتين من أعلى لما فيها من ضغط علوي من الجانبين.

ويبدو أن اللسان عند إنتاج التاء يكون كل سطحه قريبا من الحنك الأعلى، لأنك لو أوقفت حدوثها ودفعت اللسان للأعلى، لأدركت مدى قربه من الحنك العلوي. [3]

[1] يراجع: يحيى عبابنة، فقه اللغة والفنولوجيا العربية، ص : 237؛ يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص: 110.

[2] يحيى عبابنة، فقه اللغة والفنولوجيا العربية، ص : 237.

[3] إن الرسم الموجود – مثلا - بكتاب أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 323 .يعدُّ بعيدا عن الوصف الواقعي لحدوث الصوت، وهو كما يبدو في الشكل: 18 أقرب لإنتاج الصوت فعليا .

حرف الثـــــــاء

(ث)

الثاء من الحروف الروادف أي أنها كانت عند العرب صوتا دون رسم حين ألفوا الكتابة، ثم جعلوا لها رسما، وقد كان هو رسم الباء والتاء قبل أن تنقط.

أما مخرج هذا الصوت فهو لِثَوِيٌّ عند الخليل، فالثاء عنده مبدؤها اللثة [1]، وهي " مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا " [2]، و" تخرج باعتماد من الهواء عند موضع التاء بلا حبس، وبحبس عند طرف اللسان، ليصير الخلل أضيق، فيكون صفير قليل مع القَلْعِ، وكأن الثاء سين تُلُوفِيَت بحبس وتضييق فُرج مسلك هوائها الصَّفار " [3] .

مخرج الثاء إذن " هو بين اللسان وأطراف الثنايا العليا، وهناك يضيق هذا المجرى فنسمع نوعا قويا من الحفيف " [4] .ويحدد بعضهم نوع الأسنان لإنتاجها بالقواطع، يقول بسام بركة: " يقترب طرف اللسان من القواطع العليا ويلامسها ... وقد يتجاوز طرف اللسان القواطع قليلا بحيث يُرى من الخارج، أو يوضع وراءها تماما"[5]، وعند إنتاجه " يكون وضع اللسان مستويا مع رفع الطبق لسد المجرى الأنفي " [6].

---

[1] يراجع: العين، 58/1.
[2] الكتاب، 433/4.
[3] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص : 122.
[4] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 47.
[5] علم الأصوات العام، ص : 121.
[6] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 160.

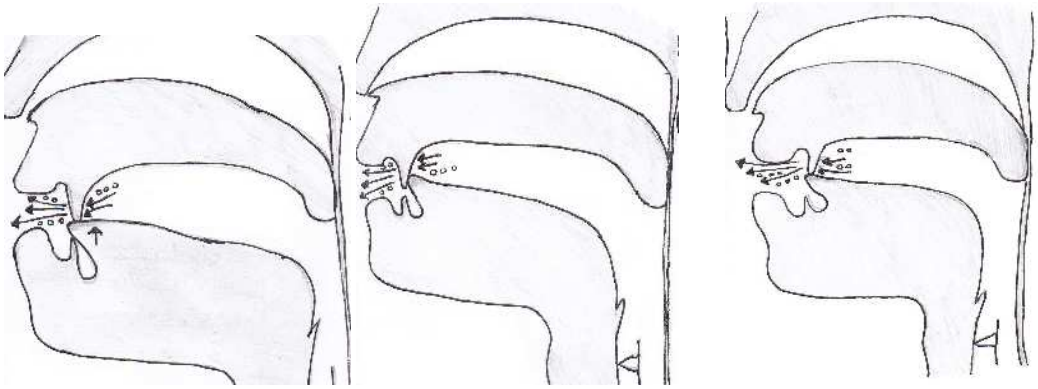

اللسان مع القواطع العلوية. اللسان وراء القواطع العلوية. اللسان بين الأسنان العلوية والسفلية

الشكل: 20- هيئات إنتاج الثاء.

بعد الملاحظة نجد ما يلي :

- تحدث الثاء بطرف اللسان مع أطراف الأسنان العليا، والجزء الذي يعمل فيها من طرف اللسان هو عينه الذي عمل لإنتاج التاء.
- لا يوجد فيها حبس، بل يخرج الهواء بحفيف محتك بين الأسنان (فرجها)، حتى يبتعد طرف اللسان عن الأسنان فيحدث انفجار هادئ خفيف ينتشر فيه الهواء.

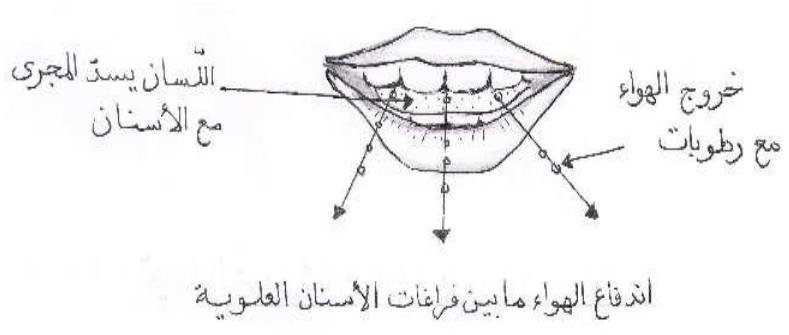

الشكل:21- كيفية خروج الهواء بين الأسنان واللسان عند إنتاج الثاء.

- قد يخرج اللسان قليلا إلى الأمام فيبرز للخارج، وفي هذه الحال ستكون مساحة فرج الأسنان أوسع منها لو كان طرف اللسان سادا المجرى من الداخل بطرفه مع طرف الأسنان.

- ينتج البعض الثاء بوضع اللسان بين الأسنان العلوية والسفلية مع ضغط اللسان نحو الأسنان العلوية، كي يوَّفر حبس الهواء عندها واحتكاكه بين فرجها.
- قد استمد شكل: ﴿ ـــ ﴾ للثاء من أختيها (ب)، (ت)، ونقط لاحقا ب : ﴿ ... ﴾ ثلاث نقاط تفريقا بينها الثلاث . واختير هذا الشكل من النقاط والكم (3) كي يعبر عن انتشار الهواء ما بين الأسنان.

حرف الياء

(ي)

الياء قديما عدَّها الخليل حرفا جوفيا و" سُمِّيت جُوَّفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيِّز تنسب إليه إلَّا الجوف "[1]، وقد جاء أيضا بعبارة هوائية حين قال أنها " هوائية أي أنها في الهواء " [2]، كما قال أن مدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس، وأصلها من عند الهمزة [3].

ثم صنَّفها أوَّل مرة سيبويه مع الجيم والشين فهي عنده : " من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى " [4]، مع أنها صوت لين خفي في مكان آخر عنده [5] .

وحين تحدث عنها ابن سينا قال : " والياء الصامتة فإنها تحدث حيث تحدث السين، والزاي، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يُحدث صفيرا " [6] وله في رواية ثانية :

---

[1] العين، 57/1.
[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3] يراجع: الأزهري، تهذيب اللغة، 51/1.
[4] الكتاب، 433/4.
[5] المصدر نفسه، 435/4، 436.
[6] أسباب حدوث الحروف، ص : 84.

" والياء الصامتة فتحدث حيث تحدث الطاء والجيم وغير ذلك، ولكن بتعُّرض للحبس يسير، وصفير ضعيف، ومع ذلك قلع دفعة بمقدار الحبس " [1].

هذا الوصف يُعنى بالياء الصامتة، كما أطلق عليها ابن سينا هنا، وهي برسمها:(ي)، تأتي أيضا لتعبِّر عن ياء مصوَّتة تختلف عن الأولى، وقد حدد ابن سينا كيفية حدوثها أيضا فقال : " وأما الياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل " [2]، وقد فسَّر أن الياء المديَّة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمن الكسرة [3].

وكذلك الأمر عند المحدثين فالياء لها حالتان : أن تكون حركة طويلة أوصوتا صامتا أوما يطلق عليه أنصاف الحركات [4].

وتحدث الياء بشكل يشبه حدوث الكسرة، إذ "بنية هذا الصوت تتخذ الاستعدادات العضوية لتحقيق نوع من الكسرة، وفي حينها يتم التجاوز إلى حركة أخرى مع شيء من التسارع حيث يتوجه وسط اللسان نحو وسط الحنك وتتفرج الشفتان، وتتذبذب الأوتار الصوتية " [5].

---

[1] المصدر السابق، ص : 125، 126.
[2] المصدر نفسه، ص : 84، 85.
[3] يراجع: المصر نفسه، ص : 85.
[4] يراجع: كمال بشر، علم الأصوات، ص : 370، 371.
[5] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 176؛ يراجع: كمال بشر، علم الأصوات، ص : 369.

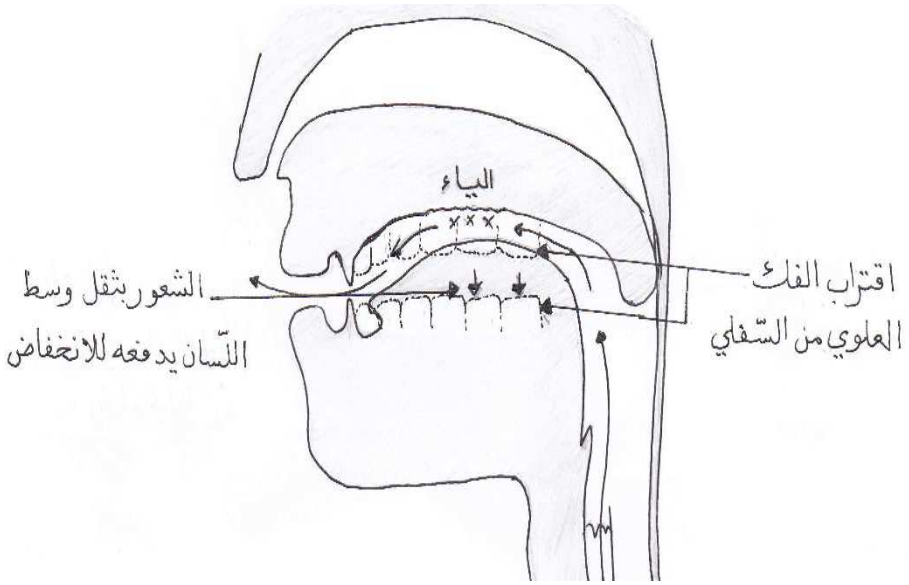

الشكل: 22- هيئة إنتاج اليـــــاء.

فحدوث الياء فيه حفيف ضعيف لذلك أمكن عدُّها صوتا ساكنا " [1]، وسميت بالصوت الشبيه بصوت اللين لما فيها من شبه في وضع اللسان بينها وبين الكسرة (I) [2]. لذلك تدعى عند البعض أنصاف صوائت وعند آخرين أنصاف صوامت [3].

والباحثون " يرون أن الفرق بين ياء اللين والياء الساكنة (يكمن في حركة اللسان)، أي أن اللسان مع الثانية، في أثناء النطق يكون أكثر ارتفاعا من الأولى وهذا الارتفاع ينتج عنه ضيق في مجرى الهواء، وبالتالي يحتك الهواء مع القنوات الصوتية، ويحدث الحفيف الذي تسمعه في أثناء نطقه، فيسلك الحرف في زمرة الأصوات الساكنة أو الصحيحة " [4].

---

[1] يراجع: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 42.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] يراجع: بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 108.
[4] كوليزار كاكل عزيز، دلالات أصوات اللين في اللغة العربية، (ط:1، عمان، الأردن: دار دجلة، 2009م.)، ص : 85.

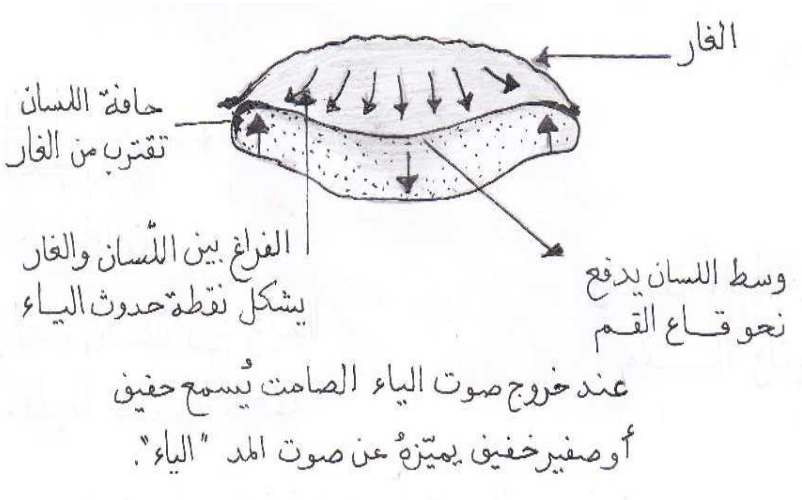

الشكل: 23- نقطة حدوث الياء.

وقد استعملت النقوش الحورانية النبطية للياء الرموز : (ك ك) وفي نقوش البتراء: (ك)، أما الحجر فقد ابتدعت الرموز : (ا. ع)، بالإضافة لاستخدامها الرموز السابقة [1].

فالياء في العربية تعد صورة من صور الياء في الكتابة النبطية، وعند مقارنة هذه الأشكال تجدها جميعا مستقاة من الأصل الذي رسمت عليه وهو شكل اليد :

(ي، ي، ي، ي)، ثم سارعت إلى التجريد [2].

والياء برسمها المستقل: (ي) لم تبتعد عن ملامح الكاف عند العرب، وهي عندما تكتب أول ووسط الكلمة تكون شبيهة بالباء والتاء والثاء، لكنها الحرف الوحيد من هذه المتشابهات الذي نقط باثنتين من الأسفل، لأن في صوت الياء انخفاض كبير عند إنتاجها فاللسان فيها يختلف وفق هذا المعطى عن أخواتها رسما ب ت ث.

[1] يراجع: محمد حسام الدين اسماعيل عبد الفتاح، الكتابات العربية حتى القرن السادس الهجري، ص : 28، 29.
يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 118، 229.
[2] يراجع: المرجع نفسه، ص : 229.

عند إنتاج هذا الصوت، تشعر بجوانب وسط اللسان، أوحافة وسط اللسان تلامس قليلا سقف الحنك الأعلى مع ترك المجرى مفتوحا وسطا، إذ تشعر بثقل كبير يدعوه للاتجاه نحو القاع، وهو ما يصفه الجميع بالانخفاض فيها .

كما نجد معنى الانسجام ملموسا في نقط العرب لهذا الصوت بعد أن أخذوا رسمه من النبط، فقد حققوا الحكمة بنقطه اثنين من الأسفل تمييزا عن الباء.

حرف الفاء

(ف)

صوت الفاء يعتبره الخليل شفويا أو شفهيا مبدأه من الشفة [1]. أما سيبويه فهو عنده "من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى " [2].

ويصفه ابن سينا بمعطيات الخليل الشفوية مقارنا بينه وبين الباء حدوثا، إذ يقول: " والفاء والباء تحدثان عند مخرج واحد بعينه وهو الشفة، إلا أن الباء بحبس تام قوي لالتقاء جرمين لينين ثم انقلاعهما، وانفجار الهواء المصوت دفعة إلى الخارج، وأما الفاء فيكون الحبس فيها غير تام بل بأجزاء من الشفة مضيقة غير متلاقية، ومعه إطلاق مستمر في الوسط فيفعل حبس أطراف المخرج باهتزازه وبمجازه كالصفير الخفي " [3]، فالفاء كما يراها ابن سينا لا عمل للأسنان فيها مع الشفة بل يكون التضييق الكبير بين الشفتين هو العمدة لتمام هذا الصوت .

---

[1] العين، 58/1.
[2] الكتاب، 433/4.
[3] أسباب حدوث الحروف، ص : 124.

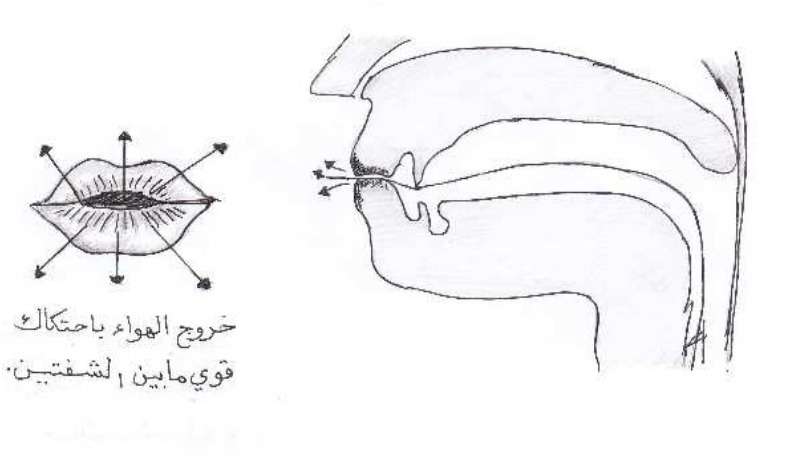

الشكل: 24- الفاء كما وصفها ابن سينا.

يرى المحدثون أن صوت الفاء هو الوحيد الشفوي الأسناني، وفيه " يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت وهو بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ويضيق المجرى عند مخرج الصوت، فنسمع نوعا عاليا من الحفيف هو الذي يميز الفاء بالرخاوة " [1]. وهو ما جعل بعض القدامى يعدُّ الفاء من أصوات التفشي (كالشين)، فالهواء عند النطق به يشتد احتكاكه نسبيا محدثا حفيفا عريضا [2].

والقواطع العليا هي التي تلامس الشفة السفلى لتحقيق هذا الصوت [3]، ولا يسمح عند إنتاجه بخروج الهواء من الأنف، لأن مؤخر الطبق يرتفع ويلصق بالجدار الخلفي للحلق[4].

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 46.
[2] يراجع: كمال بشر، علم الأصوات العام، ص : 121.
[3] يراجع: بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 121.
[4] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 125.

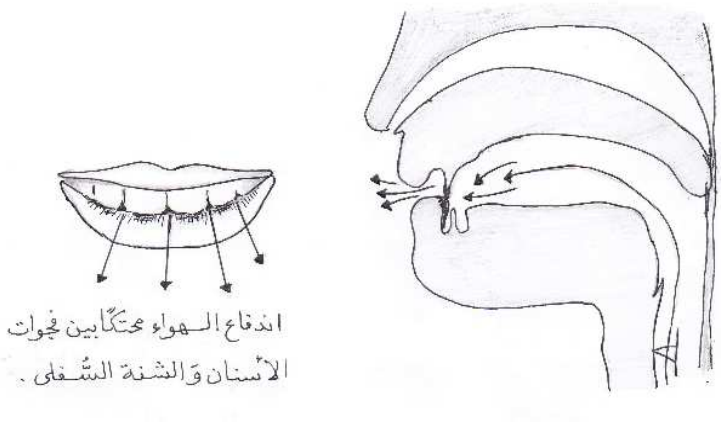

الشكل:25- هيئة إنتاج الفـــــــــــاء.

عند إمعان النظر في كيفية حدوث هذا الصوت نجد الأحداث الآتية :

- عند اقتراب الأسنان العلوية – القواطع – من الشفة السفلى، تكون هذه الأخيرة منبسطة غير متجمعة، أي أن انبساطها يشبه انبساطها وهي تنتج صوت الباء .
- الشفة العلوية لا عمل لها- عند بعض اللغويين - مع هذا الصوت إذ تسمح للسان بالعمل دونها، غير أننا نجدها تقترب جدا من الشفة السفلى وكأنها تساعد تضييق المجرى معها مع الأسنان .
- يندفع الهواء المبعوث من الجوف مارا بالجهاز كله حتى يبلغ النقطة التي هي مخرج الصوت، فيجد الفتحة الموجودة ضيقة، فتدعوه إلى التدافع محتكا بجوانبها متجها إلى أعلى، لأن المنفذ علوي (فجوات الأسنان العلوية) والشفة السفلى حددت للهواء الطريق دون أن ينتشر إلى الأسفل، لكننا لو نظرنا إلى وصف ابن سينا فإنه يتحدث عن تضييق بين الشفتين فقط دون مشاركة الأسنان بالعملية، ويكون ذلك كاف لسماع صوت الفاء.

ولو رأينا رمز: (ف) وبحثنا عن مدى الانسجام بين الصوت ورسمه لوجدنا أن هذا الحرف ثبت على هذه الصورة بين يدي العرب منذ زمن قريب.

أما قديما فقد وجد الرمز: (3) ثم صغرت الدائرة العلوية (3) ثم أغلقت كليا (ف) ، وكان هذا ما بين 230 م و270 م . وشيئا فشيئا تحول الامتداد إلى الأعلى [1].

ويرى يحي عبابنة أن النبطية اعتمدت هذا الرسم للفاء مع تغيير حسب موقعه من الكلمة: (فـ ، ـفـ ، ـف)، وهذا هو مصدرها بالنسبة للعربية [2].

وانبساط الشفة السفلى وكأنه :(ب) انبساط الباء، مع وجود انغلاق به متنفس (٥) تفسره دائرة الفاء، وقد أخذت الفاء نقطتها لاحقا على يد نصر بن عاصم ويحي بن يعمر، ليتشكل هذا الرمز: **ف**، وهو غير مرتبط بالقاف(ق) وتعريقته غير تعريقتها، لأن حكمه في العراقة حكم الباء أما القاف فحكمها حكم النون [3] .

كما تتضح قرابة الفاء بالباء والتاء والثاء من حيث التسمية أيضا فهي لم تأت على وزن القاف التي يعتقد أغلب الناس أنها شبيهتها.

---

[1] يراجع: محمد حسام الدين إسماعيل عبد الفتاح، الكتابات العربية حتى القرن السادس الهجري، ص : 30، 31.
[2] يراجع: دراسات في فقه اللغة، ص : 234.
[3] يراجع: القلقشندي، صبح الأعشى، 83/3.

حرف الجيم

(ج)

الجيم صوت شجري، " لأن مبدأها من شجر الفم أي من مفرج الفم " [1]، فهو ينتج " من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى " [2].

ومن أدق الأوصاف قديما لحال حدوث هذا الصوت ما قدمه ابن سينا حين قال : " وأما الجيم فتحدث من حبس بطرف اللسان تام، وبتقريب لجزء المقدم من اللسان من سطح الحنك المختلف الأجزاء في النتوء والانخفاض، مع سعة في ذات اليمين واليسار وإعداد رطوبة حتى إذا أُطلق نفذ الهواء في ذلك المضيق نفوذا يَصْفِرُ لضيق المسلك، إلا أنه يتشذَّب لاستعراضه، ويتمم صفيره خلل الأسنان، وينقص من صفيره ويرده إلى الفرقعة الرطوبة المندفعة فيما بين ذلك متفقعة ثم تتفقأ، إلاَّ أنها لا يمتد بها التفقع إلى بعيد ولا يتسع، بل تفقؤها في المكان الذي يطلق فيه الحبس " [3].

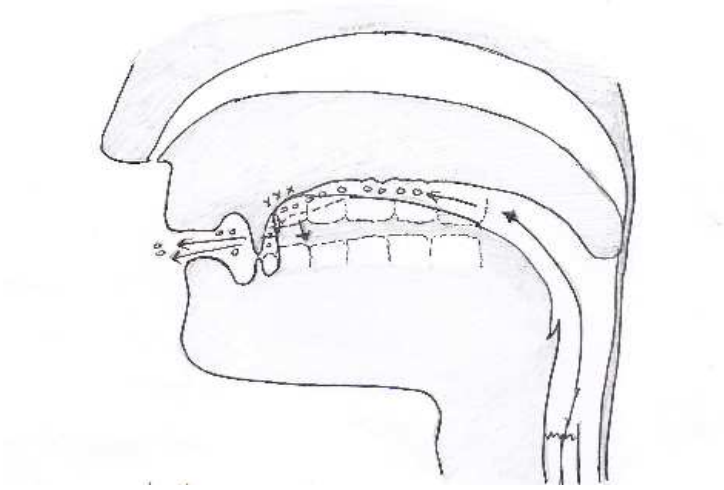

الشكل: 26- هيئة إنتاج الجيم كما يصفها ابن سينا.

---

[1] الخليل، العين، 58/1.
[2] سيبويه، الكتاب، 433/4.
[3] أسباب حدوث الحروف، ص : 75.

وقد تطور نطق الجيم تطورا كبيرا من القديم إلى الحديث وتؤكد ذلك اللهجات العربية الحديثة [1]. و" يظهر أن الجيم التي نسمعها الآن من مُجيدي القراءة القرآنية، هي أقرب الجميع إلى الجيم الأصلية، إن لم تكن هي نفسها " [2].

"ويتم نطق هذا الصوت بأن يرتفع مقدم اللسان اتجاه مؤخر اللثة ومقدم الحنك حتى يتصل بهما، محتجزا وراءه الهواء الخارج من الرئتين، ثم بدلا من أن يُفصل عنهما فجأة كما هو الحال في نطق الوقفات الانفجارية، يتم الانفصال ببطء، فيعطي الفرصة للهواء بعد الوقفة أن يحتك بالأعضاء المتباعدة، محدثا احتكاكا شبيها بما يسمع من الجيم الشامية أوهو هي " [3]، أما هذه الجيم الشامية فهي كما يحددها الدارسون : " يقترب طرف اللسان أومقدمه من النخاريب ومقدم الحنك الصلب، ويلامسه بحيث يكون هناك منفذ ضيق لمرور الهواء المزفور، ويكون اللسان مجوفا في وسطه وطولا، كما في الأصوات الصفيرية (السين، الزاي) إلا أن فتحة هذا التجويف أقل عمقا وأقل ضيقا عما عليه حال النطق بالأصوات الصفيرية ... " [4] ويتذبذب الوتران الصوتيان عند نطق الجيم [5].

" فالجيم صوت مركب الجزء الأول منه صوت قريب من الدال والثاني صوت كالجيم الشامية، لكنهما يكونان وحدة واحدة " [6].

ولو تتبعنا ما قيل حول الجيم وجدناه يختلف بين وصف القدامى والمحدثين لحال حدوث هذا الصوت، إذ عدَّه القدامى شديدا والمحدثون معطشا، وحاول إبراهيم أنيس البرهنة على أن الجيم في الأصل هي أقرب مخرجا من الكاف، وقد اتبع لبلوغ ذلك قاعدة تجاور الحروف العربية ووجد أن الجيم ترد كثيرا مع الشين والزاي ويندر كليا ورودها مع

---

[1] يراجع: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 77، 84. وكمال بشر، علم الأصوات، ص : 310، 342.
[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 77.
[3] كمال بشر، علم الأصوات، ص : 310. ويراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 131، 132.
[4] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 124.
[5] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[6] كمال بشر، علم الأصوات، ص : 310.

الكاف مما يؤكد قرب مخرجها منه [1]، كما استدل بقول ابن جني : " حروف أقصى اللسان وهي القاف والكاف والجيم وهي لا تتجاور البتة " [2].هذا بعد أن أثبت من خلال سورة البروج، وفاصلتها القرآنية أن الجيم جاءت مع الدال لأن الجيم ليست بالصوت المعطش أصلا [3].

ونجد فيما يحدده ابن سينا لحدوث الجيم ما يراه المحدثون من تعطيش فيها، فالجيم عنده تتأتَّى بـ :

- حبس طرف اللسان سقف الحنك الأعلى حبسا تاما، وذلك كما يبدوفي قوله: في المكان الموازي للطرف مباشرة عندما يكون مقدم اللسان وهو الجزء الموازي لوسط الحنك الأعلى قد اقترب جدا من نقطة الغار، هذا العضو الذي قدم ابن سينا وصفه بدقة حين قال : " المختلف الأجزاء في النتوء والانخفاض"، وهذه هي ميزة الغار العضوية الطبيعية ففيه تحززات دون غيره من أجزاء سقف الحنك الأعلى.

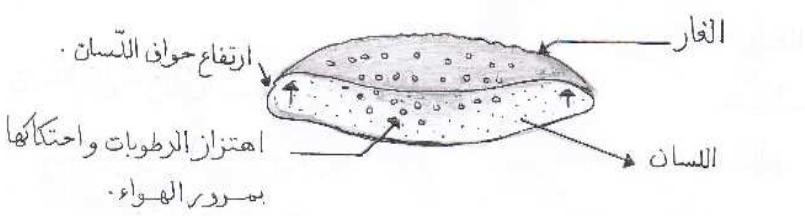

الشكل: 27- هيئة الممر بين اللسان والغار.

- يتسع اللسان عند نطقه باقترابه من الغار يمينا ويسارا مما يمنع الصوت عند صدوره من أن يكون صفيريا محضا.

[1] يراجع: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 83.
[2] ابن جني، سر صناعة الأعراب، 429/2.
[3] يراجع: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 82.

- تواجد رطوبة عالية في هذا المكان تتشذب حال انفتاح المجرى لاستعراضه، أي لأنه عريض.
- يتمم الصوت صفيره من خلال الأسنان أيضا .

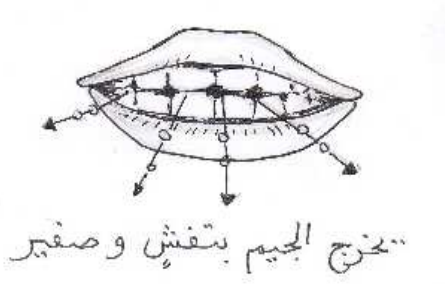

الشكل: 28-هيئة الأسنان عند إنتاج الجيم.

- تقلل الرطوبة من الصفير وتتحول إلى فرقعة .
- هذه الرطوبات المتفقعة لا يمتد بها التفقع إلى بعيد ولا يتسع بل يبقى في المكان الذي يطلق فيه الحبس .
- لم يذكر ابن سينا انفجار الصوت، بل كل وصفه للصفير والرطوبات يدل على احتكاك لا على انفجار، أي أن الجيم عنده أيضا ابتدأت بسد ثم احتكاك .

أما عن رمز الجيم، أي رسمها (ج) على هذا النحو، فالكل يرى بتوحد رسم:ج، ح، خ. في البداية ثم إضافة النقط لاحقا [1]، لكننا عندما نتتبع الجيم رسما ومخرجا صوتيا، لا نجد القرابة بينها وأختيها الشبيهتين رسما بها، حتى أن اسمها يختلف نطقه عنهما، فهما : (حاء)، (خاء) وهي (جيم)، في حين نجد المتشابهات رسما تسمى بأسماء على وزن واحد (باء، تاء، ثاء،)، (صاد، ضاد)، (طاء، ظاء)، (عين، غين).

[1] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 89، 90.

لذلك فتفسير رسمها وصوتها مختلف عنهما، فالجيم صوت فريد في اللغة العربية وهو بالفعل مركب من صوت الدال والشين معا .

يعتقد الدارسون أن الجيم حين رسم كان محاكاة وتقليدا للجَمَل كون اسم هذا الحرف gimal وهو مشتق من لفظ (gamal)، وهذا في القلم السرياني [1].

لكن هذا الرمز : (٦) وهو أقدم إشارة يمكن ربطها بصورة الجمل قد اتجه نحو الرمزية ليصبح: (٨) ، وهي صورة لم تتعدد في الكتابات النبطية [2].ونحن اليوم نلحظ وجه الشبه بين هذا الرمز والجيم العربية.

والواقع أن قرب نطق الجيم من الدال أول إنتاجها يدعونا للاعتقاد أنها اقتربت من رسم الدال، ولعل هذا يفسر وضع النبطية قديما للدال والجيم رسما متقاربا هو : (٩)، لكننا نلحظ في الجيم ميزة الاحتكاك التي تبقي المجرى على ضيقه حتى بعد إنهاء السد المؤقت، بين طرف اللسان وسقف الحنك، فانحنى الخط العلوي للدال:د، ليصبح موازيا للحدث: ح، ثم نقط لاحقا من الأسفل لأن فيه رطوبات واحتكاك وفرقعة مع انخفاض هذا الصوت عند إنتاجه فيما يشبه الياء، وقد نقطت الاثنتان من الأسفل لما فيهما من قرابة في صفة الانخفاض، وقرابة في المخرج .

[1] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة ، ص : 223. وأحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 102.
[2] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 223.

حرف الحاء

(ح)

الحاء حلقية لأن مبدأها من الحلق [1]، وهي بالتحديد من أوسطه [2]، وعند حدوثها " الفرجة بين الغضروفين السافلين تكون أضيق، والهواء يندفع أميل إلى قدام ويصدم حافة التقعير الذي كان يصدمه هو اء العين عند الخروج، وتلك الحافة صلبة والدفع منها أشد، فيقسر الرطوبة ويميلها إلى قدام، ويحدث فيها من التشظي والتشذب ما كان لا تحدثه العين...والحاء في الموضع الذي يناله هو اء التنحنح " [3] و"يكون فيها فتح الطرجهاري مطلقا، وفتح الذي لا اسم له* وسطا " [4]، ويقول في رواية ثانية مقارنا الحاء بالعين: "والحاء مثلها إلا أن فتح الذي لا اسم له أضيق، والهواء ليس يحفز على استقامة حفزا، بل يميل إلى الخارج حتى يقسر الرطوبة ويهزها إلى قدام، فتحدث من انزعاج أجزائها إلى قدام هيئة الحاء"[5] .

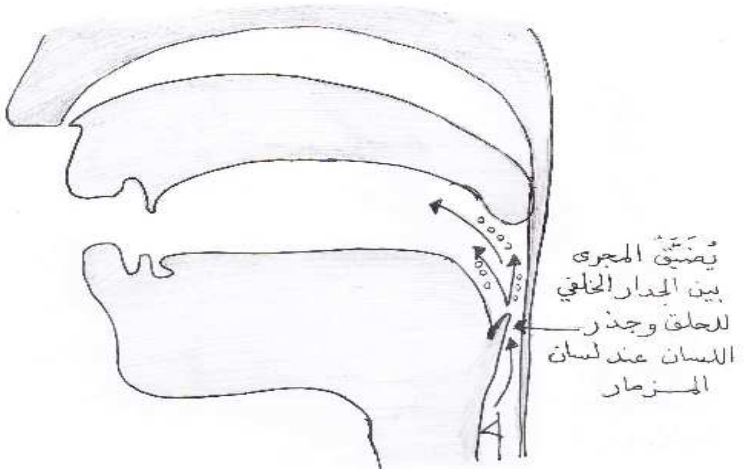

الشكل: 29- هيئة إنتاج الحـــــــاء.

---

[1] الخليل، العين، 58/1.
[2] يراجع: سيبويه، الكتاب، 433/4.
[3] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص : 115، 116.
* هو لسان المزمار، كما يوصف حديثا، يراجع : إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 142، 143.
[4] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص : 115.
[5] المصدر نفسه، ص : 72، 73.

فبنية الحاء تتألف " حين يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة دون أن تتحرك الأوتار الصوتية، وحين يصل إلى وسط الحلق يضيق المجرى ويكون معه نتوء لسان المزمار صوب الحائط الخلفي للحلق، ويرتفع الطبق ويسد المجرى الأنفي " [1]، " والتضييق الذي يحدث في منطقة الحلق، يؤدي إلى حدوث احتكاك الهواء بجدران الحلق " [2]

ويعتقد البعض أن الحاء هي النظير المهموس للعين [3] لكن البعض الآخر شعر أن العين تختلف كثيرا من حيث كيفية نطقها عن الحاء في أمور أخرى عدا الجهر والهمس، تبدو غامضة كما يرى كمال بشر[4].

مما سبق نلمح ما يلي :

- الحاء صوت يحدث بتضييق شديد في مجرى الهواء عند الحلق بالمكان الذي حدث فيه العين، لكن هذا الضيق أقل مما كانت عليه العين .
- يخرج الهواء في نطق الحاء إلى الأعلى محتكا بجوانب الأعضاء المضيقة وهي : الجدار الخلفي، جذر اللسان خاصة عن نقطة لسان المزمار، لكنه في العين يدور ويتردد في تلك المساحة وهي تكون أوسع من مساحة الحاء مما يحدث رنينا في العين لا نسمعه في الحاء.
- تهز الحاء الرطوبة وتقسرها إلى الأمام (عكس العين)، فيحدث فيها تشظ وتشذب.

وقد وجدنا الحاء كتبت منذ أوائل مراحل رسمها في العربية القديمة : (ح)، وفي عربية القرن الثامن الميلادي : (ح ح ح ح) والكوفية : (ح ، ح) والنسخ القديم : (ح ح) [5]، فهي بذلك لم تتغير كثيرا .

لكن عبابنة أشار إلى أن الحاء عانت من الازدواجية، لأنها كانت قريبة الشبه جدا من رمز الجيم في الكتابات النبطية [6].

---

[1] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 182.
[2] سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص: 139.
[3] يراجع تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 131. وبسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 126.
[4] يراجع: علم الأصوات، ص:304.
[5] يراجع: عفيف بهنسي، فن الخط العربي، ص : 33.
[6] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 227.

حرف العين

(ع)

العين حلقية لأن مبدأها من الحلق [1]، وهي ليست الحرف الأول عند الخليل مخرجا كما يعتقد الكثيرون بل تقع عنده في الحيز الثاني، لأن ابن كسان نقل عن الخليل قوله : "فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء " [2]، وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله : " أوسط الحلق مخرج العين والحاء " [3] .

ونجد ابن سينا حين يصف حدوثها يقول :" العين يفعلها حفز الهواء من فتح الطرجهاري مطلقا وفتح الذي لا اسم له متوسطا. وإرسال الهواء فوق ليتردد في وسط رطوبة، تتدحرج فيها من غير أن يكون قبل الحفز خاصا بجانب " [4].

واهتم المحدثون بنطق العين فقد رأى البعض منهم أنه عند حدوثها "يرجع جذر اللسان بقوة إلى الوراء ويقترب من الجدار الخلفي للحلق بحيث يلامسه "[5]، متى يتأخر " نتوء لسان المزمار إلى الخلف حتى يتصل أو يكاد بالجدار الخلفي للحلق، وفي نفس الوقت يرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي وتحدث ذبذبة. في الأوتار الصوتية " [6].

---

[1] العين، 58/1.
[2] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 1/ 90.
[3] الكتاب، 433/4.
[4] أسباب حدوث الحروف، ص : 72، 73.
[5] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 126.
[6] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 130.

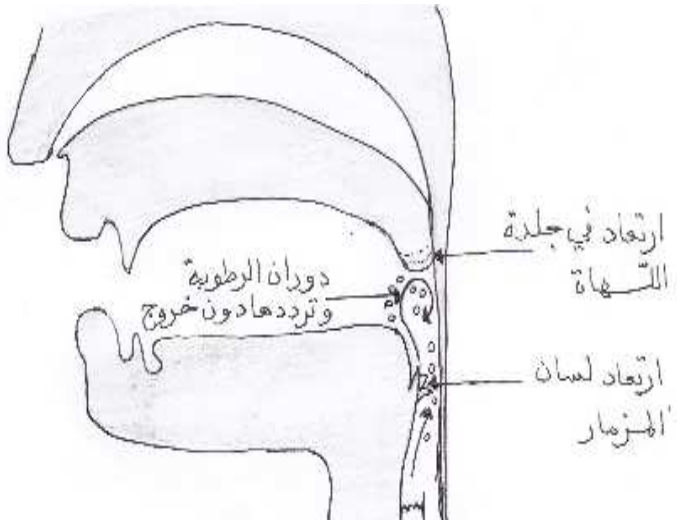

الشكل:30- هيئة إنتاج العـــــــين.

وقد دقق محمد فتح الله الصغير في وصف مراحل حدوثها مستعينا باستخدام الجهاز الظليلي (Fluoroscopy) فوجد ما يلي [1]:

1) يتحرك أعلى لسان المزمار قليلا باتجاه الجدار الخلفي للحلق، ليجعله عرضة لتيار الهواء الخارج، الذي يعمل على تحريكه، فينشأ ارتعاد لمستدق لسان المزمار.

2) ترتفع اللهاة ليسد جزء قريب من قمتها الحلق الأنفي، ويبقى أسفل اللهاة متدليا في فراغ الحلق .

3) كما يعمل الهواء الخارج على تحريك مستدق اللهاة المتدلي في تجويف الحلق.

4) قد يكون تحريك مستدق لسان المزمار هو المسؤول عن صفة الترديد التي أشار إليها سيبويه عند وصف العين [2].

5) ينطلق مؤخر اللسان سريعا إلى الخلف باتجاه الجدار الخلفي للحلق.

6) ينخفض الفك السفلي بزاوية قدرها 29 درجة تقريبا [3].

---

[1] الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، ص : 40.
[2] يراجع: الكتاب، 435/4.
[3] براجع، محمد فتح الله الصغير، الخصائص النطقية، ص : 41.

عند النظر لرسم العين نجده تطور من شكل الدائرة المغلقة حتى فتح أحد جوانبها وقد كانت العربية قد حذت في هذا حذو النبطية، فقد استغنت هذه الأخيرة في الرموز المفتوحة من اليمين عن جزء من جانب العين الأيمن، وعندما تكون العين في وسط الكلمة تعيد لها العربية ما انتزع منها، وكذلك في نهايتها متصلة، (ـ٥ـ ـ٤ـ ـ٣ـ ـ٢ـ ـ١ـ ـ٠ـ)[1]

ولو تابعنا العين من العربية القديمة حتى النسخ القديم نلحظ حقا أنها كانت دوما محافظة على بعض الدائرة ويكون انفتاحها دوما من اليمين إلا قليلا [2].

مما سبق نستنتج أن :

- في العين إرسال للهواء نحو الأعلى، إذ يتردد هناك في وسط رطوبة تتدحرج من غير أن يكون الهواء قبل الحفز خاصا بجانب، أي أن حركة الهواء في مكان نطقها دورانية غير ضاغطة على جانب دون آخر.

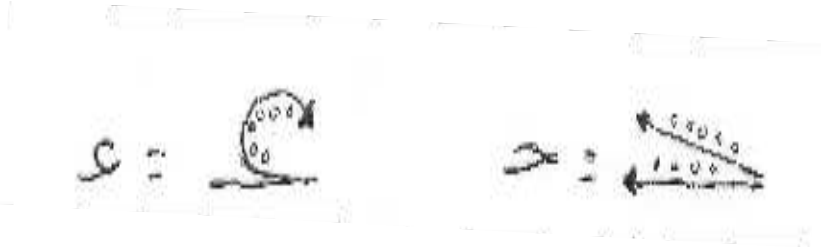

- العين من الحروف التي تكون أثناء حدوثها غرفة رنين، وهي هنا غرفة الحلق، "وتبقى حجرة النطق هذه أكبر بكثير من مساحة أي حجرة نطقية عند إنتاج صوت احتكاكي"[3].

- برهنت الدراسات أن لسان المزمار له دور في إنتاج هذا الصوت.

---

[1] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 233، 234.
[2] يراجع: عفيف البهسني، فن الخط العربي، ص : 33.
[3] سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص : 138.

من كل ما سبق يمكن القول أن رمز العين ذو الأصل الدائري ثم الذي هذبته العربية بفتح جانب منه، هو بالفعل تجسيد جيد لحال غرفة الصوت ، حتى يبلغ نقطة الخروج إذا ما لحقه صوت آخر، وقد بقي منذ القدم عرضة لنسبته بين الرخاوة والشدة، فهو من الأصوات التي فيها بعض السد والانفتاح معا [1]. وهو ما جعل العين تعد عند البعض من الأصوات الرنانة، ذلك " أنه عند إنتاج الصوت الرنان، تكون الحجرة النطقية دائما وبشكل مطرد أكبر من الحجرة الحنجرية، وهو الأمر ذاته الذي نجده في العين " [2] و" المعلوم أن الصوت الرنان لا بد أن يكون واضحا سمعيا " [3]، وكذلك هي العين.

كما أن دوران الهواء في العين رغم انفتاح المجرى هو ما يشعر به الناطق وما يحدث في عملية نطقه، وهذا ما يجسد الحصر الذي وصفه ابن جني قائلا : " تحصر النفس" [4].

نلاحظ مما سبق أنه رغم وجود الرطوبة في الحاء والعين، إلا أن ناقط الحروف لم يعبر بالنقط على وجودها فيهما، لأن لهما نظيرين رسما، زيادة على وجود الرطوبة فيهما يحدث احتكاك قوي بسقف الحنك الأعلى، فخصت الخاء نظير الحاء والغين نظير العين بالنقط، بهذا يكون الناقط قد بدأ مجاله لنقط الحروف مع الأصوات التي شارك فيها الحنك الأعلى ابتداء باللهاة حتى الشفة. وما كان قبلها نحو الجوف لم ينقط، وهو ما يؤكد أيضا شعورهم بالمكان الحقيقي للخاء والغين مخرجا، كما سنرى في دراستنا التالية لهما .

---

[1] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث، ص : 130. وعبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص :181.
[2] سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص : 138.
[3] المرجع نفسه، ص : 140.
[4] سر صناعة الإعراب، 243/1.

حرف الخاء

(خ)

الخاء صوت عربي أضيف رسمه عند إلحاق الروادف، أي أنه كان صوتا دون رسم لمدة طويلة من الزمن [1]، وهي صوت حلقي " لأن مبدأها من الحلق" [2]، تعد أدنى أصوات الحلق مخرجا للفم [3] .

يوضح ابن سينا حدوثها قائلا : " أما الخاء فإنها تحدث من ضغط الهواء إلى الحد المشترك بين اللهاة والحنك ضغطا قويا مع إطلاق، يهتز فيما بين ذلك رطوبات يعنف عليها التحريك إلى قدام، فكلما كادت أن تحبس الهواء زوحمت وقسرت إلى الخارج في ذلك الموضع بقوة "[4].

وله أيضا : " وأما الخاء فيحدث مثل حدوث الحاء، إلَّا أنه يكون أخرج، والموضع أصلب، والرطوبات أقل وألزج، ويفعل من التشَظِّي والتشذب الانتقاض والاهتزاز، ويتدحرج الهواء بسبب ذلك في سطح الحنك كله " [5].

ولو بحثنا عن وصف المحدثين لهيئة حدوثها وجدناهم يقولون : هي مثل الغين إلا أنها مهموسة [6]، دون توضيح يميزها.

---

[1] يراجع: عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، ص : 25.
[2] الخليل، العين، 58/1.
[3] يراجع: الكتاب، 433/4.
[4] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص : 73.
[5] المصدر نفسه، ص : 116.
[6] يراجع : إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص : 88؛ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 130؛ وعبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 179؛ وبسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 125.

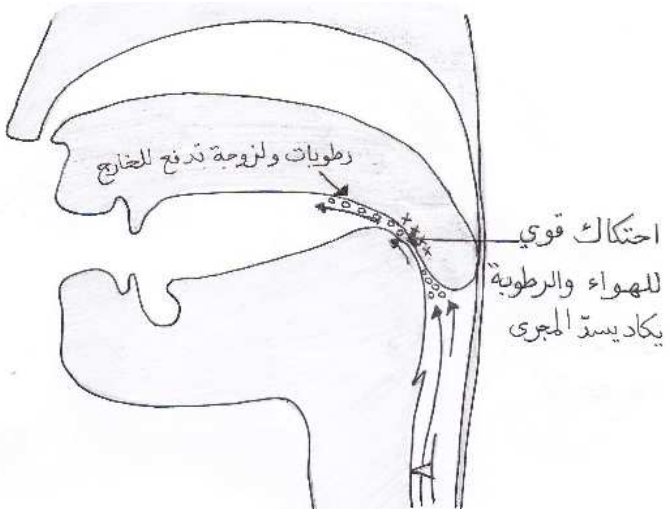

الشكل: 31- هيئة إنتاج الخـــــــــــــــاء.

مما سبق نلحظ:

- عند النظر لهيئة حدوث الخاء مليا، نلاحظ أن مخرجها -كما يُحدد حديثا- طبقي[1]، وهو المكان الذي سماه ابن سينا : الحد المشترك بين اللهاة والحنك.
- في هذا المكان يحدث ضغط قوي للهواء، يدفع الرطوبات كلما تجمعت لدرجة تكاد تحبس الهواء، فتدفع وتُقسَر إلى الخارج بقوة شديدة .
- في الخاء صلابة غير موجودة في الحاء، وتُحدث حركة الرطوبة تشظيا وتشذبا واهتزازا .
- الهواء يتدحرج إلى سطح الحنك الأعلى كله، مندفعا إلى أعلى .

[1] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 130.

- رسم الخاء في العربية يظهره أحمد محمد قدور في جدول له، بهذا الرمز: (ﺨـ)، وهذا في العربية الجنوبية (بين 200 ق م، و700 م) ولكن لا رمز لهذا الصوت قبل وبعد هذا العهد في الكتابات الأخرى [1].

وهي منذ العربية القديمة حتى النسخ القديم ترسم : (ﺪ) بشكل موحد مع الحاء والجيم.

- لذا كان الرمز (**خ**) أحسن نتيجة تصور حدث الخاء في هيئة إنتاجه داخل الفم . واختار الناقط وضع نقطة عليها من الأعلى تمييزا بينها وبين الحاء لما فيها من احتكاك علوي ودفع للرطوبة، تدل عليه النقطة دلالة فعلية.

[1] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 110.

حرف الغين

(غ)

الغين من الحروف الروادف، فقد اقتضتها طبيعة كتابة اللغة العربية، فزيدت مع أخواتها الخمس لتتم مع الحروف الاثنين والعشرين الأخرى عدة الحروف العربية [1]، لكنها نطقا أصلية عند العرب .

وصفها الخليل بالحلقية مخرجا، لأن مبدأها من الحلق [2]، وهي أدنى الأصوات الحلقية عند سيبويه [3] .

ويصف ابن سينا حدوث الغين قائلا : " فهو أخرج من ذلك يسيرا (يقصد من القاف والخاء)، وليست تجد...من قوة انحفاز الهواء ما تجده الخاء، والحركة فيه إلى قرار الرطوبة أميل منها إلى دفعها إلى الخارج، لأن الحركة فيها أضعف، وهواؤها يُحدث في الرطوبة الحنكية كالغليان والاهتزاز "[4]. وله نص برواية أخرى : " وأما الغين فإنها تحدث عن مثل ذلك، (أي الخاء)، إلاَّ أن الهواء لا يكون قسَّارا للرطوبة بل مغليا لها، يأتي على الاستقامة وقد ضعفت قوتها لأنها بعدت يسيرا عن المخرج، ويكون الاهتزاز في تلك الرطوبة أكثر منها فيما سلف، والانقسار إلى قدام أقل، ويحدث في موضع التغرغر، ولو أن الإنسان أخذ في فمه ماء وتكلف تقريبه من الحلقوم، ثم دفع فيه الهواء سمع صوت الغين، ولو قدمه قليلا ولم يمكن الهواء أن يصعد إليه مستقيما بل منعطفا، واعتمد عليه بالحفز سمع الحاء ثم الخاء ثم الغين، على أن الرطوبة في الغين أكثر منها في الخاء " [5].

---

[1] يراجع: عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي، ص : 25.
[2] يراجع: العين، 58/1.
[3] يراجع: الكتاب، 433/4.
[4] أسباب حدوث الحروف، ص : 74.
[5] المصدر نفسه، ص : 118.

ويضبط المحدثون هيئة حدوث الغين بما يلي : " يتكون حين يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيتحرك الوتران الصوتيان ثم يتخذ مساره إلى الحلق حتى منطقة أدنى الفم، فيرتفع أقصى اللسان، بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وفي نقطة الالتقاء يسمح للهواء بالمرور ليحدث احتكاكا مسموعا " [1]، إذ يكون الرجوع الشديد إلى الوراء للجزء الخلفي من ظهر اللسان باتجاه الطبق على مستوى اللهاة، إذ يمر الهواء المزفور بينهما بصعوبة [2].

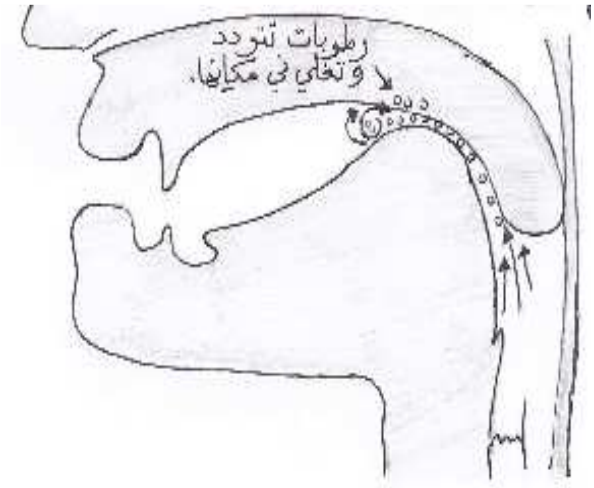

الشكل: 32- هيئة إنتاج الغـــــــين.

يرى تمام حسان أن الفارق بين القدامى والمحدثين في تحديد مخرج الغين يدعونا لتخطئتهم إذا كان الحلق عندهم هو بحدود الحلق عندنا، أما إذا كان عندهم يمتد حتى ما بين مؤخر اللسان والطبق فهم على صواب [3].

لكننا نعتقد أنه حتى ولو اختلفت حدود الحلق بيننا وبينهم فلا مجال لتخطئة القدامى لجعلهم الغين حلقي وهو عندنا طبقي، ذلك أن الغين حدد حلقيا عندهم بمعطى الذوق لا

[1] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 178، 179.
[2] يراجع: بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 125.
[3] يراجع: مناهج البحث في اللغة، ص : 129، 130.

الآلة وتردده داخل غرفة الرنين (الحلق) هو ما جعلهم يشعرون به هناك، أما الآلة حديثا فقد حددت أقصى نقطة تضيق عند إنتاجه لتكون مخرجا له، وقد كانت بين الطبق ومؤخر اللسان، لذا هو قديما حلقي تذوقا وحديثا طبقي وفق معايير المحدثين لتحديد المخرج، وهي ملاحظتنا عينها مع الخاء.

عند تتبع حدوث صوت الغين نجده :

- يشتد التضييق بين مؤخر اللسان والطبق حين يرتفع اللسان لهذا الأخير وفي هذا الحال يتولد أيضا تفخيم للصوت .
- تتوفر حجرة رنين في الحلق من جراء هذا الوضع، وهذا ما يجعل الغين يتردد هناك.
- في الغين يحدث ما رأيناه في العين، فلا تُقسر الرطوبة لأعلى بل كما وصف ابن سينا :الحركة تكون إلى قرار الرطوبة أميل منها إلى دفعها للخارج، فحركة الهواء أضعف من الخاء، وهي هنا كضعف هواء العين بالنسبة لهواء الحاء.
- يحدث في الحلق وفي الحنك غليان للهواء والرطوبة لا يوجد في الخاء، فيتردد الهواء مع الرطوبة هناك .

الغين تردد وغليان رطوبات تمنع الهواء من الخروج وتهز المخرج.

كل هذا يشير إلى أن محل الغين من الخاء، هو محل العين من الحاء. واشتقاق رسم العين والحاء ثم نقطهما للتعبير عن هذا الأثر الحسي للصوت، لم يكن اعتباطا، فالعين مثل الغين من حيث التردد وحصر الهواء قبل خروجه، والخاء مثل الحاء من حيث قسر الهواء والرطوبة

خارجا إلى أعلى، لذا نقطت الغين لما فيها من رطوبة ولزوجة واهتزاز وغليان . وبما أن الغين من الروادف فرسمها كان عن العين أصلا [1].

حرف الدال

(د)

الدال صوت نِطعي، " لأن مبدأها من نِطع الغار الأعلى " [2]، فهي مع التاء مخرجا عند الخليل وهي كذلك عند سيبويه وتحدث " مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا " [3].

وتَتَبيَّن ملامح الدال عند ابن سينا من خلال مقارنتها بأختيها التاء والطاء، "فإن مخارجها من المقدَّم من السطح الممتد على الحنك، وتحدث كلها بحبسات تامة، وقلع ثم إخراج هو اء دفعة ... وأما الدال فتفارق الطاء إذ لا إطباق فيها وتخالف الطاء والتاء إذ الحبس فيه غير قوي، وعساه أن يكون في الكم أقل قليلا من حبس التاء، والثلاثة تشترك في أن القلع بجرم رطب لين عن جرم صلب " [4].

وهو في الدرس الحديث " صوت أسناني لثوي ... ينطق بإلصاق طرف اللسان بداخل الأسنان العليا، ومقدمه باللثة، في نفس الوقت الذي يلتصق فيه مؤخر الطبق بالجدار الخلفي للحلق، وتحدث ذبذبة في الأوتار الصوتية ... " ومؤخر اللسان منخفض في النطق بهذا الصوت، وهذا الانخفاض يعطي لحجرة الرنين، شكلا مغايرا لشكلها في حالة التفخيم، وتكون النتيجة حينئذ ترقيق الدال " [5]، وأغلب الدراسات تصف الدال حال النطق به

---

[1] يراجع: عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 33.
[2] الخليل، العين، 58/1.
[3] الكتاب، 433/4.
[4] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص : 121، 122.
[5] تمام حسان، مناهج البحث اللغوي، ص : 121.

الوصف نفسه الذي تحدده للتاء، مع فارق الجهر والهمس بينهما [1]، " فالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا يعد حائلا يعترض مجرى الهواء " [2] وهي نقطة حدوث صوت الدال عند المحدثين أيضا.

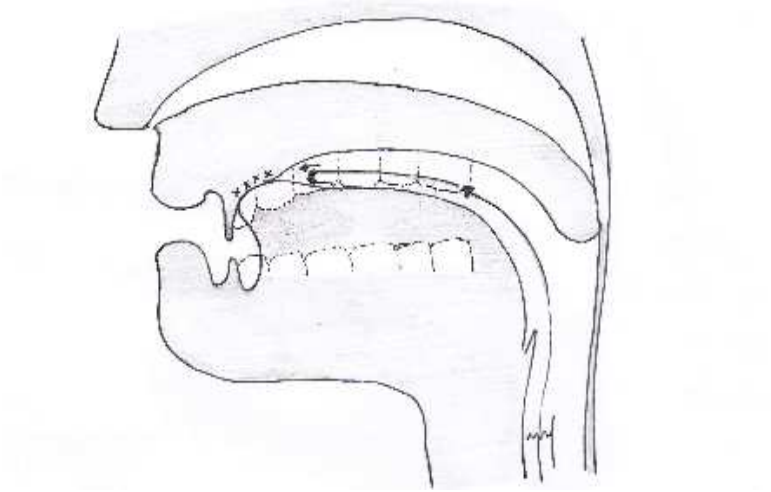

الشكل:33- هيئة إنتاج الدال.

عند تتبع ما قيل حول هذا الصوت نجده:

- يحدث بوضع يتفق مع التاء في جوانب، والطاء في أخرى، والثلاثة تتفق في كون مخرجها بين اللثة وطرف اللسان، إلَّا أن مساحة التقاء اللسان بسقف الحنك الأعلى أقل في حرف الدال من الاثنتين(ت ط)، إذ لا إطباق فيه، لذلك لم يحتج إلى ارتفاع مساحة كبيرة من جوانب اللسان أوارتفاع مؤخره كي يوفر غرفة رنين كالتي نجدها في حروف الإطباق.

من ثم لم يعتمد على الرسم الخاص بحروف الإطباق كي يجسد صوته.

[1] يراجع: بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 115؛ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 161.
[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 48؛ وكمال بشر، علم الأصوات اللغوية، ص : 250.

- مساحة التقائه مع اللثة ليست بقدر التاء، فهو أقل منها كمًا، لذلك هو لم يحتج في رمزه امتداد حرف التاء :ت بهذا القدر .

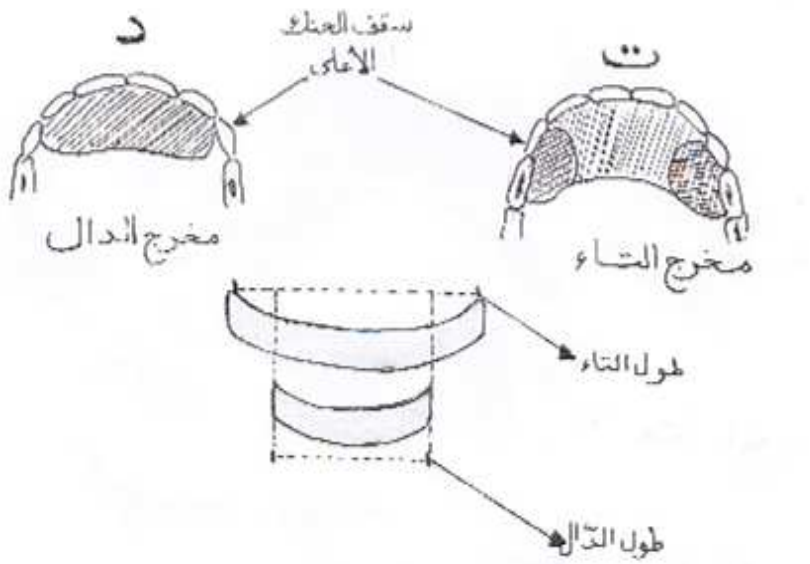

الشكل: 34- الفرق بين مخرج الدال والتاء .

ومما يؤكد كبر مساحة المخرج عند التقاء الأعضاء المنتجة للتاء، مقارنة مع المساحة التي تلتقي فيها الأعضاء نفسها عند إنتاج الدال، ما قدمه ابن سينا عن ضرب الكف بقوة لتنتج التاء وعن مثله لكن أضعف من ذلك للدال [1]. والفرق هنا نلحظه لو صبغنا الإصبع بمداد قبل ضربه الكف، سنجد مساحة التاء أكبر لأن أحد الجسمين لين زادت مساحته بسبب قوة الضرب، والمساحة المطبوعة على الكف أنحف وأضعف عند الدال لأن الضرب الضعيف لم يوسع مساحة الالتقاء.

[1] يراجع: أسباب حدوث الحروف، ص : 136.

أخذ هذا الصوت منذ الكتابات النبطية صورا متقاربة في جميع أماكن وجوده: (ה ، ה ، ה ، ה)، وفي نقوش البتراء ظهر بالصورة: (ה) فقط، مما يؤكد أن تفرد شكله وعدم تنوعه، يدل على درجة رفيعة من إتقان الكتابة، وهذا الرمز يشير إلى الباب في كل صوره، ومهما غير شكله فهو يحافظ على جزء منه، لكن هذه الرموز تخلصت من الدلالة الصورية واتجهت نحو الرمزية المجردة، ويمكن ربطها بالرمز الآرامي [1].

عند وصفنا هذا النوع من الأصوات نجد أنفسنا دوما أما تناقض متوارث وهو :

يحدد اللغويون نقطة السد في الأصوات الأسنانية اللثوية الانفجارية بين طرف اللسان واللثة، دون الإشارة أبدا إلى ضرورة أن يكون مجرى الهواء من الحنجرة حتى هذه النقطة مغلقا حتى يتوفر الانفجار، حيث أنَّ جل الرسومات والشروحات التي قدموها لا توضح وضع جوانب اللسان التي تمنع تسرب الهواء من الجانبين في هذه الأصوات.

[1] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 224.

حرف الذال

(ذ)

الذال من الأصوات التي كان رمزها رادفا في اللغة العربية، أي هي من الحروف الروادف الست [1]. أما عن مخرجها فهو لِثوي، " لأن مبدأها من اللثة " [2]، فهي تحدث " مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا " [3] كما ضبطها سيبويه .

ويصف ابن سينا حدوثها قائلا : " وإن كان الحبس بالطرف أشد ولكن لم يُستغل بسائر سطح اللسان ولكن شُغل الهواء عند الحبس، بما يلي طرف اللسان من الرطوبة حتى يحركها ويهزها هزا يسيرا، وينفذ فيها وفي أعالي خلل الأسنان قبل الإطلاق ثم يُطلق، كان منه الذال " [4] .

ثم يقارن الذال بالزاي مفرقا بينهما بما يلي : " وهو أنه لا يُمَكَّن هو اؤه حتى يستمر جيدا في خلل الأسنان، بل يُسدُّ مجراه من تحت، ويمكن من شمِّه من أعاليه، ولكن يكون في الذال قريبا من الاهتزاز الذي يكون في الزاي " [5].

عند وصف المحدثين للذال نجدهم يكررون الذي قيل عن الثاء، فلإنتاجه " يقترب اللسان من القواطع العليا ويلامسها بحيث يسمح بمرور الهواء المزفور من خلال منفذ ضيق، وقد يتجاوز طرف اللسان القواطع قليلا بحيث يُرى من الخارج، أو يوضع وراءها تماما "[6] ثم يفرقون بين الاثنين بقولهم : " ولا فرق بين الذال والثاء إلا في أن الثاء صوت مهموس لا يتحرك معه الوتران الصوتيان" [7].

---

[1] يراجع: عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، ص : 25.
[2] الخليل، العين، 58/1.
[3] الكتاب، 433/4.
[4] أسباب حدوث الحروف، ص : 433.
[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[6] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص :121.
[7] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 47؛ ويراجع: كمال بشر، علم الأصوات، ص : 298.

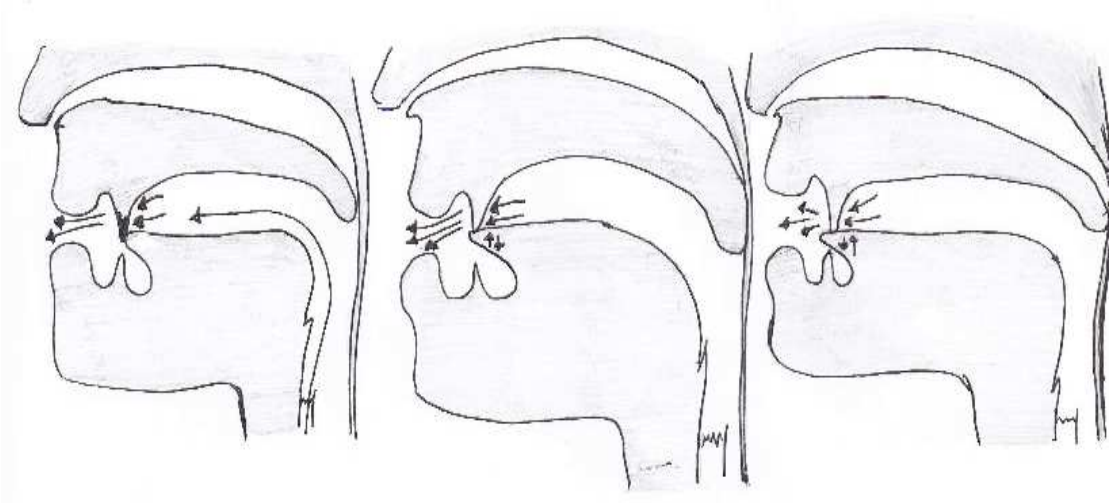

الشكل: 35- هيئات إنتاج الذال.

مما سبق نستنتج ما يلي:

- عند تتبع حدوث هذا الصوت ومخرجه نجده كالثاء فمن أشكال حدوثه :
  - أن يخرج اللسان قليلا بين الأسنان .
  - أن يدفع اللسان الأسنان العلوية .
  - أن يسد من الداخل بعض الأسنان العلوية.
- حرف الذال من الحروف الروادف، وقد أخذ شكله كما يرى الغالبية من اللغويين من رسم صوت الدال [1] .
- يعتقد أغلب علماء الأصوات أن الثاء هي نظير الذال المهموس، لكن عند الإبدال تبدل دالا أوزايا [2].
- كما يُشبَّه الدال بالطاء، فإن الذال شُبَّه بالظاء أيضا، ولا فرق بينهما غير التفخيم والترقيق [3] . وكأن الذال بعض الظاء .

---

[1] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 88، 89.
[2] يراجع: بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 122؛ وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 127.
[3] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 127.

- يبدوأن علاقة الذال بالثاء والدال بالتاء، تتفق في الجزء الذي يعمل من طرف اللسان فهو أقل من المساحة التي تعمل لتنتج الثاء، فالمساحة مع الثاء ممتدة أكثر . وهو ما لاحظنا من فرق بين مساحة الدال والتاء . إذ التاء أكبر مساحة من الدال .
- زيدت النقطة – أثناء وضع النقاط – للذال دون الدال لا لأنه رادف، بل لأن فيه اهتزازا واضطرابا يشبه ما جاء في الزاي مقارنة بالراء . وهنا نتذكر ما قاله ابن سينا في فصله السادس في أن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية، حين قارن بين الزاي والذال، فكانت الزاي تهتز على نفسها، والذال مثلها إذا كان المهتز أعظم وأغلظ وأشد، فيخلخل منفذ الهواء [1].

أي أن فيهما اهتزازا، لكنه في الذال أقوى لأن الجسم يهز ما حوله أيضا . لذلك كان رسمها بالفعل متسقا مع شكل حدوثها، مع أن العربية الجنوبية (300 ق م، 700م) حاولت وضع : (𐩣) كرمز لها [2].

[1] يراجع: أسباب حدوث الحروف، ص : 95، 96.
[2] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 110.

حرف الراء

(ر)

الراء مع النون واللام عند الخليل من حيث انتسابها للمخرج الذلقي [1]. ويحدد سيبويه مخرجها فيقول:" من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام " [2].

كما يصفه ابن سينا مقارنا إياه باللام قائلا : " وإذا كان الحبس أيبس، وليس قويا ولا واحدا بل يتكرر الحبس في أزمنة غير مضبوطة كان منه الترعيدات في الإيقاعات، وذلك لشدة اهتزاز سطح اللسان حتى يحدث حبسا بعد حبس غير محسوس " [3]. وله أيضا : "وإن كان طرف اللسان متعرضا للموضع الذي يمسه في اللام من غير مس صادق ولا التصاق برطوبة، ثم عرَّض حافتيه بالعضلتين المطولتين تعريضا أقوى من تعريض الطرف نفسه، وحمل عليه بالهواء فنفضه وأرعده، كما تفعل الريح بكل لين متعرض له متعلق من طرف منه بشيء ثابت حدث منه حرف الراء ... "[4].

منه نرى كيف " أن اللسان كلما تحرر في تحركه أكثر كلما أحدث أصواتا أكثر، وأن كل موضع يكثر فيه اهتزاز جسم مادي تكثر فيه الأصوات ... " [5] .

أما هيئة حدوث الراء في الوصف الحديث، فهي "بالتقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا بتكرر في النطق بها، كأنما يطرق اللسان حافظ الحنك طرقا لينا يسيرا مرتين أو ثلاثا "[6]، "ويكون اللسان في هذه الحالة مسترخيا أمام الهواء المندفع من الرئتين " [7]، وقد عد البعض ضرباته في صوت الراء من 2 إلى 4 [8].

---

[1] العين، 58/1.
[2] الكتاب، 433/4.
[3] أسباب حدوث الحروف، ص : 82.
[4] المصدر نفسه، ص : 123، 124.
[5] مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية، ص : 78.
[6] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 66.
[7] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 128.
[8] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 175.

وقد وصف حدوث الراء صبحي الصالح على أنه يتأتى بين ظهر طرف اللسان مع لثة الثنيتين العليين [1] متبعا قول سيبويه بذلك .

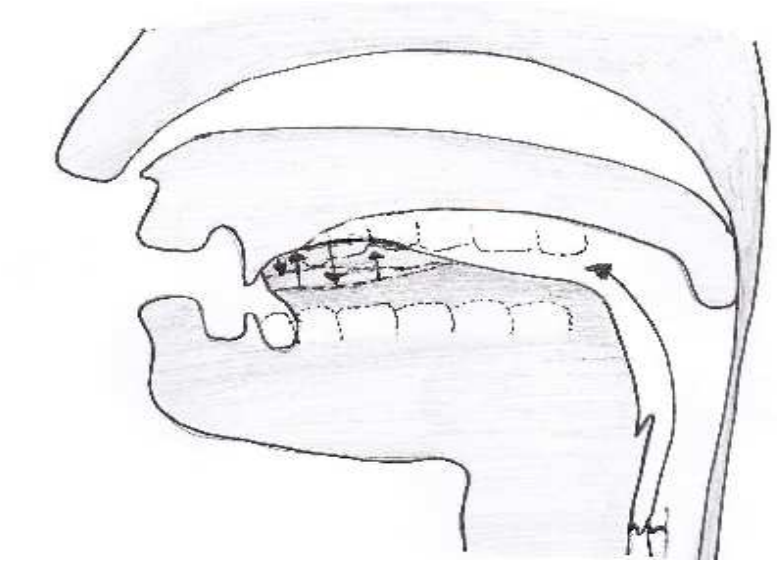

الشكل: 36- هيئة إنتـــــــــــاج الراء.

يرى سيبويه أن الراء من مخرج النون إلا أنه أدخل إلى ظهر اللسان لقربه وانحرافه للام، وقد وصف ابن سينا كيفية تعريض طرف اللسان (حافتيه) بمد العضلتين المطولتين ...

من خلال هذا نرى أن : النون أصغر هذه المخارج من حيث مساحة الالتقاء، فهو بطرف اللسان مع أصول الثنايا فقط، يأتي بعده الراء وهو أكبر منه مساحة إذ هو أدخل منه لظهر اللسان، مع امتداد حافتيه بسبب العضلتين الجانبيتين، فتزداد مساحته حتى ينحرف بذلك من النون إلى اللام، وأخيرا اللام وهو أوسعها وأكبرها مخرجا من حيث

[1] صبحي الصالح، درسات في فقه اللغة، ط : 14 ، (بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 2006 م .)، ص : 179.

مساحة التقاء اللسان بسقف الحنك الأعلى إذ يجمع نقطة النون ونقطة الراء ويزيد عليها من حافة اللسان إلى الداخل.

يدعو هذا الوصف أن يكون حجم الراء رسما بين اللام والنون كونه من حيث الحدوث بينهما، إلا أنه أخذ بعض اللام وهو ما يوازي ثلثه تقريبا، فقد رأينا ابن سينا يجده يأخذ مساحة اللام تقريبا لكن ليس بمس صادق بل بمس فيه تقطعات وترعيدات، فلم ينل الراء رسم اللام كاملا، وسنلاحظ كيف يأخذ اللام تلك المساحة في عنصره الخاص به.

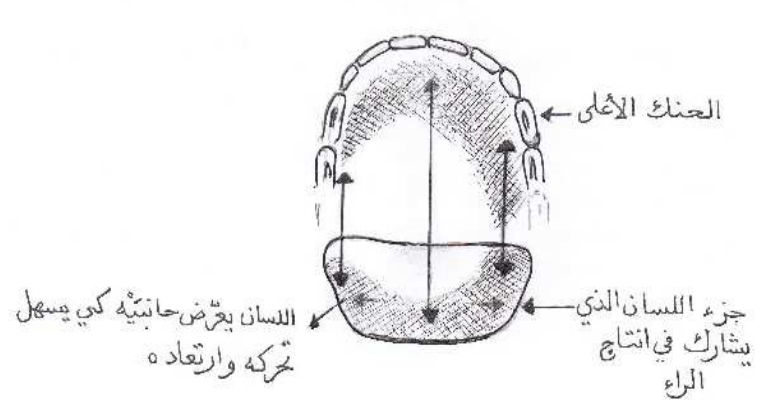

الشكل:37- مجال الراء بين اللسان والحنك الأعلى.

فبالإضافة إلى كون الراء يُعرض حافتيه بالعضلتين المطولتين، وهو ما يكسبه مساحة تسمح بالارتعاد في مجرى الهواء.إلا أنه مع ذلك موصوف بالانحراف هو الآخر، فلم يأخذ سوى جهة واحدة من نصف دائرة رسم الحرف العربي، لينقل هذا المعنى.

وهذا الجزء الذي أخذه الراء من الدائرة يوازي أيضا تاريخه رسما فهو لم يتغير كثيرا عن الأصل النبطي، الذي لم يقم إلا بتوجيه شكله بما يناسب الخط العربي .

بينما حافظت النُّون ظاهريا على مساحة أكبر حجما من الراء رغم كون الأخيرة أدخل منها لظهر اللسان، لأنها من جهة ثانية تحمل من خلال رمزها الذي يأخذ نصف دائرة كاملة فكرة عميقة عند أغلب الشعوب القديمة والمتجسدة في دلالة الحوت تارة والسفينة تارة أخرى وهي تمثل نصف الكون الظاهر من دائرته.[1]

قد كان رسم الراء:(١ . ٦ . ١)، وهذه أشكاله في الكتابات القديمة، "ولا تختلف هذه الرموز من حيث الشكل العام عن رموزه في الكتابات العربية القديمة أوالمعيارية الحديثة، وقد كانت الكتابة الآرامية القرن 6 ق م من سهل على النبطية التخلص من دلالة الرأس في هذا الرسم [2]، وليس من العجيب اتفاق رسم اللام والنون والراء في بعض مراحل تطوره نحو النسخ الحديث.[3]

[1] تراجع، ص: 263 من البحث.
[2] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 235، 236؛ محمد حسام الدين عبد الفتاح، الكتابات العربية، ص : 31.
[3] يراجع الجدول:9، تطور الحرف العربي من النبطية إلى النسخ الحديث. ص:43 من البحث.

حرف الزاي(الزاء)

(ز)

صوت الزاي عند الخليل مع الصاد والسين من حيث المخرج، فجميعها أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرفه [1]، وهي تخرج " مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا " [2] . ويدقق ابن الجزري بقوله : " من فوق الثنايا السفلى " [3] .

ويقول ابن سينا واصفا حدوثها بدقة أكبر :"يكون طرف اللسان فيها أخفض *، وما بعده أقرب وأرفع من سطح الحنك، كالمماس بالعرض أجزاء دون أجزاء، ولكنها أقل أخذا في الطول مما يأخذه المقرب من سطح الشجر والحنك في السين، والغرض في ذلك أن يحدث هناك اهتزاز على سطح اللسان وسطح الحنك، ليجتمع ذلك الاهتزاز مع الصفير الذي يكون من تسرب الهواء في خلل الأسنان . وأما سائر الأشياء فهو كالسين، ويكاد الاهتزاز الذي يقع في الزاي أن يكون تكريرا كالتكرير الواقع في الراء، إلا أن الذي في الراء إنما يقع ارتعاد سطح اللسان في الطول وها هنا في العرض، فيكون إذن هاهنا ما يوجبه الاهتزاز من اختلاف المسموع معا، وهناك واحدا بعد آخر فيتكرر " [4] .

وعند المحدثين الزاي "صوت أسناني لثوي ... ينتج باندفاع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة حيث تتذبذب الأوتار الصوتية، ثم يتخذ مساره عبر الحلق والفم حتى يصل إلى نقطة التقاء طرف اللسان في اتجاه الأسنان، ومقدمته مقابل اللثة العليا " [5] وعند نطقه "يقترب رأس اللسان من منطقة اللثة العليا (النخاريب) ويلامسها بحيث يترك منفذا ضيقا للهواء المزفور، ويكون مجوفا في وسطه طولا وعلى الأخص في موضع النطق حيث يكون صغيرا ومدورا " [6].

---

[1] يراجع: العين، 58/1.
[2] سيبويه، الكتاب، 433/4.
[3] النشر، 164/1.
* أي أخفض من هيئة حدوث (س) و(ص).
[4] أسباب حدوث الحروف، ص : 120، 121.
[5] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 163.
[6] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 123.

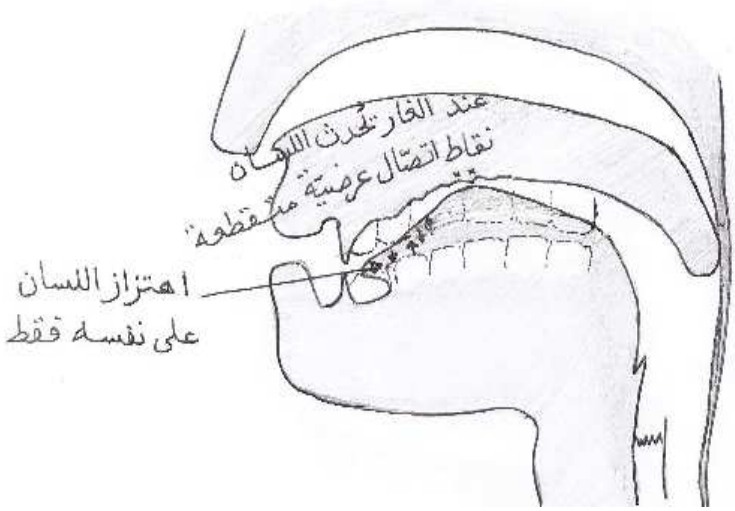

الشكل:38- هيئة إنتاج الزاي (الزاء).

في وصف ابن سينا تدقيق كبير للزاي وهيئة حدوثها، فنجده يقارن بين حدوث الزاي والسين والراء فيحدد ما يلي :

- طرف اللسان في الزاي أخفض منه في السين .
- ما بعد طرف اللسان أقرب لسطح الحنك الأعلى فيلامس بشكل عرضي هذا الجزء من اللسان سقف الشجر أجزاء دون أجزاء.

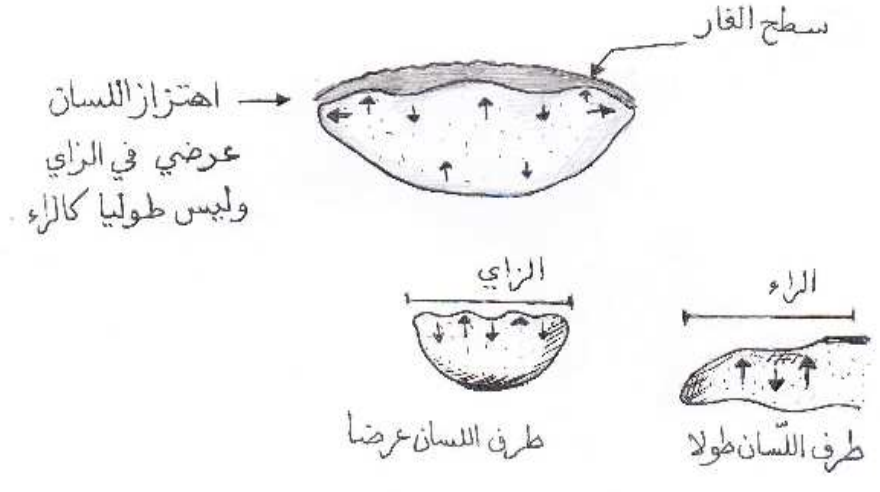

الشكل.:39- وضع اللسان عند إنتاج الراء وإنتاج الزاي.

- وهي أقصر طولا من السين، من حيث المساحة التي تصعد من اللسان إلى سقف الحنك الأعلى .
- ينتج هذا الوضع في الزاي اهتزازا على سطح اللسان وسط الحنك، فيزيد هذا على الصفير الذي يحدثه تسرب الهواء في خلل الأسنان.
- الاهتزاز الذي يقع في الزاي يكاد يكون كتكرار الراء.
- تختلف الزاي عن الراء في نوع الارتعاد، فارتعاد الراء طولي، أي يرتعد اللسان بطرفه من أوله حتى يقارب وسطه، أما ارتعاد الزاي، فهو عرضي لأنه يحدث عند ملامسة اللسان سطح الشجر ملامسة جزئية .

نستنتج أن الزاي تتفق مع السين في مكان الحدوث (المخرج)، ومع الراء في الهيئة، ذلك أنها تمتاز باهتزاز خاص + صفير .

والأهم أنَّ فيها تكرار الراء، إذ تتفق معها في الارتعاد، وتختلفان في اتجاهه ومساحته فواحد طولي والآخر عرضي، وشدة الاهتزاز في الزاي دعا الناقط أن ينقطها هي دون الراء.

فالراء والزاي، كانتا منذ القدم متفقتان رسما، بل كانت للراء في العربية القديمة صورة الرمز: (ـد) ، وكانت الزاي دون صورة، ثم في عربية القرن 8 م، تشابه رسمهما: (د ـر) ، ليختلفا نقطا مع النسخ القديم (ر ز)[1].

نلحظ إذن أن (الراء) تركت دون نقط لأنها ارتعاد دون اهتزاز، ونقطت الزاي لما ظهر فيها من اهتزاز قوي .

[1] يراجع: عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 33.

حرف السين

(س)

السين أخت الصاد والزاي، فهي أسلية أيضا مبدؤها من مستدق طرف اللسان [1]، أي أنها تنتج " مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا " [2] ويضيف ابن الجزري صورة أخرى محددا فيها الأسنان السفلى"[3] نقطة للتضييق مع اللسان.

أما ابن سينا فقد كانت السين عنده تحدث بتهييئ طرف اللسان مخلًّى غير متعرض للهواء [4]، إذ " الاعتماد فيها على الفُرج التي بين الأسنان بتمامها، وحبسها غير تام، ولا يعرض لهوائها رطوبة تتفرقع " [5].

كما يؤكد إبراهيم أنيس حدوث السين عند الكثرة الغالبة اليوم، " من أول اللسان مشتركا معه طرف اللسان في بعض الأحيان حين يلتقي بأصول الثنايا العليا " [6] بحيث " تقترب الأسنان العليا من السفلى فلا يكون بينهما إلا منفذ ضيق جدا " [7].

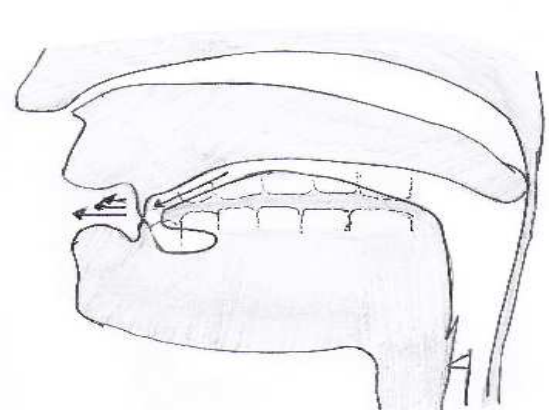

الشكل: 40- هيئة إنتاج السين.

---

[1] يراجع: الخليل، العين، 58/1.
[2] سيبويه، الكتاب، 433/4.
[3] يراجع: النشر، 200/1.
[4] يراجع: أسباب حدوث الحروف، ص : 118، 119.
[5] المصدر نفسه، ص : 119، 120.
[6] الأصوات اللغوية، ص : 75.
[7] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لذلك يسمي المحدثون السين أسنانيا لثويا ويحدد تمام حسان حدوثه حديثا كالآتي :

" ينطق به بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بالأسنان السفلى، ومقدمه بحيث يلتصق باللثة، مع رفع الطبق بحيث يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي في طريق الهواء الخارج من الرئتين، ثم مع خفض مؤخر اللسان وفتح الأوتار الصوتية " [1].وهي بهذا الوصف تقارب سين ابن الجزري

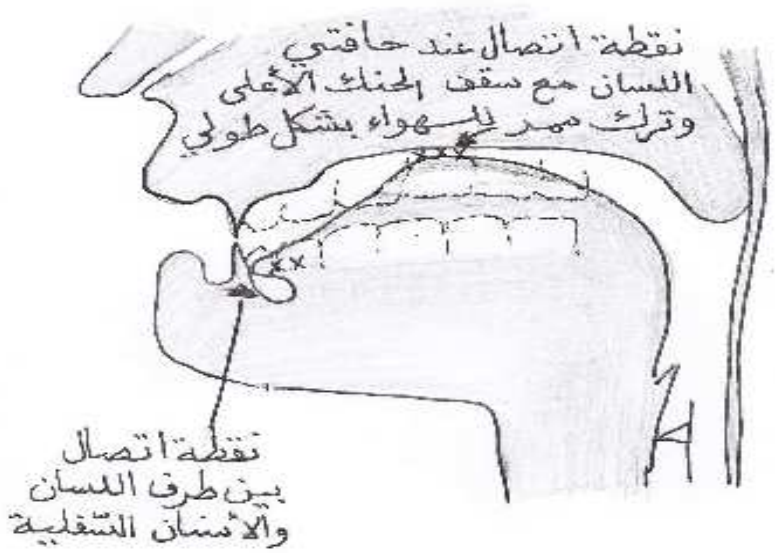

الشكل: 41 – هيئة إنتاج السين كما يصفها تمام حسان.

ويكون المنفذ مجوفا في وسطه طولا وعلى الأخص في موضع النطق حيث يكون المنفذ ضيقا ومدوَّرا [2]. فشكل المضيق عند المخرج يكون أخدوديا : grove like shape

[1] مناهج البحث في اللغة، ص : 128.
[2] يراجع: بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 123.

ويكون هذا المضيق الأخدودي طويلا نوعا ما في السين إذا ما قورنت بالزاي [1]. ويترك البعض اعتماد طرف اللسان ممكن الاحتمال مع الأسنان العليا أوالسفلى [2].

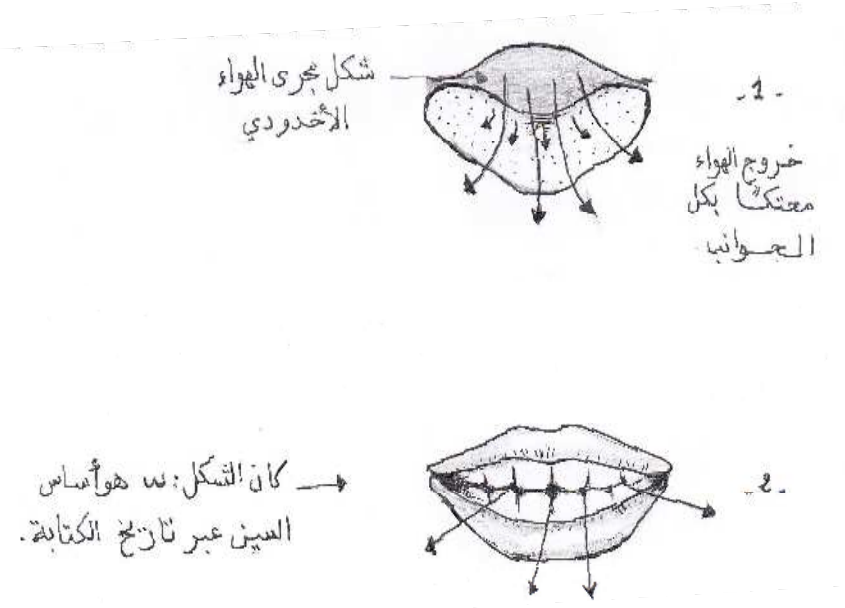

الشكل:42 – وضع اللسان والأسنان عند إنتاج السين.

عند التدقيق فيما سبق نجد (السين) تنتج بما يلي :

- عند اقتراب اللسان، ولِيُّ طرفه ليضيق المجرى جدا بينه وبين الأسنان العلوية أوالسفلية تكون النتيجة سينا مع فرق خفيف في درجة الصَّوت .
- تكون الأسنان العلوية والسفلية متقاربة لتضيق المجرى ما بينها.
- يُحدث هذا التضييق بين اللسان وسقف الحنك الأعلى ملامسة بين مقدم اللسان بجوانبه مع ما يوازيه من الحنك الأعلى، مما يشكل بين وسط اللسان طوليا وسقف الحنك

[1] يراجع: سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، ص : 185.
[2] يراجع: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 164.

الأعلى ممرا أخدوديا عند مرور الهواء به، فيَحدث حفيف يُسمع بعد مروره بفجوات الأسنان على تمامها صفير.

- السين صوت غير مفخم وتكون الشفتان فيه متباعدتان فيظهر شكل الأسنان متقاربة جليا أمام الناظر .

عند النظر في رسم (س) نجده يعتمد على الشكل: ﴿س﴾ وهو ثابت فيه منذ العربية القديمة حتى النسخ القديم وقد كتب سنة 22 هـ على هذه الصورة [1].

كما أنَّ رسمه في السريانية يشبه السن كما وصفه حسن عباس[2]، ويؤكد عبابنة أنه الشكل الذي تواجد أيضا في الكنعانية والسينائية المبكرة والخط المؤابي وكذلك النبطية رغم تواجد صورتين للسين عند البعض منها [3].

كل الذي سبق يبين الرابط بين رسم : ﴿س﴾ وشكل الأسنان العنصر الظاهر والمحسوس من إنتاج صوت السين، وهي دون نقط لأنه لا اضطراب فيها ولا رطوبة تتناثر.

---

[1] يراجع: عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 33؛ وصلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص : 118.
[2] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص : 110.
[3] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 236.

حرف الشين

(ش)

الشين صوت شجري لأن مبدأها من شجْر الفم، أي مفرجه [1]، وقد حدد سيبويه مكانها " من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى " [2].

ثم يقدم ابن سينا وصفه، فيقول : " يحدث حيث تحدث الجيم إلا أنه لا يكون بحبس تام البتة، بل يتهيأ طرف اللسان بقرب من المكان الذي يلمسه بالطبع حتى يكاد أن يلمسه بعد الطرف منه بشيء والطرف مخلى غير متعرض للهواء، ومُعَّد هناك رطوبات تعاوق الهواء المسرَّب في ذلك المضيق، تسريبا يتبعه صفير مختلط بفرقعة تلك الرطوبات "[3] .

ونجد عند المحدثين أوصافا فيها بعض التدقيق أيضا، فمنهم من يرى أنه " عند نطق الشين يقترب طرف اللسان أومقدمه من النخاريب ومقدم الحنك الصلب، ويلامسه بحيث يكون هناك منفذ ضيق لمرور الهواء المزفور، ويكون اللسان مجوفا في وسطه طولا، كما في الأصوات الصفيرية (س، ز)، إلا أن فتحة هذا التجويف أقل عمقا وأقل ضيقا عما هي عليه حال النطق بالأصوات الصفيرية، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به " [4] .

وعند مرور الهواء في نقطة الإخراج يسمع هذا الصوت المتفشي[5]، وهو ذلك الاحتكاك الزائد الهشيشي[6].ويحدد تمام حسان مجال المخرج كالآتي: " وضع طرف اللسان ضد الأسنان السفلى، ومقدمه ضد الغار "[7] .

---

[1] الخليل، العين، 58/1.
[2] سيبويه، الكتاب، 433/4.
[3] أسباب حدوث الحروف، ص : 118، 119.
[4] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 124.
[5] يراجع: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 178.
[6] يراجع: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص : 317.
[7] مناهج البحث في اللغة، ص : 129.

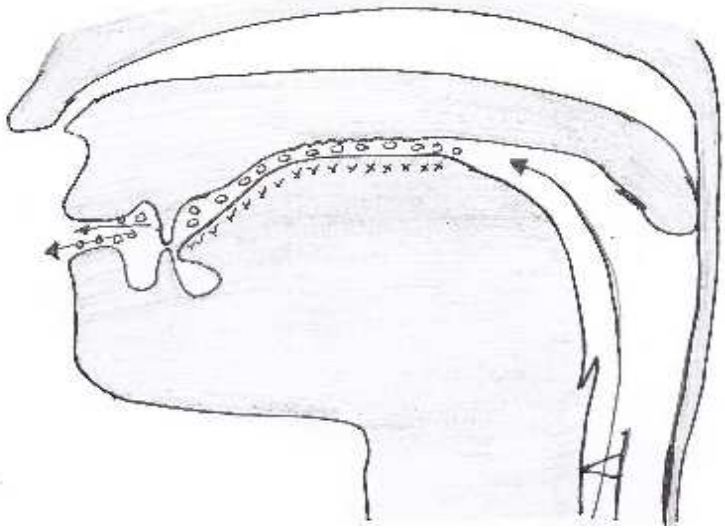

الشكل: 43 – هيئة إنتاج الشين.

وعند الإمعان جيدا في هيئة حدوث الشين نجد :

- الشين صوت غاري (شجري) يحدث بارتفاع اللسان نحو الحنك الأعلى حيث يلامس مقدمه مقدم الحنك الصلب عند نخاريب الغار، حيث يترك ممرا ضيقا طوليا كممر السين، لكنه أضيق منه .
- يكون طرف اللسان قريبا من الأسنان السفلى، غير معترض للهواء.
- يوجد في مكان التضييق – أي المخرج – رطوبات تعاوق الهواء المسَّرب هناك .

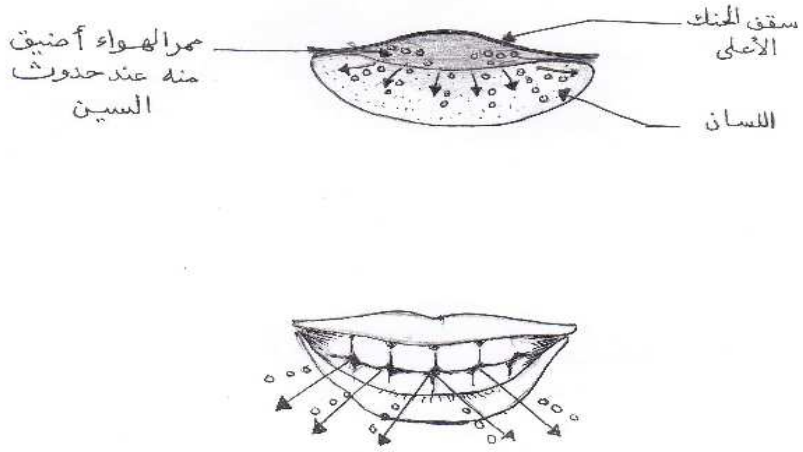

الشكل:44- الاحتكاك والرطوبة في الشين.

- يسمع نتيجة لهذا صفير تتبعه فرقعة رطوبات .

عند البحث في علاقة رسم (ش) بمخرجه وهيئة حدوثه، نجد أنفسنا أمام الذي قلناه عن السين (س) سابقا، لنؤكد فقط أنهما كانا يُمثلان برسم واحد سابقا، إذ يقول يحيى عبابنة، " للشين صورة واحدة قابلة للوصل من طرفيها وهي : (ﺸـ) وهذا هو الرمز الذي طوره الخط العربي للتعبير عن السين والشين معا، ثم أضاف إليه قيمة شكلية أخرى، وهي النقط الثلاث التي أضيفت إلى الشين (ش) [1] دون السين(س).

أما سبب وضع النقاط للشين دون السين، فهو أن في الأول رطوبات تعاوق خروج الهواء وتسمع عنه فرقعة بسببها . لذا كان الأنسب نقطه وليس نظيره (س) الذي فيه صفير حاد دون فرقعة رطوبات .وكأن انتشار الهواء مع رطوبة بين الأسنان العلوية هو الرسم : ش عينه.

[1] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة العربية : 236.

حرف الصاد

(ص)

الصاد صوت أسلي عند الخليل، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرفه[1]، وهي تحدث بالضبط، " مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا "[2].

ويصف ابن سينا هيئة حدوثه فهو " كالسين إلا أن مسرب الهواء فيه يأخذ من اللسان جزءا أعظم طولا وعرضا، ويحدث في اللسان كالتقعير حتى لا يكون لانفلات الهواء كالدوي، وليس في السين ولا في الصاد ... تهزيز رطوبات ولا تهزيز سطح جلد"[3].

وله رواية أخرى : " وأما الصاد فيفعله حبس غير تام أضيق من حبس السين وأيبس، وأكثر أجزاءً حابسٌ طولا إلى داخل مخرج السين وإلى خارجه، حتى يُطبق اللسانُ أو يكادَ يُطبق على ثلثي السطح المفروش، تحت الحنك والشجر، ويتسرب الهواء عن ذلك المضيق بعد حصر شيء كثير منه من وراء، ويخرج من خلل الأسنان " [4].

كذلك يصف المحدثون حدوث الصاد على أساس المقارنة مع السين، ثم يضيفون : "مع فارق أن اللسان مع الصاد يرجع إلى خلف قليلا، مما يؤدي إلى الإطباق، ويرتفع مؤخره تجاه الحنك اللين " [5]، وهناك من يتصور الصاد بالتقاء طرف اللسان بالأسنان العليا أو السفلى أو اقترابها حيث لا يتوفر إلا منفذ ضيق جدا لمرور الهواء [6] .

---

[1] يراجع: العين، 58/1.
[2] سيبويه، الكتاب، 433/4.
[3] أسباب حدوث الحروف، 120.
[4] المصدر نفسه، ص : 77.
[5] يراجع: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 76؛ وبسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 123.
[6] يراجع: عبد القادر عبد الجليل، الصوتيات اللغوية، ص : 164.

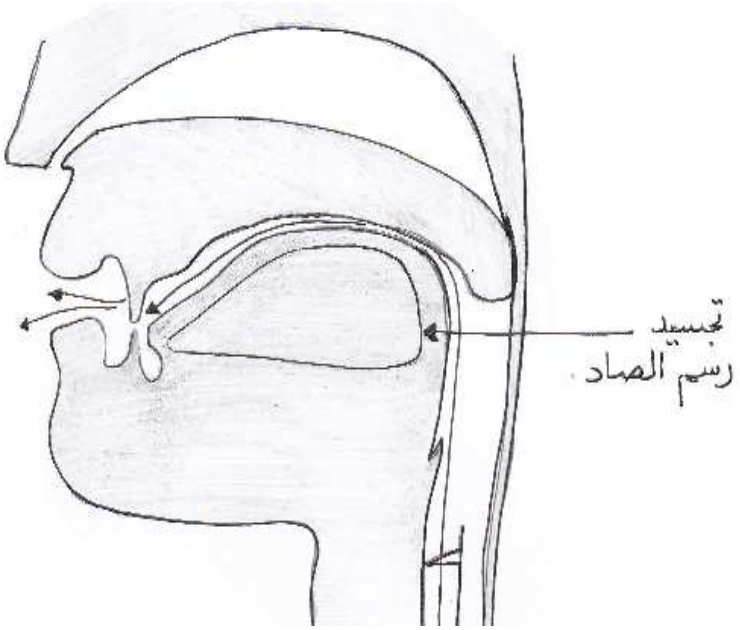

الشكل: 45 – هيئة إنتاج الصـــــــــــاد .

وأما رسم صوت الصاد، فقد كانت الرموز التي عبرت عنه في الكتابات النبطية قليلة، في مواقعها المختلفة (ص ، ص ، ص)، وعن هذا تطورت (صاد) الحروف العربية [1].

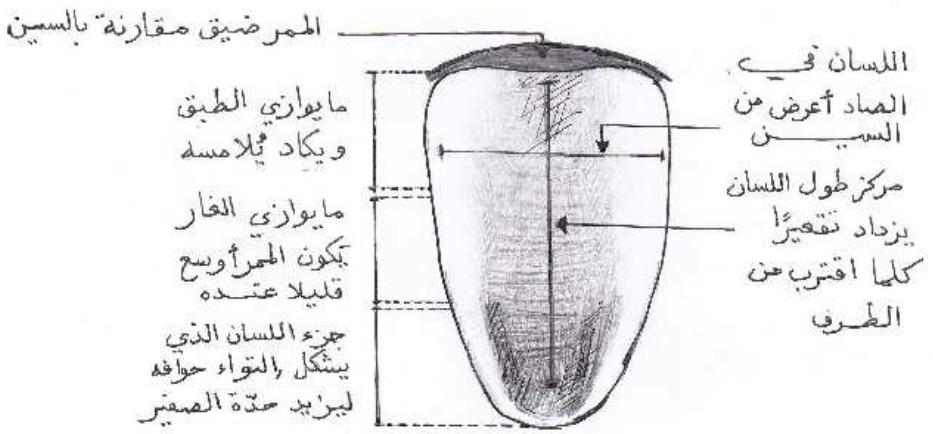

الشكل:46- هيئة اللسان مع الصاد.

[1] يراجع : يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 234، 235.

نلاحظ عند تتبع ما سبق ما يلي :

- الصاد يحدث بارتفاع مؤخر اللسان وطرفه بالإضافة إلى تقعير وسطه، وينتج عنه أيضا ممر كالذي في السين .
- ممر الهواء أضيق في الصاد لأن الالتقاء بين اللسان وسقف الحنك الأعلى أطول وأعرض .
- كما أن بعض الهواء يتعطل قبل مكان الإطباق .
- ليخرج الهواء من خلل الأسنان دون هز رطوبات أوسطح الجلد .
- يظهر رسم (ص) في العربية مجسدا لكيفية نطقه، وهو صوت غير مشال ولا منقوط لأنه غير موافق لشروط التمييز التي تقتضيها الرطوبة أو الاهتزاز أو رفع طرفه .

حرف الضاد

(ض)

الضاد صوت تغيرت ملامحه كثيرا من القديم إلى يومنا هذا، بل الأمر أشد تعقيدا من مسألة تطور زمني، حتى في العصر نفسه تجد له أوصافا كثيرة متضاربة [1].

يقول برجستراسر : " فالضاد العتيقة حرف غريب جدا غير موجود على حسب ما أعرف في لغة من اللغات غير العربية، ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب " [2].

ويشير كمال بشر إلى أن من العرب قديما وحديثا من يعتقد أن العربية اختصت بالظاء لا الضاد [3]، وأورد شواهد على هذا أهمها : " روى الليث أن الخليل قال : الظاء حرف عربي خُصَّ به لسان العرب لا يَشْرَكُهم فيه أحد من سائر الأمم " [4].

والذي يهمنا هو هيئة حدوث الضاد كما حددها القدامى لأننا نحاول وصف الرابط بين رسم الصوت وهيئةُ حدوثه، وهي علاقة قديمة تتصل بأصل الضاد عند العرب قديما، لا بما طرأ عليها من تغيير نطقي حديثا.

فالخليل جعلها شجرية، " لأن مبدأها من شجر الفم "[5]، وهي كما ضبطها سيبويه "من بين أول حافة اللسان وما بينها وبين ما يليها من الأضراس"[6]، كما فتح القدامى المجال للناطق باختيار جهة إخراجها لأنك:"إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر " [7].

---

[1] يراجع: كمال بشر، علم الأصوات، ص : 253، 272؛ وإبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 48، 61.
[2] برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، (ط:2، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1994م.)، ص : 18، 19.
[3] يراجع: كمال بشر، علم الأصوات، ص : 272.
[4] لسان العرب، 2741/4 .
[5] العين، 58/1.
[6] الكتاب، 433/4.
[7] ابن جني، سر صناعة الإعراب، 60/1.

ليأتي ابن سينا ويراها " تحدث عن حبس تام عندما يتقوَّم موضع الجيم، وتقع في الجزء الأملس، إذا أُطلق أُقيم في مسلك الهواء رطوبة واحدة أورطوبات تتفقع من الهواء الفاعل للصوت، وتمتد عليها، فتحبسه حبسا ثانيا، ثم تنشق وتتفقأ، فيحدث شكل الضاد[1].

ويقول : " وأما الضاد فإن مخرجها أقدم قليلا من ذلك (يقصد مخرج الجيم)، والحبس فيه تام كالجيم، لكن تخالفها بشيئين : أحدهما : أنها لا يُتكلف فيها توجيه الهواء إلى مضايق خلل الأسنان، فيحدث صفيرا، والثاني : أن الرُّطوبة التي تَحبس فيها الهواء بعد الإطلاق تكون أعظم، ويدفعها الهواء منحصرا فيها حتى يحدث منها فقاعة أكبر ثم تتفقأ لا في مضيق، ولا يكون في لزوجة رطوبة الغين " [2] .

يتضح من رأي القدماء أن موضع النطق لهذا الصوت عندهم من وسط الحنك أومن نقطة قريبة منه، أي منطقة الجيم والشين والياء [3]. وهو عندهم صوت فيه انحراف يشبه انحراف اللام، بل تعرف صفة الاستطالة الخاصة به، بقرب حدود مخرج الضاد من حدود مخرج اللام [4].

إذ يقول حفنى ناصف : " فالضاد واللام يتوزعان حافة اللسان ويقابل حافة اللسان في الضاد الأضراس نفسها، ويقابلها في اللام ما فويق الأسنان لا الأسنان نفسها " [5] . كما أن هذا الصوت وُصف بالتفشي لما فيه من احتكاك للهواء بممره الجانبي، فقد قال ابن جني : " وأما الضاد فلأن فيها طولا وتفشيا، فلو أدغمت في الطاء لذهب ما فيها من

---

[1] أسباب حدوث الحروف، ص : 76.
[2] المصدر نفسه، ص : 119.
[3] يراجع: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 166.
[4] يراع: ابن الجزري، النشر، 167/1.
[5] حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 23.

التفشي، فلم يجز ذلك، كما لم يجز إدغام حروف الصفير في الطاء ولا في أختيها، ولا في الظاء ولا في أختيها، لئلا يسلبهن الإدغام ما فيهن من الصفير " [1] .

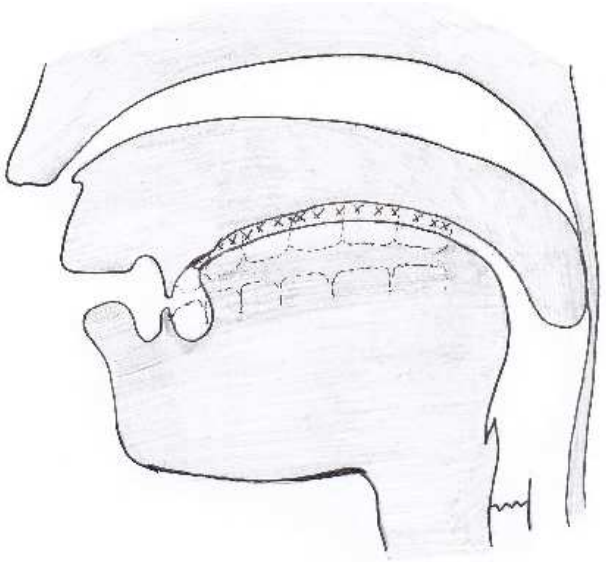

الشكل: 47- هيئة إنتاج الضاد.

عند تتبع كل ما سبق والتدقيق فيه نجد :

- الضاد صوت نقطة حدوثه عند الجيم والشين، ولكن فيه إطباق ليس في هذين الصوتين، أي تحدث فيه غرفة رنين غير التي في (ش) و(ج) .
- الضاد صوت انفجاري، تتجمع عند حبسه الرطوبة وتحدث انفجارا جانبيا قويا، كانفجار فقاعة كبيرة داخل الفم.
- الضاد أيضا من الحروف الروادف، ورسمه أُخذ عن الصاد ونُقط لاحقا، غير أنه ظهر في العربية الجنوبية بين (200 ق م، و700م) بهذه الصورة: (𐩦) وهو الشكل عينه

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب، 230/1.

للطاء حينها: (ط) لكنه عمودي وليس أفقيا، أما في الكتابات السابقة واللاحقة لهذه الفترة فلم يكن له أي رسم [1].

- نتساءل: لِمَ أخذ العرب رسم الضاد عن الصاد ولم يعتمد على رسم الطاء ونقصد هنا فارق الإشالة بينهما ؟

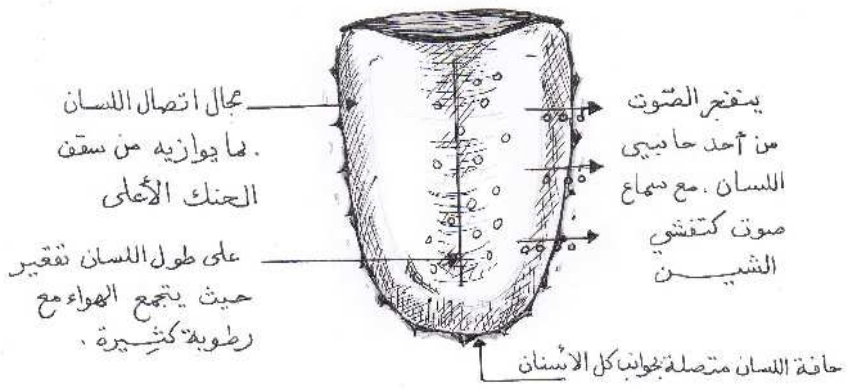

الشكل: 48- اللسان حال إنتاج الضاد.

لقد كان طرف اللسان في الصاد والضاد غير مضغوط عليه، ولم ينفجر الصوت عنده، فالصاد احتكاكي مطبق، والضاد جانبي عند انفجار صوته، وقد نقط الضاد لغلبة الرطوبة فيه التي وصفها ابن سينا بأنها تتدافع عند انطلاق الصوت حتى يبدو وكأنه ينفجر مرات متعددة، لحجزها طريق الهواء كل حين.

[1] يراجع: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 110.

حرف الطاء

(ط)

الطاء عند الخليل نطعية " لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى " [1]، وهي " مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا " [2].

ونجد ابن سينا قد فصَّل هيئة حدوثها بقوله : " وأما الطاء والتاء والدال فإن مخرجها من المقدم من السطح الممتد على الحنك، وتحدث كلها من حبسات تامة، وقلع، ثم إخراج هو اء دفعة " [3] . ثم يضيف مدققا في ذلك " لكن الطاء تحبس بجزء من طرف اللسان أعظم، ووراءه بضلعي اللسان وتقعر وسط اللسان خلف ذلك المحبس، ليحدث هناك للهواء دوي عند الانفراج ثم يقلع، ويكون الحبس بشد قوي " [4] .

وجدت الطاء عند المحدثين إشكالا في نسبتها لحدث الجهر أوحدث الهمس، لأن القدامى قالوا بجهرها ورأى المحدثون غير هذا، لكن نقطة حدوثها اتفق فيها الجميع[5]، فلإنتاجها"ترتفع مؤخرة اللسان باتجاه الحنك الأقصى (الطبق) ويتأخر بعض الشيء نحو الجدار الخلفي للحلق ويتقعر وسطه " [6]، أي يرتفع طرفه وأقصاه ويتقعر وسطه، وقد كان مخرجها حديثا يسمى، لثويا أسنانيا، إذ يلتصق اللسان بالأسنان العليا من داخلها، عند النطق بها[7].

---

[1] العين، 58/1.
[2] سيبويه، الكتاب، 433/4.
[3] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص : 121.
[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[5] يراجع: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 62، 63؛ ويراجع: عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، ص : 250.
[6] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 161.؛ ويراجع: كمال بشر، علم الأصوات، ص : 250؛ وبسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 115.
[7] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 122.

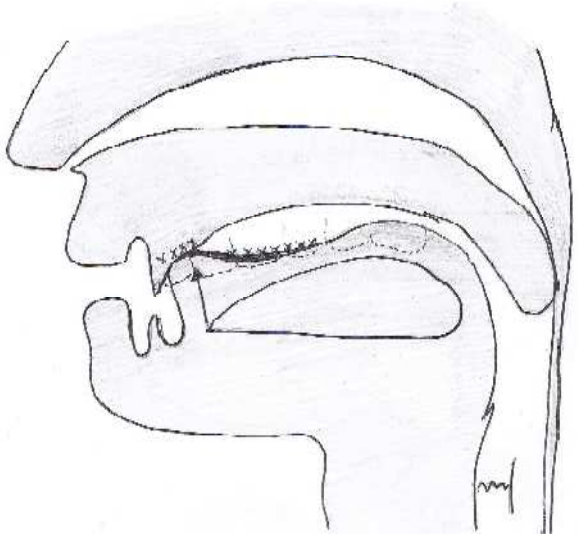

الشكل: 49 هيئة إنتاج الطاء.

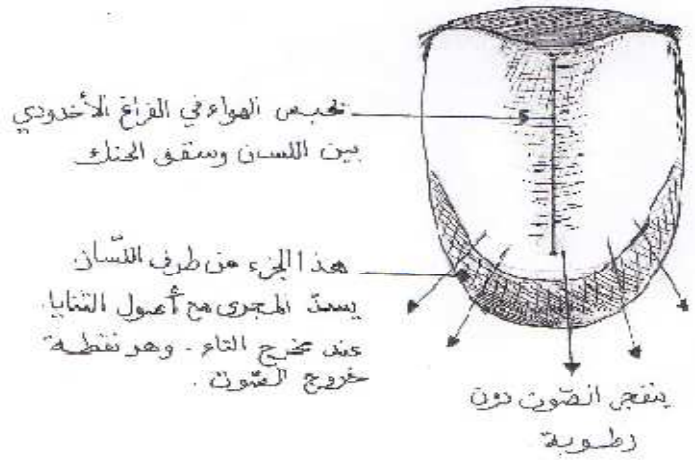

الشكل: 50- حال اللسان عند حدوث الطاء.

أما عن رسم صوت الطاء، فيمكن القول : " أن الكتابات النبطية الحورانية ونقوش البتراء والحجر، والسينائية الحديثة، قد عمدت إلى صورة واحدة، واستعملتها، للتعبير عن

صوت الطاء، (ط ، ط) " [1]. ويؤكد عبابنة أن " الشبه واضح جدا بين هذه الرسوم والرمز العربي (ط) المستعمل للتعبير عن هذه الصورة الصوتية "[2].

حدوث الطاء فيه ارتفاع لمؤخر اللسان وتقعير لوسطه، ورفع لطرفه، هذا حين نراه في الشكل : ، ندرك اتفاق هذا مع رسم الصوت أي أن هيئة الحدث الصوتي يجسدها الرسم : ط، حيث:

(صـ) = شكل اللسان عند الإطباق.

+

(ا) = ارتفاع طرفه ليُكوِّن مخرجا بسد مجرى الهواء.

وسنجد تأكيد ذلك مع حرف (ظ) الموالي .

[1] يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية، ص : 228.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها. ويراجع: عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي، ص : 10.

حرف الظاء

(ظ)

الظاء صوت لثوي المخرج عند الخليل، لأن مبدأها من اللثة [1]، وهي تحدث " مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا " [2]، وقد صف ابن سينا هيئة حدوثها كالآتي :"وليست تخرج عن حبس تام بل حبس مثل الإشمام بجزء صغير من وسط طرف اللسان يتوخى به أن يكون ما يلي أصل اللسان متعرضا للهواء برطوبته، ثم يمر الهواء بعد الحبس الخفيف فيه مرا سلسا خفي الصفير جدا، ولكن فيه صوت رطوبة "[3]. وهذا الصوت عنده يأتي قبل الذال والثاء[4].

ويصف المحدثون هذا الصوت عند النطق به كما يلي : " يقترب طرف اللسان من القواطع العليا ويلامسها بحيث يسمح بمرور الهواء المزفور من خلال منفذ ضيق، وقد يتجاوز طرفُ اللسان القواطعَ قليلا بحيث يُرى من الخارج، أو يوضع وراءها تماما " [5]. و"كتلة اللسان ترجع إلى الخلف قليلا، ويرتفع مؤخره تجاه الحنك اللين [6].

وقد قال بعضهم : " في بناء هذا الصوت يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى " [7] .

---

[1] يراجع: العين، 58/1.
[2] سيبويه، الكتاب، 433/4.
[3] أسباب حدوث الحروف، ص : 122.
[4] يراجع: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[5] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 160.
[6] يراجع: المرجع نفسه، ص : 122؛ وكمال بشر، علم الأصوات، ص : 299.
[7] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 88، 89.

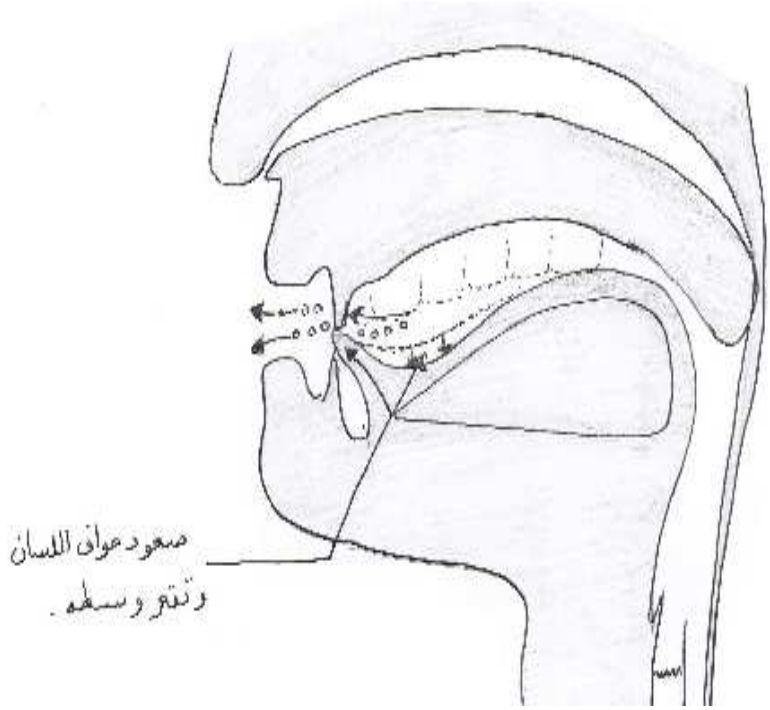

الشكل: 51- هيئة إنتاج الظـــــــــــاء.

(و للظاء أيضا هيئات ثلاث كالثاء والذال.)

رسم صوت الظاء، لم يكن موجودا في الخط الفينيقي الذي هو أساس الخط العربي، فهو من الحروف الروادف، أُخذت صورة الطاء له، وتميز عنها لاحقا بنقطة أعلاه [1].

من ثم نلحظ:

- أن اختيار رسم (الطاء) لصوت (الظاء) كان لشعور اللغويين بقرابة الصوتين حدوثا، فلم تُختر هنا (ص) برسمها لصوت الظاء، ذلك لإحساسهم عند نطق الصوت بارتفاع طرف اللسان وقيامه بعمل يشبه عمله عند الطاء وهو مختلف في هذا عن (الصاد).
- أُضيفت لاحقا نقطة للظاء دون الطاء لأن في الظاء دواعي النقط نفسها التي نقطت لأجلها باقي الحروف وهي : الاهتزاز أو الرطوبة .

[1] يراجع: حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، ص : 88، 89.

(صـ)= الإطباق

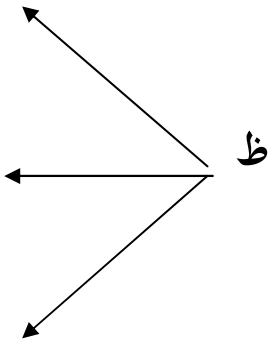

(ا) = مشاركة طرف اللسان في سد المجرى ويكون نقطة الإخراج للصوت.

(.) أتت للاهتزاز والرطوبة فيه دون نظيره رسما (ط).

حرف القاف

(ق)

صوت القاف عند الخليل لهو ي كالكاف، " لأن مبدأها من اللهاة " [1]، ويحدد نقطة حدوثها بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم[2]، وهي " من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى " [3]كما وصفها سيبويه .

لكنها عند ابن سينا " تحدث حيث تحدث الخاء، ولكن بحبس تام، وأما الهواء ومقداره وموضعه فذلك بعينه " [4]، فنقطة حدوثه عنده إذن " إلى الحد المشترك بين اللهاة والحنك " [5].

---

[1] العين، 58/1.
[2] المصدر نفسه، 52/1.
[3] الكتاب، 433/4.
[4] أسباب حدوث الحروف، ص : 84.
[5] المصدر نفسه، ص : 83.

يعتقد أغلب اللغويين " أن جملة وصف القدماء لصوت القاف ينطبق تمام الانطباق على صوت (الجاف) القصيَّة المجهورة التي تشارك الغين والخاء والكاف (والجيم القاهرية) في حيِّز نطق واحد. فلو كانت القاف التي تحدثوا عنها هي القاف اللهو ية المهموسة التي نسمعها الآن من مجيدي القراء في مصر، لوجب عليهم ضمها إلى أصوات الحلق، إذ هي في النطق المذكور تقع في منطقة بين منطقة الحاء والعين من جهة، ومنطقة الغين والخاء من جهة أخرى. إن هذه القاف من اللهاة، واللهاة بالمعنى العلمي الدقيق تقع بين منطقة العين والحاء (وسط الحلق) ومنطقة الغين والخاء (أدنى الحلق) " [1].

أما ما يصفه المحدثون ويتفق مع ما نسمعه من مجيدي القراءة القرآنية فهو قاف عند النطق به " يبقى طرف اللسان (الذولق) منخفضا ومستندا وراء الأسنان السفلى (القواطع)، في حين يرتفع الجزء الخلفي منه تجاه أقصى ما يمكن من الحنك اللين على مستوى اللهاة ويلتصق به (ويبقى الحنك اللين مرتفعا بحيث يسد مجرى الهواء من الأنف)، ويضغط الهواء لمدة من الزمن ثم يطلق سراحه فيحدث الانفجار، وهذا الصامت مهموس"[2].

ويرى إبراهيم أنيس " أن القاف في الأصل صوت مجهور، فحين تتطور تنتقل إلى صوت مجهور أيضا يشبهها صفة، لهذا اختارت القاف في تطورها الأمامي الجيم (القاهرية) دون الكاف، لأن كلا من القاف الأصلية والجيم القاهرية صوت شديد مجهور، على أنه إذا تم تطور أمامي آخر في المستقبل للقاف كما ننطق بها الآن في قراءتنا، فسيكون حتما بأن تقلب كافا، لأن كليهما صوت شديد مهموس " [3] .

ويؤكد تمام حسان أن " صوت القاف لهو ي، من ثم كان طبقيا لا مطبقا، ويتم معه قرب اللسان من الجدار الخلفي للحلق في نقطة فوق تلك التي تتصل بها ظاهرة التحليق،

---

[1] كمال بشر، علم الأصوات، ص : 280، 281.
[2] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص :117.
[3] الأصوات اللغوية، ص : 86.

ومن هنا لم يكن صوت القاف من الأصوات المفخمة تفخيما كاملا، وإنما كان له بعض القيمة التفخيمية، الذي جاء من وجود العنصرين الطبقي والحلقي في نطقه "[1].

ومما يزيد تمام حسان تفصيله في نطق هذا الصوت، حدث التصاق مؤخر اللسان بالجدار الخلفي للحلق في الوقت نفسه الذي يتصل فيه باللهاة [2].

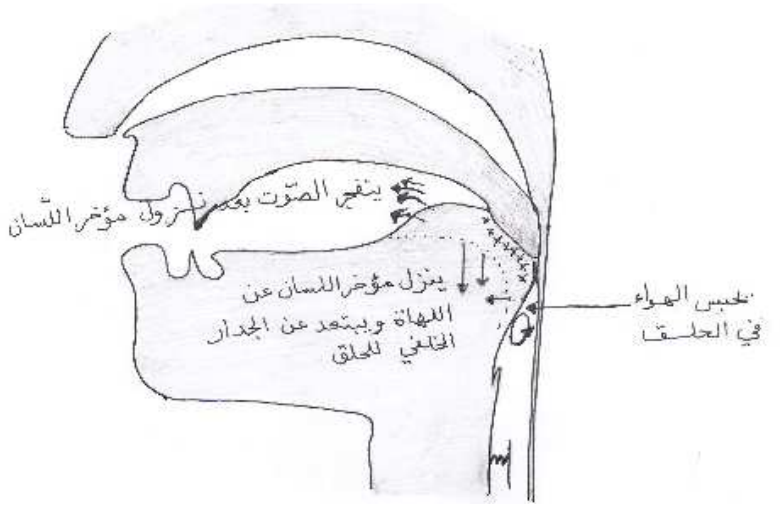

الشكل: 52- هيئة إنتاج القـــــــــاف.

ويؤكد كمال بشر أن القاف المجهورة والمهموسة " صورتان لهجيتان مقررتان في القديم، وامتد أثرهما حتى الآن، وإن على مستويات لغوية مختلفة، إحداهما هي التي شغلت القدامى في مجمل أعمالهم، وهي الجاف (الجيم القاهرية) [G]، وثانيهما هي ما استقرت صورة متبعة في القرآن الكريم، وهي القاف اللهو ية [q]. "[3]

[1] مناهج البحث في اللغة، ص : 125.
[2] المرجع نفسه، ص : 124.
[3] علم الأصوات، ص : 283.

عند تتبع ما قيل نلحظ أن المحدثين اعتمدوا في نقدهم للقدامى على خطئهم في تقدير مكان الغين والخاء لا على خطئهم في تقدير مكان القاف، لأنهم في الغالب عدوا القاف لهوية المخرج[1] .

بينما كنا قد وضحنا من قبل أن القدامى اعتمدوا في تحديدهم مخرج (غ وخ) على غرفة الرنين التي ساعدت على سماع الصوت، وهي الحلق، فنسبوا هذه الأصوات إليها [2] .

والملاحظ أن المحدثين حين نقدوا القدامى لم يعطوا لما قاله ابن سينا عناية كافية ما لم يهملوه كليا، فابن سينا وصف القاف وأكدَّ أنها تحدث حيث تحدث الخاء وهي عنده مهموسة مادام قد أكد أنها تشبه الخاء في كل شيء عدا حال الحبس التام فيها . أما الهواء ومقداره وموضعها فواحد بينهما .

والقاف من أصعب الأصوات العربية حدوثا لأنها الصوت الوحيد الذي يصدر بين عضوين كلاهما لين رطب شديد الطراوة، أحدهما اللسان وله القدرة على دفع الأجسام بقوة لما فيه من عضلات خاصة بذلك، فحين يتمكن اتصال العضوين ببعضهما يكون فصلهما صعب الحدوث لذلك تسكين هذا الصوت أسهل من إطلاقه .

وقد اعتمدت القاف منذ الكتابات القديمة على شكل الدائرة، رغم أن الاعتقاد الذي توصل إليه دارسو النقوش أن أصل : (ـــه)، وهو رمز القاف في النقوش السينائية القديمة– هو التعبير عن (سمّ الخياط) أي ثقب الإبرة أوعينها . وتطور هذا الرسم في العربية من الرموز النبطية : (ـه ، ـه ، ـه ، ـه)، مع ما أضفته عليها من التطوير القليل الذي يناسب الروح الجمالية التي نظر إليها العربُ ومجيدو الخط العربي [3].

---

[1] يراجع: المرجع السابق، ص : 277، 278.
[2] يراجع: حرف الغين والخاء في البحث، ص :. .....
[3] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 235.

فمنذ 267 م ثبتت الدائرة في القاف [1]، وفي عربية القرن الثامن والكتابة الكوفية والنسخ القديم أصبحت ذات شبه بالفاء العربية [2]، من حيث الدائرة التي فوق السطر فقط، مع تغيرهما بشكل متشابه في الكلمة، أولها ووسطها، لكن تختلف تعريقتهما في نهاية الكلمة من حيث علاقتها بالسطر.

لكن دائرة القاف لا علاقة لها بمعنى دائرة الفاء فهذه الأخيرة جاءت تصور استادرة مفتوحة بالشفتين، أما القاف فعبرت عن الانغلاق التام: **ق** مقارنة بالغين: **غ** فهي تقاربها مخرجا وتوافقها حدوثا[3]، لكن فيها انغلاقا تاما، وهي عميقة التعريقة لبعدها عن الشفتين فشابهت تعريقة النون لا الباء، فهي ليست كالفاء في شيء [4] .

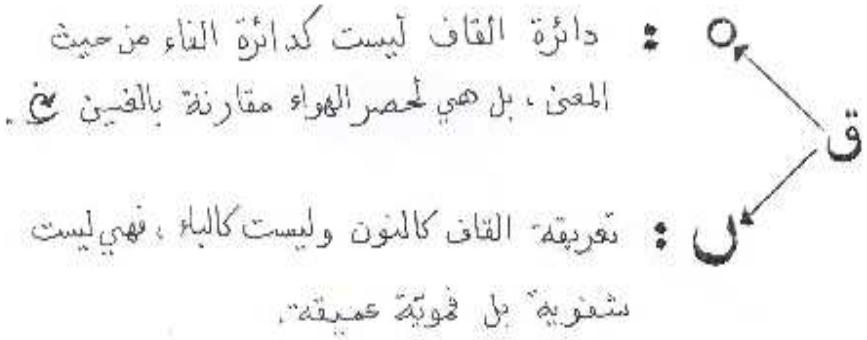

ثم نقطت القاف بنقطتين تمييزا لها عن شبيهتها في الدائرة فوق السطر، ومُيزت بنقطتين لما فيها من ضغط ورطوبة علويتين، هذا إذا كانت توافق الكتابة المشرقية التي تنقط الفاء واحدة أعلاها، أما إذا نقطت الفاء بواحدة أسفلها فللقاف عندها نقطة واحدة أعلاها كما في الكتابة المغربية .

و نلاحظ أيضا أن القاف أخذت هذا الاسم، وهو لا يتفق مع اسم حرف الفاء.

---

[1] يراجع: محمد حسام الدين عبد الفتاح، الكتابات العربية، ص : 31.
[2] يراجع: عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 33.
[3] ويمكن أن نشير هنا لظاهرة تشيع ببعض المناطق بوادي سوف ـ ولاية تقع بالجنوب الشرقي للجزائر ـ يقلب فيها الناطق القاف غينا، فبدل: قهوة، يقول: غهوة.
[4] يراجع: القلقشندي، 83/3.

حرف الكاف

(ك)

صوت الكاف عند الخليل لهوي، لأن مبدأها من اللهاة[1]، وهي عنده مع القاف ومعهما الجيم من " بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم " [2]، لكن سيبويه قال إنها "من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى " [3] .

وهي عند ابن سينا " تحدث حيث تحدث الغين، ولكن بحبس تام، وسائر الأحوال بحالها، وفي القاف انفلاق قوي ليس للرطوبة مثله في الكاف، ونسبة القاف إلى الخاء كنسبة الكاف إلى الغين " [4] .

هذا عن القدامى، أما حديثا فإن الكاف صوت طبقي، يتم نطقه برفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق وإلصاقه به، وأيضا إلصاق الطبق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي، وهذا مع فتح الأوتار الصوتية[5].

فعند النطق بالكاف " يبقى رأس اللسان (الذولق) منخفضا ومستندا وراء الأسنان السفلى (القواطع)، في حين يرتفع الجزء الخلفي من ظهر اللسان تجاه أقصى الحنك اللين (الطبق)، ويلتصق به، ويضغط الهواء لمدة من الزمن ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فيحدث الانفجار . وهذا الصامت مهموس " [6] .

---

[1] يراجع: العين، 58/1.
[2] العين، 52/1.
[3] الكتاب، 433/4.
[4] أسباب حدوث الحروف، ص : 117.
[5] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 123، 124.
[6] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 116؛ ويراجع: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 178.

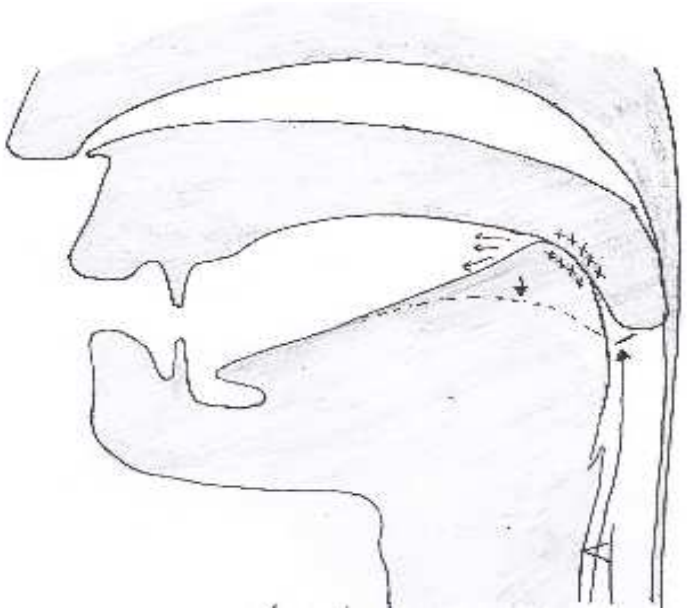

الشكل: 53- هيئة إنتاج الكاف.

لقد اختلف موقع الكاف بين القدامى والمحدثين وقد رد البعض ذلك إلى أن اللهاة عند القدامى منطقة واسعة تغطي أقصى الحنك، بما في ذلك اللهاة بمفهومهم [1] .

مما سبق يبدو واضحا:

- أن الكاف صوت يلتقي فيه مؤخر اللسان بما يقابله من الحنك الأعلى وهو الحنك اللين قبل اللهاة كما نعرفها في درسنا الحديث .

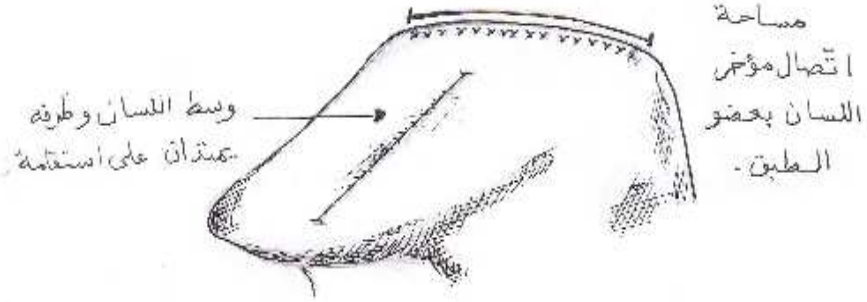

الشكل:54- اللسان حال إنتاج الكاف.

[1] يراجع: كمال بشر، علم الأصوات، ص، 274.

- تحدث الكاف بانفجار لكنه انفجار دون رطوبة، أي أنها لا اهتزاز أوتشذب للرطوبات فيها .
- قال ابن سينا أن الكاف كالغين فسائر الأحوال بحالها، والغين صوت فيه تردد للهواء والرطوبة، يختلف به عن الكاف، لكن فيه عاملا مشتركا مع الكاف وهو إرجاع الهواء، ومنعه من التقدم .
- الكاف من الأصوات التي اجتمع فيها عضو مرن جدا وآخر متوسط المرونة وعملا معا على سد المجرى، لكنها رغم ذلك ليست كالقاف في انفجارها، فالقاف انفلاق قوي للرطوبة عكس الكاف .
- عند تحسس الكاف نجد المساحة المتصلة ليست ضيقة كالقاف ومتكتلة، بل هي منبسطة مع انبساط الجزء الذي اتصل من اللسان مع سقف الحنك الأعلى عند الكاف .
- رسم صوت الكاف كان منذ القدم وفقا لموقعها، لكنه كان دوما محافظا على النسق: (ك)، وقد استعملت في القرن الرابع بصورة: (د)، فقط [1]، فالنقوش القديمة منذ 203م، كانت تحمل هذا الرمز [2] .وقد تشابه رسم الدال والكاف منذ السينائية، ثم لاحقا في الكوفية.[3]

أما علاقة هذا الرمز بمخرجه وهيئة حدوثه فقد وجدنا في الكاف جمعا بين رمز الدال، بالإضافة للخط العائد إلى الوراء، كالذي شهدناه في (ع) العين، و(غ) الغين حين قارناهما بالحاء والخاء على التوالي، وكأن حدوث الكاف يشبه حدوث الدال لكنه أعمق إلى الوراء.

---

[1] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 229، 230.
[2] يراجع: محمد حسام الدين عبد الفتاح، الكتابات العربية، ص : 29.
[3] يراجع: الجدول:09، ص: 43 من البحث.

يحمل الرمز :**ـكـ**، معنى السد والحبس إلى الوراء، فالكاف فيه أيضا إرجاع علوي لما يشبه رمز الدال.

وكي تتميز في آخر الكلمة عن شبيهتها رسما في نهاية الكلمة، رسمت (**لـــ**) كدال كبيرة، قيل أنها لام عند من وصفها [1]، وأضيف لها رمز الكاف مفردة وسطها (**ك**) كي تتميز عن الدال واللام، رغم أن هذا الرمز يكتب اليوم وكأنه عين صغيرة أوهمزة وسط اللام .

أخيرا لأنه لم يكن في الكاف رطوبات ولم يكن له رسم مقابل له لم ينقط.

[1] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 230.

حرف اللام

(ل)

قد حدد الخليل كون اللام – مثل النون والراء– ذلقية [1]، وفيها يقول سيبويه هي"حرف شديد جرى فيه الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام، وإن شئت مددت فيها الصوت وليس كالرخوة، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك " [2]، فهي بالضبط تحدث من " حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية " [3]. ويدقق ابن سينا فيقول : " وحدوث اللام بحبس من طرف اللسان رطب غير قوي جدا، ثم قلع إلى قدام، والاعتماد فيها على الجزء المتأخر من اللسان المماس لما فوقه أكثر من الاعتماد على طرف اللسان، وليس الحفز للهواء بقوي، ولو كان الحفز والشد قويا خرج حرف الطاء " [4]، وله أيضا : " وإن كان حبس بطرف اللسان رطب جدا ثم قلع والحبس معتدل غير شديد، وليس الاعتماد فيه على الطرف من اللسان بل على ما يليه لئلا يكون مانعا عن التزاق الرطوبة ثم انفلاقها " [5] .

وحين وصفه المحدثون قالوا أنه يحدث " عن طريق اتصال طرف اللسان باللثة اتصالا محكما يمنع مرور الهواء من الأمام، ولكن يسمح بمروره من أحد جانبي اللسان، أومن كلا الجانبين [6] . فعند النطق به " يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا وعلى

---

[1] العين، 58/1.
[2] الكتاب، 435/4.
[3] ابن جني، سر صناعة الإعراب، 60/1.
[4] أسباب حدوث الحروف، ص :123.
[5] المصدر نفسه، ص :82.
[6] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص : 317.

النخاريب (اللثة) [1]، بحيث يكون السد حاصلا في أغلب الأحوال على واحد من جهات الفم " فيمر الهواء من أحد جانبي اللسان " [2] .

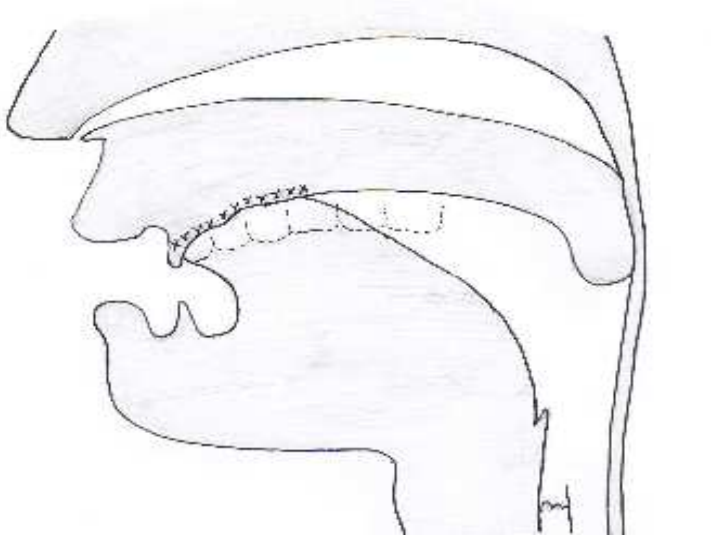

الشكل:55- هيئة إنتاج اللام.

عند تتبع حدوث هذا الصوت ونقاط الالتقاء فيه بين اللسان وسقف الحنك الأعلى نجد :

- يرتفع اللسان للحنك الأعلى في نقاط ضبطها سيبويه في قول له : " ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها، وما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام " [3].

[1] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 127، 128.
[2] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 174.
[3] الكتاب، 492/2؛ ويراجع: ابن جني، سر صناعة الإعراب، 60/1.

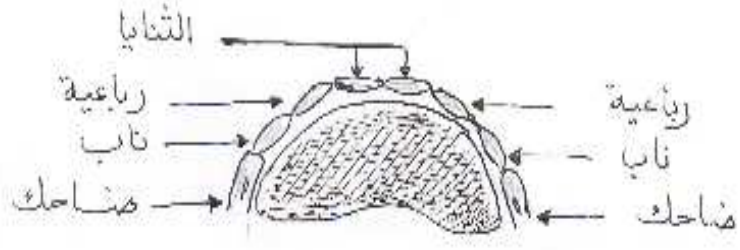

الشكل: 56- مساحة التقاء اللسان بالحنك الأعلى كما وصفها سيبويه.

- " الضواحك تشترك مع الأنياب في إحداث صوت اللام وليس لهما ما ينتسب إليها غير اللام " [1].
- وتعد الأنياب جزءا من الرباعيات وهي مهمة لصوت اللام أيضا [2] .

يبدو من خلال ما سبق أن اللام صوت من أهم الأصوات العربية، وهو من الحروف التي جسد رسمها كيفية نطقها، وذلك عند تتبعنا حافة اللسان والنقاط التي تلتقيها في سقف الحنك الأعلى من الضاحك من جهة حتى تبلغ جانب الفم عند حافة اللسان من الجهة الأخرى لأن بها انحرافا:

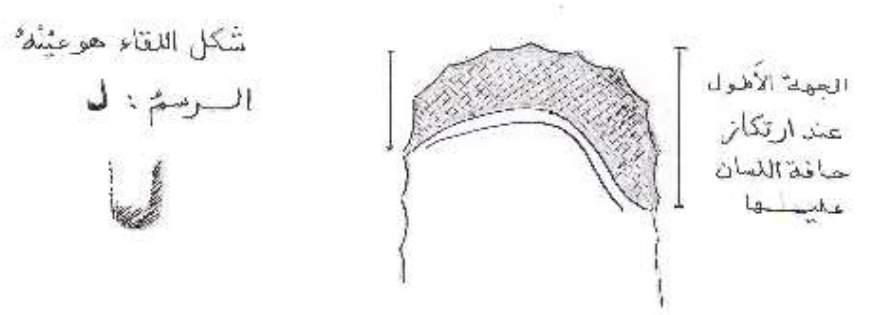

الشكل: 57- بصمة اللسان على اللثة مع اللام [3].

وهي حرف غير منقوط إذ ليس فيه ضغط يحتاج لنقطه ليميزه عن حرف شبيه له رسما .

---

[1] يراجع: مكي درار، الحروف العربية، ص: 157.
[2] يراجع: المرجع نفسه، ص : 157.
[3] فتح الله محمد الصغير، الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، ص : 86.

يبقى وصف سيبويه وابن سينا للام من الناحية النطقية أكثر الأوصاف دقة، وقد أشار محمد فتح الله الصغير إلى تقصير المحدثين في وصف اللام رغم ما حظيت به دراساتهم من جوانب تطبيقية تؤيدها الآلة، وقد خلص هو ونفر قليل إلى وصف اللام بدقة العلم وأصالة القديم، حين وجد " أنه عند النطق باللام المرققة (وهي النطق الأساس لصوت اللام منفصلا) ترتفع اللهاة ليَسد جزء قريب من قمتها الحلق الأنفي، ويمتد اللسان بشكل يكاد يكون مستقيما من مؤخره إلى مستدقه الذي يلامس قوسه قوس اللثة الممتد من الضاحك الأيمن إلى الضاحك الأيسر " [1]ويؤكد هبوط الفك الأسفل بزاوية قدرها 28 درجة تقريبا [2] .

ورسم صوت اللام لم يأخذ أي شكل من التطور بل وصل إلى الكتابة العربية كما هو في النقوش النبطية تقريبا [3].

والرموز القديمة كلها مستقاة من الرمز السينائي القديم: (1، ا، م)، وهو أمر مستقى من معنى العصا المعقوفة واستمر استعماله في الكنعانية، ثم طورته الآرامية إلى: (ا) ، وأما في العربية فقد صار على عكس هذه الصورة، (ل) [4] . والعربية كما رأينا ذهبت به إلى ما يتسق مع انحناءته بكيفية وهيئة حدوثه.

---

[1] المرجع السابق، ص : 86.
[2] المرجع نفسه، ص : 87.
[3] يراجع: محمد حسام الدين عبد الفتاح، الكتابات العربية، ص : 29.
[4] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 230، 231.

حرف النون

(ن)

النون والراء واللام في حيز واحد كما يراها الخليل [1] فجميعها " ذلقية، لأن مبدأها من ذولق اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان " [2] . ويصف سيبويه حدوثها فيقول : "حرف شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت " [3]، وهي تخرج عنده من : " حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا [4] ".

ثم يدقق ابن سينا قائلا : " فإن الحبس فيها أرفع قليلا من الحبس الطبيعي للباء، وبطرف اللسان، إلا أن جل الهواء ينصرف فيها إلى غنة المنخر، فتكون النون أرطب وأدخل حبسا وأكثر دويا وغنة " [5]، كما يقول " وإن كان بدل الشفتين طرف اللسان وعضو آخر حتى يكون عضو رطب أرطب من الشفة يقاوم الهواء بالحبس ثم يسرب أكثره إلى ناحية الخيشوم كانت النون " [6] .

ويتكون صوت النون في وصف المحدثين " حين يندفع الهواء من الرئتين مرورا بالحنجرة حيث تتذبذب الأوتار الصوتية معه، ثم يتخذ الهواء مسربا عبر الحلق حيث يهبط أقصى

---

[1] يراجع: العين، 57/1.
[2] المصدر نفسه، 58/1.
[3] الكتاب، 435/4.
[4] المصدر نفسه، 433/4.
[5] أسباب حدوث الحروف، 124.
[6] المصدر نفسه، ص : 83.

الحنك اللين فيسد بهبوطه فتحة الفم، مما يجعل الهواء يتسرب عبر المسرب الأنفي، وفي صناعة هذا الصوت يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة " [1] .

وقد احتفظت العربية بهذا الصوت وهو في اللغة السامية كلها موجود [2] .

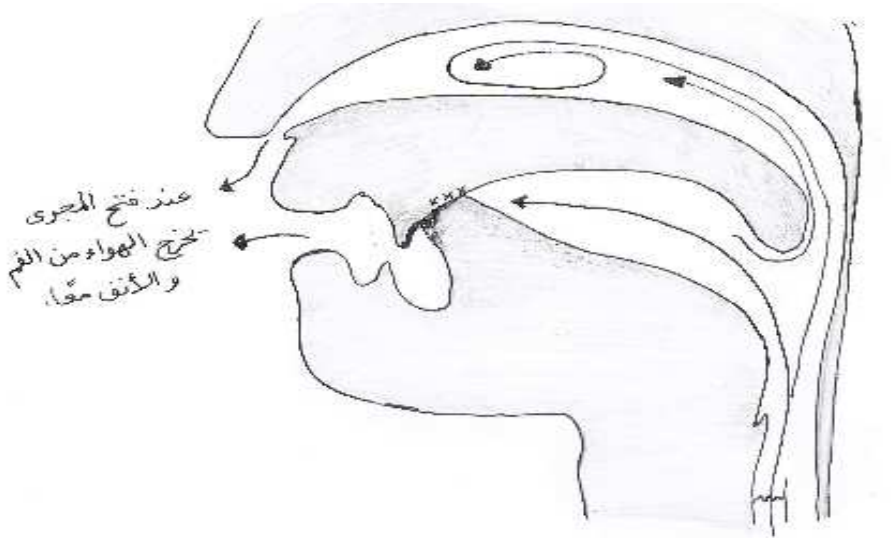

الشكل:58 هيئة إنتاج النون.

النون من أكثر الأصوات العربية تكرارا وهي تأتي ترتيبا بعد اللام مباشرة، إذ تستخدم كثيرا في الأبنية العربية [3].

نلاحظ أن النون (ن) حرف جسد رسمه مخرجه وهيئة حدوثه، وهو من الحروف المنقوطة، لأن فيه حركة هو اء وضغطا علويين مقارنة بشبيهتها رسما وسط الكلام وأوله (بـ بـ، تـ تـ، ثـ ثـ يـ يـ) .

[1] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 173، 174؛ ويراجع: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص : 66، 67؛ ويراجع: هيام كريدية، الألسنية، الفروع والمبادئ والمصطلحات، (ط:2، بيروت، لبنان، د د، 2008م.)، ص : 120، 121.
[2] كانتينو، علم الأصوات العربية، ص : 60.
[3] يراجع : إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 67.

وهنا نشير إلى أن هذا الحرف من أهم الحروف من حيث دلالة رسمه وصوته ومرتبته عند المتصوفة وهو ما سنراه في الفصل الموالي .

و" قد أخذ هذا الحرف عبر رحلة التطور ثلاثة أشكال، في وسط الكلمات أقرب إلى الزاوية القائمة، وفي أواخر الكلمات زاوية منفرجة إلى أسفل " [1] .

فقد تعددت رسومات النون بسبب موقعها (ـنـ ، ـن)، وقد كان هذا الرمز الصوري : (𓆓) يعبر قديما عن الأفعى أو الحنش، ثم تطور نحو التبسيط لتميل الكتابات النبطية إلى التجريد مع الاحتفاظ بالملامح الأصلية للحرف، زيادة على ما تقتضيه طبيعة الوصل في هذه الكتابة[2] .

والحق أن العربية هذبت هذا الرسم حتى وافق صقله هيئة نطقه كليا .

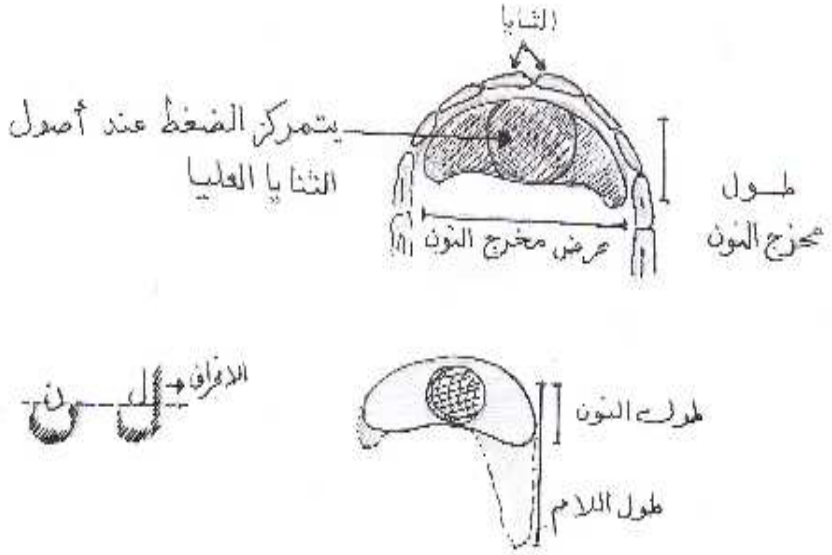

الشكل:59 – مقارنة بين مخرج اللام والنون.

[1] محمد حسام الدين عبد الفتاح، الكتابات العربية، ص : 30.
[2] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص: 231، 232.

النون كما ترى يحدث بالتقاء طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ووسد المجرى هنا يصاحبه فتح المجرى الأنفي أين يتجه الهواء ويبقى في حال دوران هناك والضغط جار في آن واحد عند نقطة السد التي وصفناها في الفم حتى يفتح المجرى هناك، فينطلق الهواء من الأنف والفم معا، ونقاط اجتماع اللسان (طرفه) مع قليل من حافته اليمنى واليسرى مع نقطة الضغط وسطه = **ن** .

حرف الميم

(م)

الميم كما يراها الخليل شفوية، وقال مرة شفهية لأن مبدأها من الشفة[1]، فمخرجها بالتحديد" مما بين الشفتين "[2].

ويقدم ابن سينا وصفا لحدوث الميم فيقول : " وأما إذا كان حبس تام غير قوي، وكان ليسَ الحبسُ كلُّهُ عندَ المخرج بين الشفتين، ولكن بعضُه إلى ما هناك وبعضُه إلى ناحية الخيشوم حتى يُحدث الهواءُ عند اجتيازه بالخيشوم والفضاء الذي في داخله دويا حدث الميم." [3] .

وفي رواية أخرى : " وأما الميم فإن الحبس فيها تام وبأجزاء من الشفة أيبس وأخرج، وليس تسريب الهواء مع القلع إلى خارج الفم كله بل يصرف بعضه بحصر وبحفز قوي إلى التجويف الذي في آخر المنخر ليدور فيه ويفعل دويا، ثم يطلقان معا " [4] .

---

[1] يراجع: االعين، 58/1.
[2] سيبويه، الكتاب، 433/4.
[3] أسباب حدوث الحروف، ص : 83.
[4] المصدر نفسه، ص : 124، 125.

ويصف المحدثون الميم حال حدوثها بما يلي : " تنطبق الشفتان انطباقا تاما عند النطق بصوت الميم فيقف الهواء أي يحبس حبسا تاما في الفم، ويخفض الحنك اللين، فيتمكن الهواء الصاعد من الرئتين من المرور عن طريق الأنف بسبب ما يعتريه من ضغط، وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بصوت الميم"[1]."وهذا الصوت مرقق في العربية الفصحى" [2]، إذ " يبقى اللسان في جانب الحياد " [3].

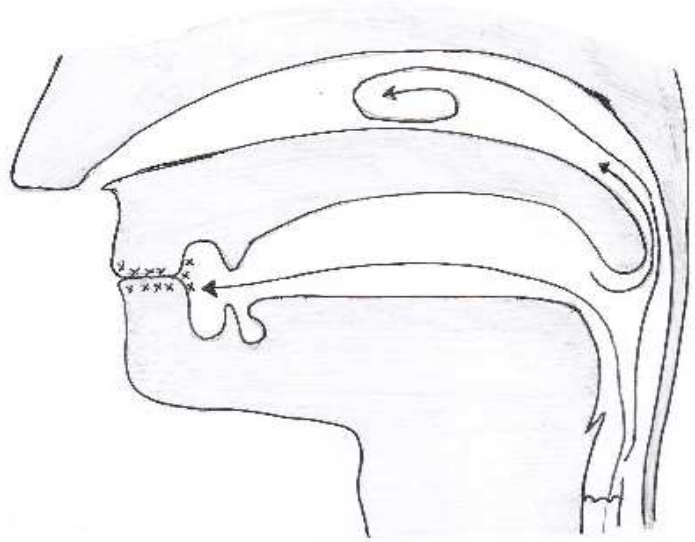

الشكل:60- هيئة إنتاج المـــــــــيم.

فالميم من الصوامت الانسدادية الأنفية، وهي التي " يكون الحنك اللين (فيها) منخفضا قليلا بحيث يسمح لجزء من الهواء المزفور أن يمر عبر التجاويف الأنفية، في حين يمر الجزء الآخر من قناة الفم، وإذا كان الانسداد في مستوى الفم لا يمكن إلا أن يكون مؤقتا، فإن الرنين الأنفي يبقى مستمرا، ويستطيع بذلك أن يسبق الانسداد الفموي وأن يبقى إلى ما بعد حصوله "[4].

---

[1] كمال بشر، علم الأصوات، ص : 348.
[2] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 133.
[3] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات الغوية، ص : 157.
[4] بسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 118.

إن الميم من الأصوات المعقدة حدوثا، تشبهها في ذلك أختها في صفة الغنة النون، فابن سينا حين وصف الأصوات التي يصدرها الإنسان من مصادر غير جهازه النطقي لم يجد للميم وصفا وكذلك النون، على أنه يتركها ترك وضع الغنة وارتفاع الهواء لمخرج علوي، وهذا الحدث ليس من اليسير وجوده بالطبيعة [1].

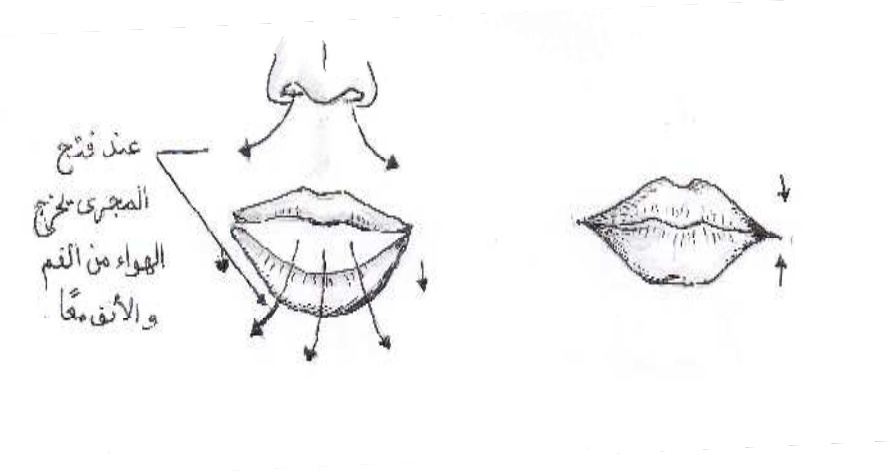

الشكل:61- هيئة الشفتين مع الميم.

إن مساحة الفم التي يجول بها الهواء عند الميم أوسع منها عند النون، لذا يرى الدارسون أن غنة النون أشد لما فيه من ضغط هو اء ناتج عن ضيق المساحة مقارنة بالميم .

رسم الميم في العربية – مـ – وبشكله الدائري هذا يمكن أن يكون له تفسير :

إن مساحة الميم أكبر من مساحة النون فكانت واحدة :(ں) نصف دائرة، والثانية (o) دائرة تامة .وفي الشفة عند إنتاجها لا يوجد انبساط كالباء الشفوية، بل نلاحظ في الشفتين مع الميم انكماشا ملحوظا، ولم ينقط هذا الرسم رغم وجود حروف عدة ذات دوائر

[1] يراجع: ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص : 36، وفي هامش هذه الصفحة تعليق المحقق.

مغلقة : ف ق و. فهو لا يختلط بغيره عند الكتابة كونه على السطر مباشرة ويتصل بالحروف من كل الجهات، كما أنه لا رطوبة فيه ولا انفجار كي ينقط لأجله.

أما عن رسم الميم ففي النبطية مثلا اتخذ أشكالا عدة وقد ردَّ البعض ذلك لكون الكتابة النبطية كتبت في فترات متباعدة وفتراتها الأولى كانت متأثرة بالكتابة السابقة، كما أن موقع الميم يتحكم برسمها، لأن الكتابة عندهم موصولة في كثير من أشكالها.

ومن رموز الميم: (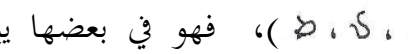)، فهو في بعضها يبدو بيضاوي الشكل ومدَّته إلى أعلى، وسُجّل له أيضا سنة 328م شكل أقرب للمستطيل له مدتين؛ إلى أعلى وإلى اليسار [1].

لقد كان شكل الميم دوما معبرا عن هيئة حدوثها وقد زادت العربية ـ لما يملك رجلها من سليقة صافية ونقية ـ في تحسين الرابط بين الرسم وهيئة حدوث الصوت فكان الرسم (م) الصورة المناسبة لآداء هذا الصوت .

[1] يراجع: محمد حسام الدين إسماعيل عبد الفتاح، الكتابات العربية، ص : 29، 30.

حرف الهاء .

(هـ)

الهاء من الأصوات العربية التي تعاني صعوبة التحديد منذ زمن الخليل حتى اليوم فهي تتأرجح بين الصامت والصائت، والجهر والهمس، وضبط حال مخرجها عند إنتاجها .

نجد الخليل حين رتب الأصوات، قال عن العين والحاء والهاء [1] : " فهذه الثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض " [2] .

ونحن نعتقد كما ذكرنا في حرف العين أن ما نقل عن الخليل فيه الكثير من الإهمال لولا النصوص المبعثرة في مصادر أخرى التي تساعد على صحة ما قال.

لذا فإننا نجد أيضا قوله : " الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق فإذا رُفِّه عن الهمز صار نفسا تحول إلى مخرج الهاء " [3]، وهي عند سيبويه من أقصى الحلق أيضا : " فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف " [4]، ويقول ابن الجزري : " فقيل على مرتبة واحدة وقيل الهمزة أول " [5]، وهو هنا يقصد الهمزة والهاء دون الألف .

ويحدد ابن سينا هيئة حدوثها قائلا : " وأما الهاء فإنها تحدث عن مثل ذلك الحفز* في الكم والكيف، إلا أن الحبس لا يكون حبسا تاما بل تفعله حافات المخرج وتكون السبيل مفتوحة والاندفاع يماس حافاته بالسواء غير مائل إلا إلى الوسط "[6].

وحافات المخرج التي يصفها ابن سينا هنا هي الأوتار الصوتية كما تسمى اليوم، وقد عرَّفها في فصل تشريح الحنجرة واللسان بقوله : " زوج عضلة توجد في جميع الناس، أحد

---

[1] يراجع: العين، 58/1.ونلاحظ سقوط الهاء من هذه الطبعة، إلا أن الأزهري في تهذيب اللغة جاء بالنص كاملا وفيه الهاء، ص:48. (ولعلها سقطت طباعة).

[2] المصدر نفسه، 57/1، 58.

[3] العين، 394/4.

[4] الكتاب، 433/4.

[5] النشر، 163/1.

* يقصد الحفز الذي أنتج الهمزة وهو حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير.

[6] أسباب حدوث الحروف، ص : 72.

فرديها يصعد من حافة الدرقي إلى حافة الطرجهالي يمنة، والآخر يسرة، وهما صغيرتان تفعلان بالقصر وبموافقة المكان فعلا عظيما حتى إنه يقاوم عضل الصدر والحجاب عند حصر النفس، وقد يوجد في بعض الناس زوج آخر شبيه به معين له " [1].

فهذه العضل الفاتحة –كما يسميها –هي التي تفتح السبيل للهواء وعند مرور الهواء ما بينهما بتلك الهيئة إلى الخارج يسمع صوت الهواء .

أما حديثا نجد الهاء تسمى حنجرية [2]، فهي صوت " عند النطق به يظل المزمار منبسطا دون أن يتحرك الوتران الصوتيان، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعا من الحفيف يسمع من أقصى الحلق أو داخل المزمار " [3]، هذا الحفيف، " لا هو بالحبس ولا هو بالنفس" [4] .

ويدقق بسام بركة قائلا :"عند نطق الهاء يكون المزمار (على مستوى الحنجرة) مغلقا تماما تقريبا، سوى فتحة صغيرة في الجزء الخلفي منه على مستوى النسيجان الخلفيان الهرميان، وينتج عن هذه الفتحة الضيقة لدى مرور الهواء المزفور من احتكاك مسموع ومميز، ولا يتذبذب الوتران أثناء النطق بالهاء " [5] .

أما عن باقي الجهاز النطقي فيكون مفتوحا، واللسان لا عمل له في صوت الهاء إذ يكون بقاع الفم [6]. ويراها كانتينو من " الحروف التي الانفتاح فيها أكبر ما يكون، أي التي ينفتح فيها جهاز التصويت انفتاحا عاديا، فيجري النفس جريا، وتسمى هذه الحروف حروفا هاوية (Aspirées) " [7] .

---

[1] المصدر السابق، ص : 67، 68.

[22] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 131؛ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص : 183؛ وبسام بركة، علم الأصوات العام، ص : 126.

[3] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 88

[4] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 131.

[5] علم الأصوات العام، ص : 126.

[6] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها؛ وعبد القادر عبد الجليل، الأصوات الغوية، ص: 183.

[7] علم أصوات العربية، ص : 24، 25.

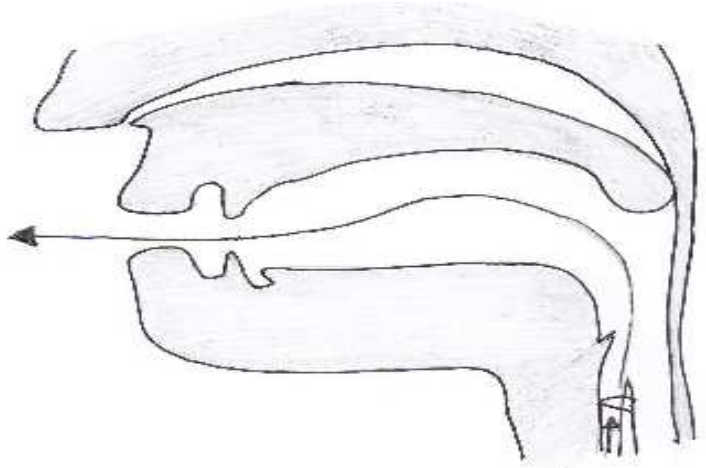

الشكل: 62- هيئة إنتاج الهـــــــــاء.

نجد الهاء صوتا سهل الحدوث، لكنه مع ذلك كان منذ القدم صعب الوصف ككل الأصوات العميقة في الجهاز النطقي، وعبر التاريخ اتخذ أيضا أشكالا عديدة رسما، حسب موقعه، خاصة في الكتابة النبطية،

منها: (𐢀، 𐢁، 𐢂، 𐢃، 𐢄، 𐢅، 𐢆، 𐢇، 𐢈، 𐢉...)[1].

وعند تتبع الأحرف السابقة للأحرف العربية الحديثة نجد الهاء منذ الآرامية القديمة القرن 8 ق م، تشبه في بعض أحوالها حرف الحاء، لكن كل تلك الرموز لا تمت بصلة واضحة مع هاء العربية الحديثة فكأنها لم تعتمد على تطور الخطوط السابقة، بل نجد ملامح الهاء العربية الحديثة قد بدأت تبرز مع عربية القرن 8 م متى بدأت الدائرة فيها تتضح لتصبح مزدوجة دوما أول ووسط الكلمة (ﻫ، ﻫ) [2].

لكن من أين حصلت الهاء على هذه الصورة التي ثبتت عليها حتى يومنا هذا ؟ ورسم بها القرآن الكريم ؟

الهاء من الأصوات التي تعتمد بدورها على الدائرة، لكن صوتها ليس فيه تردد كالعين **ع** ولا مغلق كالميم **م**، بل هي صوت مجراه مفتوح والهواء فيه حر **هـ** .

---

[1] يراجع: يحيى عباينة، دراسات في فقه اللغة، ص : 224، 225.

[2] يراجع عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص : 32، 33. وأحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص : 110.

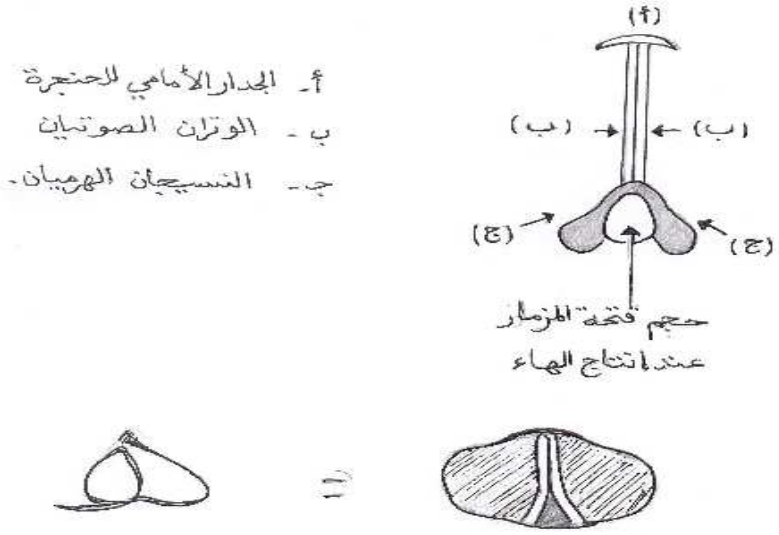

الشكل:63- هيئة الوترين الصوتين عند إنتاج الهاء.

فلولا تأكدنا من أن العرب قديما لم يعرفوا صورة الحنجرة كما تبدو في الرسم المقابل لقلنا أن (هـ) تجسيد حال الحنجرة عند أداء هذا الصوت، لكننا نقول هو رسم لحركة الهواء في هذا الصوت المفتوح :(هـ)، أو ( ) ( ) .

حرف الواو

(و)

الواو صوت جوفي عند الخليل وسميت كذلك " لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف " [1] . وهي هوائية أي أنها في الهواء [2]، وقد جاء في تهذيب اللغة ما نسبه الأزهري للخليل قوله : " ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين " [3]، رغم أن أصلها عند الهمزة عنده [4].وقد جعل سيبويه الواو" مما بين الشفتين " [5]، والواو صوت لين عنده لأن مخرجه يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيره، وهو من أخفى الحروف [6].

وقد تحدث ابن سينا عن واو صامتة وأخرى مصوتة فالأولى : " تحدث حيث الفاء، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف، لا ينافس في انضغاطه سطح الشفة، ثم يُتم هيئته بقلع أيضا، للمقدار المنطبق من الشفة في الفاء "[7]، ثم يصف المصوتة ويقول: "والواوان* مخرجهما مع أدنى مزاحمة وتضيق للشفتين واعتمادا في الإخراج على ما يلي فوق، اعتمادا يسيرا " [8]، وله في رواية أخرى : " وأما الواو المصوتة وأختها الضمة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء من أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق " [9].

---

[1] العين، 57/1.
[2] يراجع، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3] الأزهري، تهذيب اللغة، 51/1.
[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[5] الكتاب، 433/4.
[6] المصدر نفسه، 434/4، 435.
[7] أسباب حدوث الحروف، ص : 125.
* يقصد بالواوين، الواو المدية والضمة.
[8] المصدر نفسه، ص : 126.
[9] المصدر نفسه، ص : 84.

وللواو طبيعة مزدوجة عند المحدثين أيضا، وقد قال إبراهيم أنيس " أما مخرج الواو فليس الشفتين فقط كما ظن القدماء، بل هو في الحقيقة من أقصى اللسان، حين يقترب من أقصى الحنك، غير أن الشفتين حين النطق بها تستديران، أوبعبارة أدق تكمل استدارتهما " [1].

و" الواو لا فرق بينها وبين الضمة (u) إلا في أن الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو أضيق منه في حالة النطق بالضمة، فيسمع للواو أيضا نوع ضعيف من الحفيف جعلها أشبه بالأصوات الساكنة، أما حين ينظر إلى موضع اللسان معها، فيمكن أن نعدها شبه صوت اللين (u) " [2].

فالواو" صوت شفوي نصف عِلِّي ... ينطق به بضم الشفتين ضما دون الإقفال، مع نتوئها للأمام، ورفع مؤخر اللسان، وسد المجرى الأنفي، ووجود ذبذبة في الأوتار الصوتية"[3].

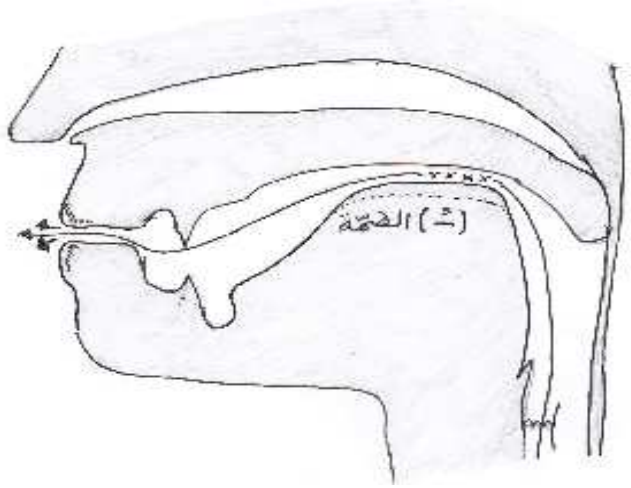

الشكل: 64- هيئة إنتاج الواو.

ففي الواو" اللسان يقترب من منطقة الحنك اللين، لكن ليس إلى الدرجة التي يؤدي فيها الاقتراب إلى نشوء احتكاك، وتشترك هذه الواو مع الواو الحركة بهذه الصفة "[1].

---

[1] الأصوات اللغوية، ص : 43.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها؛ ويراجع: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص : 93؛ وفاء زيادة، محاضرات في الأصوات العربية، (القاهرة:دار الهاني للطباعة، دت.) ص : 44، 45.

[3] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص : 135.

ويرى كمال بشر أن التفريق الذي وصفه المحدثون عل أساس نطقي محض غير واضح بل فيه تكلف وصنعة، لذلك فقد آثر التفريق بينهما على أساس الوظيفة اللغوية، ولكنه مع ذلك يدرك أن الواو في حالة كونها نصف صائت ونصف حركة تكون أقل احتكاكا من باقي الأصوات الاحتكاكية بدرجة تقربها من الحركات [2] .

و" الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة، فرق في الكمية لا في الكيفية، بمعنى أن وضع اللسان في كليهما واحد، ولكن الزمن يقصر ويطول في كل صوت ... والذي يحدد الطول والقصر هنا، هو العرف اللغوي عند أصحاب اللغة " [3] .

ورسم الواو، كان في الكتابات النبطية يعمد إلى صورة واحدة في جميع أماكن وجوده : (٩)، وقد يميل الجزء السفلي منها [4]، وهذا هو الرمز الذي اعتمدته الكتابات العربية فيما بعد، وقد طوره الخط العربي بإضجاع نهايته السفلى لمناسبة شكل السطر العربي، وآليات الكتابة المستعملة فيما بعد [5].

وقد ربط هذا الرسم قديما بالوتد والمسمار، ورمزه: (٢،٢،م) [6].

الشكل:65- هيئة الشفتين عند إنتاج الواو.

---

[1] سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص : 230.
[2] يراجع: علم الأصوات، ص : 371.
[3] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص : 96.
[4] يراجع: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 226؛ ومحمد حسام الدين عبد الفتاح، الكتابات العربية، ص : 27.
[5] يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة، ص : 96.
[6] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أما فيما نراه من علاقة للرسم بإنتاج هذا الصوت في العربية، فإن شكل الدائرة الثابت فيها يمثل هيئة الشفتين مع هذا الصوت، ويشير أحمد زرقة إل أن " (الواو) من شكل هيئة الفم الذي ينطق بالواو واللسان في وسطه أي من هيئة ضم الشفتين عند نطقه"[1].

ونحن نجد رسم الواو: وكان في الأصل للواو الصامت أو(شبه الصائت) ثم صار للواو المدية أيضا لاحقا لما كان بينهما من شبه في الآداء، أي أن هذا الرمز كان الأصل للصامت فقط، ويؤيد هذا رأي كارل بروكلمان حين يقول : " ولا تمثل الخطوط السامية العربية كلها في الأصل، إلا الأصوات الصامتة، ولكن لأن الواو والياء في العبرية والآرامية، قد فقدا في بعض الأحوال وظيفتهما الأصلية، باعتبارهما صوتين صامتين، بعد أن تحولت الأصوات المركبة القديمة إلى أصوات بسيطة، فإن هذين الحرفين قد استعملا كذلك في كتابة حركات (مثل : é ú ó í) ليست في الأصل أصواتا مركبة . ويشبه هذا استخدام الهاء في العبرية والهمزة في الآرامية للتعبير عن الفتحة الطويلة (â)، وقد عُممت رموز الحركات هذه في العربية أكمل تعميم " [2]

[1] أحمد زرقة، أسرار الحروف، ص : 131.
[2] فقه اللغات السامية، تر : رمضان عبد التواب (د ط، المملكة العربية السعودية، نشر جامعة الرياض، 1977 م) ص : 37.

الخلاصـــــــــــة:

تمكن الرجل العربي منذ القدم من اللغة، وأجادها شفاهيا، فملك زمام أمرها، وصارت المعاني لينة بين يديه، يشكلها ويصوغها كيفما شاء، بأقل جهد وأعظم أثر في نفس المستمع.

وتؤكد الدراسة التي بين أيدينا، أنه أيضا حقق درجة مبدعة من الانسجام بين نطقه لأصواته والتدليل عليها كتابة، مع أن هذه القدرة قد استخدمت في المراحل الأخيرة من تاريخ الحرف العربي، وذلك حين مكَّن الذوق والحس المرهف – الذي أكسبته بلاد العرب صاحبها – من إعطاء أعلى صور الانسجام بين الرسم والصوت.

فحين استلم العربي القلم وتعلم الكتابة، وجد أنه قادر على تحسين هذه الرموز التي توازي أصواته نطقا، فقلل من الانكسارات فيها، وأكثر الاستدارة، وقارب بين رموزه وأعضاء جهازه النطقي حين تؤدي هذه الأصوات، ثم وزع على هذه الحروف نقاطا بقدر ما يحمل هذا الصوت من مميزات فيزيائية، أو فيزيولوجية، فخصص لحرف نقطة واحدة أعلاه، وآخر اثنتان، وآخر ثلاث، ونقط غيره واحدة أسفله وربما اثنتان، ليعبر عن حدث يضاهي نطقا موقع النُقط وكمَّها، كل ذلك كان بتنسيق وانسجام بديعين.

فليس من العجيب أن نجد أغلب الحروف العربية تُبرز بوضوح شكل حدوث صوتها من جهة ما. كما أنه لا عتب على العربي لو قلَّت قوة الانسجام بين رسم وصوته، فنحن نؤمن بأنه اجتهاد بشري، وليس بعمل إلـه.

لكنه يبقى اجتهاد رجل تغذى من طبيعة تبنته، فصقلته وعلمته الحكمة، وعزز فيه هذا نيته الدائمة لخدمة القرآن الكريم، فاستطاع أن يبدع ويحقق الانسجام، فاقترب الرسم من الصوت وتوطدت العلاقة بينهما، حتى كادت تبدو طبيعية.

وحين تشبع الحرف العربي بأعلى درجات الانسجام تحول إلى فن، فصار الرسم بما ينقل من صوت لعبة بيد الخطاط، يرسل به المعاني، بشكل قد تعجز عنه نصوص منطوقة، شعرا ونثرا.

وما رصدنا من صور الانسجام، سنوجزه في خاتمة بحثنا، فهذه الخلاصة لا تتسع له.

الفصل الثالث:

معاني الحروف العربية عند اللغويين والمتصوفة.

الفصل الثالث:

معاني الحروف العربية عند اللغويين والمتصوفة.

توطئة:

معاني الهمـــــزة (ء) والألف عند اللغويين والمتصوفة

معاني الهــاء عند اللغويين والمتصوفة

معاني العين عند اللغويين والمتصوفة

معاني الحاء عند اللغويين والمتصوفة

معاني الخاء عند اللغويين والمتصوفة

معاني الغين عند اللغويين والمتصوفة

معاني القاف عند اللغويين والمتصوفة

معاني الكاف بين اللغويين والمتصوفة

معاني الضاد عند اللغويين والمتصوفة

معاني الشين عند اللغويين والمتصوفة

معاني الجيم عند اللغويين والمتصوفة

معاني الياء عند اللغويين والمتصوفة

معاني اللام عند اللغويين والمتصوفة

معاني الراء عند اللغويين والمتصوفة

معاني النون عند اللغويين والمتصوفة

معاني الطاء عند اللغويين والمتصوفة

معاني الدال عند اللغويين والمتصوفة

معاني التاء عند اللغويين والمتصوفة

معاني الصاد عند اللغويين والمتصوفة

معاني الزاي عند اللغويين والمتصوفة

معاني السين عند اللغويين والمتصوفة

معاني الظاء عند اللغويين والمتصوفة

معاني الذال عند اللغويين والمتصوفة

معاني الثاء عند اللغويين والمتصوفة

معاني الفاء عند اللغويين والمتصوفة

معاني الباء عند اللغويين والمتصوفة

معاني الميم عند اللغويين والمتصوفة

معاني الواو عند اللغويين والمتصوفة

الخلاصة

توطئـــــــــــــة:

إن بنية اللسان العربي كبنية الجسم الإنساني، فهي بنية موحدة منسجمة بجميع عناصرها، فاللسان العربي نشأ عن حدوس صادقة لطبيعة الأشياء، وليس هو مجموعة من الرموز المنفصلة عن مفاهيمها، فالكلمة العربية ذات صفة عضوية، تحمل بصورتها الصوتية مصدر استلهامها، يتضح هذا المصدر عن طريق "الحدس"؛ وهو التجاوب الرحماني بين الذهن والصورة[1].

واللغة بما فيها من أصوات هي الإنسان، فبعض "أصوات الحروف العربية يماثل عظام الإنسان في قساوتها، وبعضها يماثل عضلاته في قوتها ومرونتها، وبعضها الأخر يماثل لحمه في ليونته وطرواته، وغيرها يماثل أعصابه في حساسيتها ورهافتها."[2]

حتى أصبحت الكلمة العربية بنظر البعض"صورة تكشف عن المفاهيم الكامنة فيها، وأصبحت الصورة مصعدا يرقى بالحدس إلى هذه المفاهيم مباشرة، للرابطة القوية بين صورة الكلمة وبوادر الشعور بالطبيعة"[3].

وقد آمن ابن جني بالعلاقة بين الصوت والمعنى، وهو يقول:"إن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها"[4]، وهو الذي أولى هذا الموضوع العناية الأكبر بين اللغويين القدامى.[5]

---

[1] يراجع:عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص:97

[2] حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص:83، 84.

[3] عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص:100.

[4] الخصائص، 65/1.

[5] ما أشار إليه ابن جني من ملاحظات حول معاني بعض الأصوات سنستشهد به في عنصره مباشرة في فصلنا هذا، لذا لا ضرورة لسرده هنا.

وقد استطاع بعض اللغويين أن يوضحوا معاني الحروف من خلال صفات الصوت، مع أننا سنرى في فصلنا هذا أن هناك من ربط معنى الصوت برسمه أيضا، كما فعل بعض المتصوفة، بل هناك من يقول بأنه كان للعرب صور تقابل الحروف"فالألف تقابله القامة الجميلة المنتصبة، والجيم هي الأذن، والدال صورة العاشق الذي صار دالا من شدة الحزن، والسين هي الأسنان الجميلة، والميم، الفم الجميل، وكانت الواو صورة الزورق، والراء صورة الهلال."[1]

لذلك سنتحدث في فصلنا هذا عن علاقة الحرف عموما بمعناه، وكلمة المعنى التي نرددها هنا، نقصد بها بالتحديد ما يلي:

*لغة "معنى كل شيء...حاله التي يصير إليها أمره، ومعنى كل كلام ومَعناته ومعنيته : مقصده"[2].

*أما اصطلاحا، فهو :"علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول، وهي علاقة مباشرة واضحة في أبسط المواقف."[3]

والمعنى يعنينا من جانب علاقة الصوت المفرد بمعناه الذي يوقظه فينا حال سماعه، أي ما يحمله الصوت من معان متجسدة في كيفية حدوثه بين قوة وضعف وليونة وتردد..

"فالمعاني لا تتحدد فقط بالقيم التجريدية العامة المشار إليها في القواميس والمعجمات، بل تحيط بكل كلمة ظلال من المعاني النفسية والعاطفية المختلفة، وتكسبها ألوانا مؤقتة من الأحاسيس والأخيلة تمثل قيمتها التعبيرية".[4]

---

[1] عفيف البهنسي، فن الخط العربي، ص:101

[2] ابن منظور، لسان العرب، 3147/4

[3] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، (دط/ مكتبة الشباب، 1975م.)، ص:72.

[4] علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، (ط:1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، 1986م)، ص:92.

فـ"القيمة التعبيرية الموحية للحرف العربي لا تلمح إلا عند القائلين بمناسبة حروف العربية لمعانيها، وهذه المناسبة يتعذر القول بها على جهل بالأسرار الصوتية المودعة في مخارج الحروف وصفاتها، كما عرفها العرب ولمحوها، واستشعروا وقوعها على الأسماع، وأثرها في النفوس."[1]

كما نلمح هذه القيمة أيضا في ما يقدمه أهل التصوف من أسرار للحروف العربية، لذلك ستمزج دراستنا بين الرؤية اللغوية والرؤية المتصوفة للحرف العربي، محاولين بذلك وضع نسق جديد متكامل من الدراسات لمعنى الحرف العربي.

[1] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص:277

معاني الهمـــــــزة (ء) والألف عند اللغويين والمتصوفة:

الهمزة صوت يسمي القدامى مخرجه بالحلقي، أما عند المحدثين فهو حنجـري[1]، وقد شغل هذا الحرف فكر اللغويين بشكل خاص، فهو من أكثر الحروف التي تشابكت الآراء فيه بين متحدث صوتي وآخر صرفي وآخر نحوي..

وحديثنا هنا عن الهمزة سيكون عينه الحديث عن الألف، لأن هذا الصوت كان يسمى ألفا ثم أطلق عليه اسم الهمزة، "ويجوز إطلاق الألف على الهمزة، إما حقيقة بالاشتراك على ما قيل، أو مجازا لكونها على صورتها في بعض المواضع..أو لكونهما متحدتين ذاتا والاختلاف إنما هو بالعرض، ولذلك شبهوهما بالهواء والريح، فكما أن الهواء إذا تحركت صارت ريحا والريح إذا سكنت صارت هواء فكذا الألف إذا تحركت صارت همزة والهمزة إذا سكنت ومدت صارت ألفا"[2].

ولا يَظُنَّنَّ ظان أن العرب في المراحل الأولى لم يكونوا يعرفون الهمزة وصفا وصوتا، أوأن الهمزة صوت حديث في اللغة العربية.إن الهمزة من أصوات العربية منذ التاريخ المعروف لنا، ولكن هذا الصوت لم يسم بالهمزة في المراحل الأولى، وإنما كان يسمـــى ألفا ورمزه (ا)"[3].

"والهمزة رغم شيوعها في اللغة العربية لم يرمز لها الرسم العربي القديم برمز خاص ككل الأصوات الساكنة. ولتصرف القدماء في الهمزة بالتخفيف – إبدالا ونقلا وحذفا–وتسهيلها بين بين، كتبت بحسب ما تخفف به، فأحيانا كتبت ألفا وطورا واوا أو ياء، وثالثة لم يرمز لها بأي رمز."[4]

---

[1] يراجع ص: 105، 106 من البحث.
[2] أحمد ديكقور، شرح مراح الأرواح، (دط، اسطنبول، دار الطباعة العامرة، 1885م)، ص:66.
[3] كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص:78.
[4] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص:89.

ولأن همنا ليس البحث عن الرابط بين رسم الهمزة ودلالتها، فإن هذا التفصيل لا يهمنا إلا للتأكيد أن العرب حين وصفوا الألف وحددوا دلالة اسمها كان الأمر يتعلق في الحين نفسه بشكل من أشكال الهمزة، وهو في الواقع اسمها الذي كانت تسمى به قبل أن يطلق عليها اسم الهمزة.

لذلك من الضروري أن نفهم معنى هذا الاسم عند العرب؛ يقول الخليل بن أحمد أن الألف"الرجل الحقير الضعيف"[1]، و" الألف الرجل الفرد"[2] و"الألف الواحد من كل شيء"[3].

أما عن صوت الهمزة فقد وجد العلايلي أنه" يدل على الجوفية، وعلى ما هو وعاء للمعنى ويدل على الصفة تصير طبعا"[4]، أما محمود محمد شاكر فيرى الهمزة الممدودة هي "الصدى الصوتي الذي يراد به التنبيه والإشارة والنداء".[5]وهو لا يفرق بين الهمزة والألف ويجعلهما تعملان للدلالة ذاتها،[6] ويرى أن ذلك كونها حلقية المخرج، ويخرج الصوت دون أن يرتطم بالثنايا أو الأضراس أو الشفة، ولا يعمل معهما اللسان عملا في تكوين صداها أو جرسها.[7]إذ يرى أن " الرجل إذا فزع أو رغب أن ينادي أو أن يشير، وهو ناقص الآلة اللغوية، فأول ما يبدأ به هو أن يقذف الصوت مغسولا من الحلق بأقصى ما يستطيع "[8]، فهي تأتي للنداء :أأحمد، وللاستفهام : أأنت؟.

ويفسر محمود شاكر احتفاظ العربية بالهمزة للتفضيل والتعجب بقوله: " فإثبات الهمزة والإتيان بها في هذه الأبواب، مأخوذ من الأصل الذي أقيم عليه المعنى الذي يتحمله

---

[1] الخليل بن أحمد، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، تح : رمضان عبد التواب، ص:34

[2] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:141

[3] المصدر نفسه، ص:142

[4] عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد، (دط، مصر دار المطبعة العصرية، دت.)، ص:210.

[5] جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جم:عادل سليمان جمال، (دط، القاهرة، مكتبة الخانجي، دت.)، 719/2.

[6] يراجع المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[7] يراجع المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[8] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

صدى الصوت من الاستفهام والتعجب، والتفضيل فرع من تعجبك من الشيء واستكبارك له، وكذلك احتفظت العربية بهذا الحرف في أكثر حروف الاستفهام كقولهم:أين. أنى، وما يدانيها كقولهم: أم. كذلك فيما يقارب ذلك من المعني كما في قولهم : أو. "[1]

كما وصفها أيضا حسن عباس، فصوت الهمزة يضاهي عنده النتوء في الطبيعة إذا كان في أول اللفظة.[2]إذ يقول:"وهو يأخذ في هذا الموقع صورة البروز كمن يقف فوق مكان مرتفع فيلفت الانتباه."[3]

واستشهد لظهور وعيان دلالة الهمزة بابتداء الضمائر المنفصلة للمتكلم والمخاطب بها ولم تتواجد في ضمائر الغائب. كما أن الألوان الطبيعية تبدأ كلها بها، ولا أوضح ولا أظهر من الألوان في الطبيعة[4].

لكن عباس يفرق بين الهمزة وألف المد، فالألف اللينة عندما تقع في وسط المصدر أوفي آخره لتزيد في خاصية الامتداد زمانا ومكانا [5].

ولقد كانت الألف ذات أهمية خاصة عند العرب لأنها في مقام (أحد)، وهي رمز لوحدة الله المطلقة[6]، وهذا التصور يبعث بنا للنظر في دلالتها عند أهل التصوف لأنهم مصدر هذا الاعتقاد.

كان سهل بن عبد الله التستري (203-283هـ) قد رأى أن الألف"أصل الحروف وأشرفها"[7]، فيعرفها بقوله:" الألف هي القوة الناطقة، وهي جارية بأعدل الحركات وهو النصب، ولها خمس قوى: العقل والذكر والفهم والفكر والتخيل، فهذه جميع قواها"[8].

---

[1] المرجع السابق، 720/2
[2] يراجع:خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص:95.
[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[5] يراجع المرجع نفسه، ص:96.
[6] يراجع:عفيف البهنسي، ص:100.
[7] سهل التستري، رسالة الحروف، ص:361.
[8] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أما الهمزة فيرى ابن مسرة القرطبي (ت:319هـ) أنها عند النطق بها تصدر من أقرب النقاط للصدر فقد كانت برأيه أقرب النقاط للذات ويقول في هذا:"الهمزة...إشارة على الأزلية، فلا شيء أقرب إلى الذات من الإرادة، وليست الإرادة حالة في الذات."[1] فالهمزة هي "العقل والإرادة"[2].

ويقلب ابن مسرة الهمزة مبينا علاقة معناها بأشكال إنتاجها فيقول:"إذا نطقت بالهمزة وأخذت بها مخرج العدل وهو الوسط، حدث من ذلك الألف الذي هو مثال التكوين، أي خط العالم بجملته"[3]، ويشرح ذلك بقوله:"اعلم أن الألف هي أول الحروف، ومبدؤها وآخرها وهي المحيطة والمفصلة للأحرف غيرها... لأنها تقع أولا وآخرا، فهي كالدائرة المحيطة بما فيها، وهي كناية عن أول شيء أظهره الله . تعالى وتقدست أسماؤه . هو أول الأشياء وآخرها، والمحيط بها من ورائها، وهي إرادته المنطلقة في خلقه، والمخلدة أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار من بريته..."[4].

ولقد كانت الحروف، تحمل دلالة العدد عند العرب منذ القدم[5]، وهذا الجانب لم يتركه أهل التصوف، لكنه كان دوما يتجه نحو وجهة رمزية عندهم.

إذ يرى ابن مسرة أن "الألف من الحروف كالواحد من العدد في الأصل، فالألف أول الحروف وأصلها."[6].ويضيف قائلا، "فمما في الألف أنها أول أدلة التوحيد، وذلك أنها مفردة في الابتداء بها. لا تتصل بشيء من حروف المعجم"[7].

وقد رتب ابن مسرة الهمزة إلى مراتب ثلاثة بوضوح، فهناك مرتبة الألف التي هي النفس الناطقة، ومرتبة الواو وهي النفس الحيوانية، ومرتبة الياء وهي النفس النباتية، ليجد أن

---

[1] ابن مسرة، رسالة الحروف، تح: محمد كمال جعفر، (دط، مصر دار المعارف، 1978م)، ص:322.
[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها
[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[4] المصدر نفسه، ص:319
[5] يراجع: ص:91، 92 من البحث.
[6] ابن مسرة، رسالة الحروف، ص:320.
[7] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الألف قائمة والياء ساجدة والواو منحنية، وقد قارن هذا بالقوى النفسانية في الخلق، ذلك أنك تجد الحيوان الذي له نفس ناطقة عاقل منتصب القامة مثل الألف، وما له نفس حيوانية فقط تجده منحن راكع مثل الواو، وما له نفس نباتية يكون ساجدا في هيئته لأن رأسه دوما مما يلي الأرض فقط، كالنبات كله، وهذا ما تجده في الياء."[1]

أما محيي الدين بن عربي(560-638هـ)، فقد قطع أطول الأشواط في مجال الحديث عن الحروف وأسرارها، فهو يرى:"أن كل ما في الوجود العلوي والسفلي جملة وتفصيلا منطو ومرموز له في الحروف، بل إن الحروف هي أصل كل مراتب الوجود وما يظهر فيها."[2]فالحروف عنده"أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون، وفيهم رسل من جنسهم ولهم أسماء من حيث هم، ..وعالم الحروف أفصح العالم لسانا، وأوضحه بيانا، وهم على أقسام كأقسام العالم المعروف في العرف."[3]

أما الهمزة عند ابن عربي فهي اللفظُ، والخطُ المعبر عنها هو الألف[4].وقد تناول هذه الأخيرة بصورة مدهشة خطيا وصوتيا حين قراءته لبداية سورة البقرة ﴿ألم﴾، فالألف عنده تبتدئ من الأعلى وتنتهي عند السطر، فالألف لدى الشيخ الأكبر ابن عربي هي الذات في تنزيهها واستحالة معرفتها، لذلك لم تدخل الحركة التي تمثل الصفة للشيء عنده في لفظ (الألف)، أما اللام والميم، فقد لحقت نطقها ألف المد (لام)، وياء المد (ميم)[5]، ويعلل وصفه الصوتي هذا، فالألف لم يقبل الحركة ذلك أن خروج الحرف من المجهو ل إلى المعلوم يتم بالحركة، وما دامت الألف، التي هي الذات الإلهية لدى ابن عربي منزهة عن المعرفة، فإن الحركة امتنعت عن الألف وسلبت منها ليعرف بالسلب، كما عرفت الذات في مقام التنزيه بسلب الصفات عنها، وليست الحركة هي وحدها الممتنعة عن الألف، وإنما النطق بها

---

[1] يراجع: المرجع السابق، ص:323، 322.
[2] عبد الباقي مفتاح، شروح تساعد على فهم الباب الثاني من الفتوحات، (مخطوط ملك صاحبه).
[3] ابن عربي، الفتوحات المكية، تح:عثمان يحي، (ط:2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.)، 260/1.
[4] يراجع المصدر نفسه، 270/1
[5] يراجع:خالد بلقاسم، الكتابة والتصوف عند ابن عربي، (ط:1، المغرب، دار توبقال للنشر، 2000م.)، ص:51.

أيضا، نظرا لكونها ساكنة، فلم يستقم النطق إلا (باسم الألف)، لا بالألف، فنطقنا يكون للهمزة بحركة الفتحة.[1]

وعند البحث عن الفرق بين الهمزة والألف عند ابن عربي نجده قد فصل في ذلك حين تحدث عن الحروف، حرفا حرفا، وأعطى كل واحدة منهما عنوانا خاصا، إذ يمكن أن نوجز كلا منهما مع ما له من خصائص وأسرار في جدول، كالآتي:

حرف الألف	حرف الهمزة
▪ الألف ليس حرفا عند من يعرف الحقائق، لكن العامة سمته حرفا. ▪ مقام الألف مقام الجمع، له من الأسماء اسم الله ومن الصفات القيومية[2]. ▪ له مجموع عالم الحروف ومراتبها، ليس فيها ولا خارجا عنها، نقطة الدائرة ومحيطها ومركب العوالم وبسيطها[3]. ▪ له من الحروف اللفظية[1]: الهمزة،	▪ الهمزة من الحروف التي من عالم الشهادة[4] والملكوت[5]. ▪ لها من المخارج أقصى الحلق. ▪ ليس لها مرتبة في العدد. ▪ لها من البسائط: الفاء، الميم، الزاي، الألف، الياء. ▪ لها من الحروف:الهاء والميم والزاي، والهاء في الوقف، والتاء بنقطتين من

[1] يراجع: المرجع السابق، ص:52، 51.

[2] يقارن ابن عربي (الألف)بالقطب من رجال المتصوفة، فالألف له مقام القطب بين الحروف، فكما أن القطب من المتصوفة له مقام الحياة القيومية، وهو مقام خاص، فكذلك الألف لأنهما يتميزان بسريان همتهما في جميع العالم، فالألف سار من كل وجه من وجه روحانيته، ومن حيث سريانه نفسا، من أقصى المخارج، الذي هو مبعث النفس إلى آخر المنافس، ويمتد في الهواء الخارج وأنت ساكت، وهو الذي يسمى الصدى، فتلك هي قيومية الألف، لا أنه واقف.، يراجع: الفتوحات المكية، 336/1، 335.

[3] كل الحروف تنحل إليه وتتركب منه، ولا ينحل هو إليها، يراجع الفتوحات، 336/1.، ففكرة أن الحروف مستمدة من حرف الألف فكرة قديمة. يراجع: ص:221 من البحث.

اللام، الفاء. ■ له من البسائط[2]: الزاي والميم والهاء، والفاء واللام والهمزة[3].	فوق في الوصل، والتنوين في القطع. ■ لها من الأسماء: الألف والواووالياء. ■ طبعها الحرارة واليبوسة وعنصرها النار[6]. ■ اختلفوا أهي حرف، أم نصف حرف في الحروف الرقمية. في التلفظ هي حرف عند الجميع[7].

[1] الحروف اللفظية للحرف هي الحروف المكونة لاسمه مباشرة، ف (ألف) تتألف من الحروف اللفظية الآتية: الهمزة، اللام، الفاء.أي: ء، ل، ف ، وصاد تتألف من : صاد، ألف، دال.

[4] ينقسم العالم عند المتصوفة إلى قسمين:أحدهما هو عالم الغيب والآخر عالم الشهادة، أما عالم الغيب فهو :"كل ما غاب عن الحس، ولم تجر العادة بأن يدرك بالحس" وهو من الحروف:الغين الصاد الكاف والخاء المعجمة والتاء باثنتين من فوق، والفاء والشين والهاء والثاء بثلاث، والحاء، اما عالم الشهادة"جرت العادة عندهم أن يدركوه بحواسهم، وهو ما بقي من الحروف"، يراجع: الفتوحات، 342/1، 341.

[5] الملكوت مرتبة من مراتب الحروف، ومعها الملك والجبروت، يراجع:الفتوحات، 343/1.

[2] يقول ابن عربي شارحا مفهو م البسائط عنده:" أما قولنا :بسائطه، فلسنا نريد بسائط شكل الحرف، مثلا الذي هو (ص)، وإنما نريد بسائط اللفظ الذي هو الكلمة الدالة عليه، وهو الاسم أوالتسمية، وهو قولك: صاد." الفتوحات، 350/1. ومعنى هذا الكلام ليس عينه معنى الحروف اللفظية، بل هناك فرق كبير، فالبسائط هي مجموع الحروف المكونة لأسماء الحروف اللفظية لحرف ما، أي إذا كان الحرف هو : ألف ستكون بسائطه كالتالي:

ألف

ء ل ف *وأسماء هذه الحروف.*

همزه لام فاء : أما مجموع أصوات هذه الأسماء فهو كالتالي:

هـ ، م ، ز، ه ل، ا، م ف ، ا ، ء

والبسائط هي الأصوات الواردة هنا دون تكرار: هـ، م، ز، ل، ف، ء. أما الصوت الذي يمثل هذا الحرف بينها فلا يعد منها لذلك لا تجد (ا) بينها. ومن خلالها تدرك أسماء الله وصفاته المتعلقة بهذا الحرف، وكل اسم أوصفة يجب أن يكون حرفه الأول واحد من هذه البسائط.

[3] يراجع:الفتوحات المكية، 296/1، 295.

[6] إن نشوء الكون له نظرية رضيها الكثير من الدارسين، كإخوان الصفاء، وهي فكرة تقول إن الكون ناتج من تفاعل أوتلاقح العناصر الربعة الموجودة بالطبيعة، وهي التراب والماء والنار والهواء، وهي نظرة نجدها في تيار الفلسفة الطبيعية اليوناني، أما بالنسبة لنشوء الأصوات فهؤلاء يؤكدون أن الأصوات تنتج من تفاعل وتلاقح العناصر الطبيعية، فمعرفة الأصوات يكون بمعرفة الطبائع الأربع، التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وكيف تمتزج معا، ويستحيل بعضها من بعض في الأزمان والمكان. يراجع:محمد أديوان، الصوت بين النظرين الفلسفي واللساني، (ط:1، الرباط، دار الأمان، 2006م.)، ص:47، 46.
فمصدر هذه المفاهيم غير عربي بالنسبة لابن عربي ولكنه كان مجالا واسعا خصبا جدا، حلق فيه بالحروف وفهمها على منواله.

[7] يراجع: الفتوحات المكية، 297/1، 296.

إن الحديث عن الحروف العربية وأسرارها عند المتصوفة معقد بشكل عام، ولكن يبقى دوما، تقديم ابن عربي لها وتفصيله فيها الأكثر تشعبا والأشد تداخلا، لذاك فقد اجتهد عشرات المهتمين لفك رموزه، منهم من استطاع ذلك وخفف غرابة تلك الأسرار[1].

يتزامن مع ابن عربي أبوالحسن الحرَّالي(ت:637هـ)، وقد أشار هذا الأخير للحروف وتحدث في معانيها، فالألف كانت عنده غير الهمزة، فالهمزة تحمل معنى الابتداء[2]، أما الألف فقد قال بأنها:"الحرف العلي الهاوي الذي لا منقطع له في ابتدائه، وإنما يبتدأ بها دونه منه، وهي الهمزة، ولا منقطع له في انتهائه وإنما يصمت عنه ويتحرك إليه ما سواه من الحروف ولا يتحرك هو إلى غيره، ومخرجه من هواء الصدر باطنا إلى متوسط هواء الحلق والفم ظاهرا"[3]، أما عن معناه عنده، فهو " القائم المحيط الغائب عن مقامه كنها، الحاضر معه وجودا...وهو الروح القائم في الجسم الذي لا يعرف ذو الروح كنهه ولا يفقد وجوده، وكذلك اعتباره في البشر الذي هو خليفة الله قائما على ما في السموات وما في الأرض، لا يعرفون كنهه، ولا يفقدون التسخير له، ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾[4]، وكذلك اعتباره في الكعبة التي جعلها الله قياما للناس ولا يعرفون كنهها، ولا يفقدون وجودها، ففي كل مكان قبلته﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾[5]، واستقراؤه في إضمار المتكلم في : أنا وكذلك استقراؤه في إفهام موقعه في الكلمة المشتقة لمعنى الفاعل، من نحو: آكل وشارب وضارب...ومواقع استقرائه في اللغة إفهاما للقيام كثيرة..نحوكلمة آل وأهل، فإن الآل قائمون يصلى عليهم، والأهل مطهرون معطوف عليهم..."[6].

---

[1] هناك اجتهادات كبيرة قدمها متخصصون ومهتمون، بموضوع ابن عربي من أجل تبسيط مفاهيمه، من هؤلاء، د سعاد الحكيم والشيخ عبد الباقي مفتاح..

[2] يراجع: تفهيم معاني الحروف، المسماة مواد الكلم في ألسنة جميع الأمم، ضمن : رسالتان في سر الحروف ومعانيها، تح: عبد الحميد صالح حمدان، (المكتبة الأزهرية للتراث، دت.)، ص:52.

[3] المصدر نفسه، ص: 37.

[4] سورة الجاثية، الآية: 13.

[5] سورة البقرة، الآية:144.

[6] الحرالي، تفهيم معاني الحروف، ضمن : رسالتان في الحروف ومعانيها، تح: صالح حمدان، ص: 37، 38.

وقد كان ابن البناء المراكشي(ت:721هـ) ممن تحدثوا عن الهمزة أيضا، فبعد أن وصف مخرجها وأكد أنها الأخيرة مخرجا من جهة الصدر، وأنها لم تجد لها صورة مكتوبة لأنها ترسم حسب نطقها مفتوحة أومضمومة أومكسورة، فهي إما ألف أو واو أوياء[1]. كما تحدث في معناها أيضا، إذ يرى المراكشي أن للحروف أحوالا تناسب أحوال الوجود، وبينهما ارتباط يستدل به، فمن ثم كانت الهمزة عنده تدل على الأصالة والمبادئ، فهي موصلة.[2]

كما نجد عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي(ت:832هـ)، قد أسهب في حديثه عن الألف أيضا.فالألف عنده أشرف من الباء ومقامه مقام الواحد بنفسه، لذلك فقد كان الألف ظاهرا بنفسه في كل حرف[3].

ويمكننا تفسير ظهو ر الألف بنفسه في كل حرف تطبيقيا، ذلك أن الألف في أصول الخط العربي هي قطر الدائرة التي يقاس بطولها وعرضها باقي الحروف رسما[4]، كأن نقول الباء هي ألف مبسوطة وترفع لحدود الدائرة قليلا من جانبيها قدر عرض الألف[5]

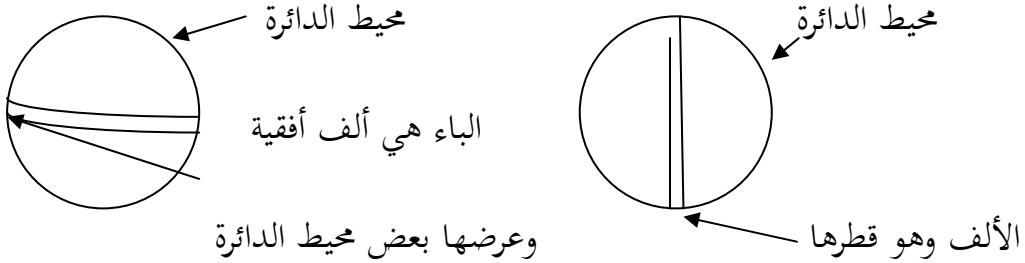

[1] يراجع: أحمد بن البناء المراكشي، عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل، تح:هند شلبي، (ط:1، بيروت، لبنان، دار المغرب الإسلامي، 1990م)، ص:32، 31.
[2] يراجع المصدر نفسه، ص:32.
[3] يراجع: عبد الكريم الجيلي، الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، (دط، دد، دت.)ص:14.
[4] يراجع، إخوان الصفاء رسائل اخوان الصفاء، 296/1، 294.
[5] يراجع: المصدر نفسه، 294/1.

لـذلك يـرى الجيلـي أن كـل الحـروف تتـألف أصـلا مـن النقطـة وهـي ذات دلالـة عظيمة عنده، والألف بذلك أصبحت في مقام النقطة لتركيب كل حرف منها، أي أن مقام الألف بجسمه هو مقام النقطة في بناء الحروف[1].

ثم يردف قائلا:"فالألف وإن كانت بقية الحروف المهملة مثله والنقطة ظاهرة فيها بذاتها لظهو رها في الألف، فله عليها الزيادة، لأنه ما بعد عن النقطة إلا بدرجة واحدة، لأن النقطتين إذا تركبتا صارت ألفا، فحدث الألف ببعد واحد هو الطول."[2]

ولأن الألـف أقرب إلى النقطة، والنقطة لا بعد لها، تكون نسبة الألف بين الأحرف المهملة نسبة محمد، صلى الله عليه وسلم، بين الأنبياء والورثة الكمل، ولهذا قدم الألف كما يرى الجيلي عن باقي الحروف.[3]

" ولما كانت الألفة مشتقة منه، ألَّف بين الحروف"[4]، فكل حرف وجد في هجائه الألف، رغـم ذلـك تعلقـت الحـروف بـه وهـو لم يتعلـق بشـيء مـن الحـروف بعـده، ويشـرح هـذا بقوله:"كذلك افتقر كل مخلوق إلى الله سبحانه وهو غني عن العالمين."[5]

والألف رغم تواجده في الأحرف الثمانية والعشرين فهو لا يتعدد بتعددها، لأن الألف في جملته واحد، وقد علق الجيلي هنا عن رأي بن عربي الذي اعتقد أن الألف ليس من الحروف لإدعائه أن الإنسان الكامل (محمد صلى الله عليه وسلم) ليس من جملة غيره من المخلوقات.[6]

ويتحدث أخيرا عن قيمة الألف عددا فيقول:"عدد الألف واحد، والواحد عدد لا من جملة الأعداد، لأن العدد اسم لتكرار الواحد من مرتبتين فصاعدا... فهو عدد الواحد لبعده

---

[1] يراجع: الجيلي، الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، ص:14.
[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3] يراجع المصدر نفسه، ص:15.
[4] المصدر نفسه، ص:20.
[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[6] المصدر نفسه، ص:22.

عن النقطة بعدا واحدا وهو الطول فقط، لأن النقطة ما لها طول ولا عرض ولا عمق ولا سمك وهو له الطول فقط فهو الخط المستقيم."[1]

تستمد الألف معانيها عند أهل التصوف غالبا بالاعتماد على وصف بنائها شكلا، فمنه وُجدت معانيهم وشُيدت أسرار هذا الحرف عندهم.وقد يبدو الفرق واضحا بين رأي اللغويين والمتصوفة حول الألف، إلا أنه بإمكان الباحث في مساحة غير هذه طرح أسباب هذا التباعد حينا والتقارب حينا آخر بينهم.

معاني الهـــاء (هـ) عند اللغويين والمتصوفة:

الهاء عدت عند القدامى حلقية، وعند المحدثين حنجرية[2]، أما معنى اسمها(الهاء) فهو : "لطمة في خد الظبي"[3]، وقيل "الهاء بياض في وجه الظبي"[4] وأيضا هي " اللهاة"[5].

يعتقد البعض أن للهاء صورتين نطقيتين، لذلك اختلف القدامى في موضعها بين الحروف الحلقية من حيث الترتيب، فأغلب اللغويين عدَّها أول صوت من جهة الصدر وقلة منهم عدُّوها بعد العين والحاء، وهذا الاختلاف يرجع إلى كيفية التلفظ بها، فمن أشبع صوتها وزاد في توترها وارتفاع نبرتها، يلاحظ أن مخرجها الصوتي يقع فعلا في أول الحلق، أما من خفت بصوتها ورقَّقه، فلا بد أن يلاحظ أن مخرجها يقع بعد حرفي العين والحاء[6].

وقد ربط حسن عباس تحديد مكان للهاء –كمخرج متفق عليه– بمعناها، إذ يرى أنه"إذا غلب على معاني المصادر التي تبدأ بالحرف طابع الشدة والفعالية، والاهتزاز، بما

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.
[2] يراجع، ص:197، 198 من البحث.
[3] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، تح:رمضان عبد التواب، ص:46.
[4] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، تح: رمضان عبد التواب، ص: 142.
[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[6] يراجع: حسن عباس، خصائص الحروف العربية، ص:191.

يتوافق مع صوته مشبعا مضغوطا عليه، عالي النبرة كان مخرجه في أول الحلق داخلا، أما إذا غلب على معانيها طابع الضعف والرقة والوهن، بما يتوافق مع صوته مخفوتا به مرققا، كان مخرجه بعد حرفي العين والحاء."[1]

وقد أبدل العرب الهمزة هاء، والهاء همزة، لتقاربهما في الدلالة كقولهم:(أراق وهراق)، و(لأنك ولهنك)، كما استخدموا في الاستفهام (أزيد؟)و(هزيد؟)، كما نجد الهاء في (هل) و(هلا)، وأكثر ورود الهاء للتنبيه والدلالة على الإشارة كما في (هذا)، (هؤلاء)، (هي)، (هو)[2].

وقد أشار أحمد فارس الشدياق لصوت الهاء، ووجده يحمل معاني الحمق والغفلة والرثاء، أي قلة الفطنة، نحو:أله وأمه، وبله والبوهة وتفه ووالتوه والدله والسبه وشده(دهش)، عنه، عله[3].

لكن العلايلي عندما تحسس معاني الحروف وجد الهاء تدل على التلاشي[4]، وقد لمح محمود شاكر معنى تعب النفس فيه، واستدل بـ: أه، أه وآه. على ذلك، ففي هذا الحرف الضعيف تمثيل لحركة التوجع مع إرسال النفس بريئا مع انهزام خصر المتوجع وانثناء صدره واستسلامه للضعف واسترخاء أعضائه وتكسر أجفانه عليه[5].

ويرى حسن عباس "أن صوت حرف الهاء باهتزازاته العميقة في باطن الحلق يوحي أول ما يوحي بالاضطرابات النفسية"[6]، ثم يحدد جنس الانفعال الذي يعبر عنه صوت الهاء فيقول:"إنَّ الإنسان المنفعل الذي يدخل في حالة يأس أوبؤس أوحزن أوضياع ولعارض مفاجئ، لا بد أن تنقبض معها نفسه، فينعكس ذلك على جملته العصبية وتبعا لذلك لا بد

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[2] يراجع:جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، 720/2.
[3] كتاب الساق على الساق فيما هو الفرياق، (دط، باريس، 1855م.)، ص:///
[4] يراجع: عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب، ص:211.
[5] يراجع: جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، 722/2.
[6] خصائص الحروف العربية، ص:192.

أن ينقبض لها بدنه بما في ذلك جوف الصدر وأنسجة الحلق، وهكذا عندما ينطلق النفس الهيجاني المشحون بمثل هذه الحالات النفسية من جوف الصدر إلى مخرج الهاء في جوف الحلق ليتحول إلى صوت، لا بد له أن يرتعش على شكل اهتزازات توحي بالحالة النفسية التي يتعرض لها صاحب هذا الصوت."[1]

لكنه جعل دلالات الهاء حسب أشكال نطقها فقد قسمها إلى أربع دلالات وهي:

- "إذا لفظ صوتها مشبعا مشددا عليه، أوحت بالاهتزازات المتوترة، بالاضطراب والسحق والقطع والكسر والتخريب.وهي هنا تصدر من أول الحلق داخلا قبل أي حرف آخر"[2] .
- "إذا لفظ صوت الهاء باهتزازات رخوة مضطربة، أوحى بمشاعر إنسانية من حزن ويأس وضياع وبما يحاكيها من الأصوات الرقيقة، ومخرجه في هذه الحال يكون بعد العين والحاء"[3].
- "وإذا لفظ صوتها مخففا مرققا مطموس الاهتزازات، أوحى بأرق العواطف الإنسانية وأملكها للنفس، فيكون مخرجه أيضا في أول الحلق، أقرب ما يكون من جوف الصدر"[4].
- "أما إذا لفظ صوتها بطريقة تهكمية(كوميدية) مخنخنا به ولو بصورة مضمرة، كان أوحى أصوات الدنيا بالاضطرابات النفسية، ومما يضحك من مظاهر الخبل والهتر والتشوهات العقلية والجسدية، ويكون مخرجه بعد العين والهاء."[5]

وقد تمكن حسن عباس من تفسير هذه الاختلافات الدلالية لصوت حرف الهاء، بموقع حدوثها شديد الحساسية، "ولذلك فإن الموقع الممتاز لمخرجها قد جعل

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[2] المرجع نفسه، ص:193.
[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

اهتزازتها الصوتية أكثر عرضة للتأثر المباشر بمختلف الانفعالات، التي تجيش في الصدر من حدة وقساوة أو حزن وأسى، أو تهكم وسخرية ورقة وشفافية."[1]

لقد كانت معاني صوت الهاء بمنظور اللغويين متعددة لكنها جميعها دارت حول معنى الضعف معنويا أوماديا، أما اعتقاد أهل التصوف فيها فباب آخر ننظر فيه الآن مع بعض أعلامه.

يرى ابن مسرة "أن الهاء إشارة إلى الذات، وهي خارجة من الصدر"[2]، و"الهاء هو الهباء وهي الحروف، وهي التي ألف منها الأشياء ...وقيل إنها جبريل وقيل إنها الروح التي تألفت الحروف به."[3]

كما نجد لأبي الحسن الحرَّالي، فهما آخر، فـ " الهاء معناه الباطن المجتمع لإظهار أمر ...، كما هو في الظهور والطهور والهرب والهم، وسائر الهويات المتوجهة هو يتها إلى ظاهرها."[4]ويبدوأن معنى الانتقال من الداخل المخفي إلى الخارج الظاهر هو المعنى العام للهاء عند الحرَّالي.

أما ابن عربي فقد خصص لها عنوانا ككل الحروف، قدمها من خلاله، إذ يقـــــول:" اعلم أن الهاء من حروف الغيب، لها من المخارج أقصى الحلق، ولها من العدد خمسة... ولها من العالم الملوكت... ولها من الطبقات الخاصة وخاصة الخاصة[5]، ... ويوجد منه بآخرها ما كان حارا رطبا وتحيله بعد ذلك إلى البرودة

---

[1] المرجع السابق، ص:194.
[2] رسالة الحروف، ص:322.
[3] المصدر نفسه، ص:324.
[4] تفهيم معاني الحروف، ضمن رسالتان في سر الحروف ومعانيها، ص: 49.
[5] قد قسم ابن عربي الحروف إلى طبقات، وذلك بناء على ذكرها في القرآن الكريم ببداية أوختام السور، أوبالآية﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾، ومن ثم وجدها طبقات كالآتي:

- عامة الحروف:، ليس لها من هذا الاختصاص القرآني حظ، وهي:الجيم، الضاد، الخاء، الذال، الغين، الشين.
- الطبقة الأولى من الخواص:وهي حروف السور المجهو لة:ألف، لام، ميم، صاد، راء، كاف، هاء، ياء، عين، طاء، حاء، قاف نون.
- الطبقة الثانية من الخاصة، خاصة الخاصة: كل حرف وقع في أول سورة من القرآن مجهو لة وغير مجهو لة، وهي: الألف، الياء الباء، السين، الكاف، الطاء، القاف، التاء، الواو، الصاد، الحاء، النون، اللام، الهاء، العين.

واليبوسة، ولها من الحركات المستقيمة والمعوجة[1]، وهي من حروف الأعـــــراف[2]، ولها الامتزاج[3] وهي من عالم الكوامل[4]، وهي من عالم الانفراد[5]، وطبعها البرودة واليبس والحرارة والرطوبة مثل عطارد، وعنصرها الأعظم التراب، وعنصرها الأقل الهواء، وله غاية الطريق.[6]"

كذلك نجد الجيلي حين شرح ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ﴾، تحدث عن الهاء فقال:" الهاء وهو بصر الله، دائرة الهاء تدل على إنسان غيبه المحيط الذي ينظر به جميع العالم، والعالم هو البياض الموجود في عين دائرة الهاء، وفي هذا تنبيه إلى أن العالم ليس له وجود إلا بنظر الله تعالى إليه، فلورفع نظره عن العالم لفني بأجمعه، كما أنه لولم تدر دائرة الهاء على النقطة البيضاء، لم يكن لها وجود البتة، ومع وجودها فهي باقية على ما كانت عليه من

- الطبقة الثالثة من الخواص، الخلاصة: وهي لحروف أواخر السور:النون، الميم، الراء، الباء، الدال، الزاي، الألف، الطاء، الياء، الواو، الهاء، الظاء، الثاء، اللام، الفاء، السين.
- الطبقة الرابعة من الخواص، صفاء الخلاصة:وهي حروف: بسم الله الرحمن الرحيم.
- الطبقة الخامسة، عين صفاء الخلاصة، : وذلك هو حرف الباء.

يراجع، الفتوحات المكية، 352/1، 356.

[1] لقد شرح ابن عربي الحركة وأنواعها عنده، فقال عن الحرف"حركته معوجة أومستقيمة أومنكوسة أوممتزجة أوأفقية، فأريد بالمستقيمة كل حرف حرك الهمة إلى جانب الحق خاصة...والحركة المنكوسة كل حرف حرك الهمة إلى الكون وأسراره، والحركة المعوجة وهي الأفقية، كل حرف حرك الهمة إلى معرفة أمرين مما ذكرت فصاعدا..."
الفتوحات المكية، 357/1.

[2] الأعراف واحد من أوجه الحروف أوحقيقتها، فكل فلك يدور تحدث عنه حروف، إما منقوطة من أعلى أوأسفل أوغير منقوطة، فإذا دار فلك المعارف حدثت عنه الحروف المنقوطة من فوق، ويعطي وجها وحقيقة هي: الخلق والأحوال والكرامات، وإذا دار فلك الأعمال حدثت عنه الحروف المنقوطة من أسفل وأعطى الحقائق والمقامات والمنازلات، أما فلك المشاهدة، إذا دار حدثت عنه الحروف اليابسة، والهاء منها، أي غير منقوطة، ويعطي دوران هذا الفلك البراءة من كل تلك الصفات، فهو مقام الأعراف =
= يراجع: الفتوحات المكية، 358/1، 357.

[3] الحروف عند ابن عربي خالصة أوممتزجة، فالخالص هو الموجود من عنصر واحد من عناصر الطبيعة، والممتزج هو الحرف الموجود من عنصرين فصاعدا.
يراجع: الفتوحات، 358/1.

[4] الكوامل من الحروف ما نتج عن تمام دورة فلكه، والناقص هو الحرف الذي وجد عن بعض دورة فلكه، كالواوفهو جزء من دوران فلك القاف، والزاي جزء من دوران فلك النون.
يراجع: الفتوحات، 358/1.

[5] الحروف منها مفرد ومنها مثنى ومنها مثلث ومنها مربع، ويعني ابن عربي بهذا رسمها، فقد يكون له شبيه رسما، وقد لا يكون، وقد يتعدد هذا الشبيه حتى يبلغ الأربعة، فمثلا: هـ، لا شبيه لها، وس وش متشابهان فهما مثنى، وج، ح، خ، تشكل مثلث، و:ب، ت، ث، يـ مربع، وهذا بناء على دورة الأفلاك...
يراجع الفتوحات، 359/1.

[6] تكون للحرف غاية الطريق إذا كان من حروف أواخر السور، والحروف التي تقع أول السور عند ابن عربي لها بداية الطريق...وإذا كان من العامة كان من وسط الطريق، لأن القرآن هو الصراط المستقيم وكل الحروف توزع على هذا الصراط.
يراجع:الفتوحات، 356/1.

العدم، إذ البياض الموجود قبل استدارة الهاء، الموجود بعده، وكذلك العالم مع الله على حالته التي كان عليها قبل أن يخلقه الله سبحانه"[1].

بهذا وجد حرف الهاء أيضا بين اللغويين والمتصوفة دلالات حري بها أن تدرس في عمل خاص.

معاني العين عند اللغويين والمتصوفة:

العين صوت من مخرج حلقي، وقد اتفق القدامى والمحدثون حول هذه التسمية مع اختلاف في تحديد مكانه بين باقي المخارج[2]، أمّا معنى اسم هذا الحرف فهو "سنام الإبل"[3]، وحمل أيضا معنى "الذهب"[4]، وكلا المعنيين أوردهما الخليل بن أحمد.

وقد وجد العلايلي في دلالة صوت العين معنى الخلو الباطن أوالخلو مطلقاً[5]. وسلَّم محمود شاكر بأنّ هذا الصّوت لا يصلح للاستفهام والتعجب لأنه صوت غير خالص بين الحلق والهواء الذي يلاقيه خارج الفمّ وفيه من الضغط والتعسر في المخرج وارتطامه ببعض أجزاء الفم قبل أن يبلغ الهواء الخارجي[6]. مايمنعه من أن يستمر ليحمل تلك المعاني.

أمّا صوت العين كما يصفه عباس "فهو يتشكل بتضيُّق مخرجه في أول الحلق على شكل حلقة ملساء، ومن ثمّ بتجميع ذبذبات النفس في بؤرة هذه الحلقة، وهكذا لا بدّ لصوته النّقيّ النّاصع أن يوحي بالفعالية والإشراق والظهور والسموّ"[7].

---

[1] الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، ص: 30.
[2] يراجع ص: 134، 135 من البحث.
[3] الخليل، الحروف، ضمن:ثلاث كتب في الحروف، ص : 441.
[4] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاث كتب في الحروف، ص 142 .
[5] عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب، ص 211 .
[6] يراجع: جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، 2/ 723.
[7] خصائص الحروف العربية، ص : 211.

والعين عنده صوت مميّز لأنه يجد فيه مزيجا من خصائص مجموعة أصوات، فهو يأخذ "من متانة اللام وتماسكه، وصفاء الصاد وصقله ونقاء النون وأناقته، ومن فخامة الضاد، وفعاليّة الزاي ومرونة الألف والواو والياء"[1].لذلك فقد تركه عباس آخر الحروف لما فيه من صعوبة لضبطه، ليجد أن الصفة الغالبة عليه هي : الشدة والفعالية أوالظهور والعلانية، كما حمل في بعض الأحيان معنى الصفاء والنقاء والضياء والسّمو.[2]

كما يؤكد عباس أنّ هذه النتائج التي توصل لها تثبت بأن العرب الأوائل قد لفظوا (العين) بحناجر بدويّة مرنانة وصوت ناصع مشبع ومفخم، لا يخلو من التكرار وذلك لتأمين التوافق بين إيحاءاته الصوتية وبين الشدّة والفعالية والظهور والعيانية التي رافقته على العموم في مسيرته الثقافية عبر التاريخ[3].

كما أنّ عباس لخص لنا كيفية حدوث العين بناء على ما يحمله صوتها من نصاعة يشهد بها المعنى الذي يحمله حضورها، فقد وجد صوت العين يحدث بالتحديد كالآتي :

1. تضييق أول الحلق من الدّاخل على شكل حلقة مجوفة ملساء الجوانب.
2. يندفع النفَس من جوف الصدر فيحتك بفوهة الحلق ويتوزع إلى ذبذبات هو ائية.
3. تتكيف فوهة الحلق مع هذه الذبذبات لتجميعها في محراق الفوهة، فيتحوّل إلى صوت صاف نقي ناصع، لا اهتزاز فيه ولا اضراب ولا صحل ولا رخاوة.

فصوت العين يتشكل في جوف الحلق وليس على صفحات غشائه، وذلك على مثال ما يتشكل صوت الصفير خارج الفم وليس على صفحات الشفتين، فهو يري أن العين صفير الحلق، والصفير هو عين الشفتين[4].

---

[1] المرجع السابق، ص 212.
[2] يراجع: المرجع نفسه، ص: 212، 224.
[3] يراجع: المرجع نفسه، ص:225.
[4] يراجع: المرجع نفسه، ص: 225، 226.

ولما للعين من نصاعة وصفاء ونقاء ومرونة ولكونه معجزة اللغات العروبية، إذ لا يتقنه إلا أبناؤها ومن تربوا بينهم من الشعوب والأمم، يري عباس أنه آن الأوان للاعتراف به الحرف المميز للعربية، وآن الأوان للضاد أن ينزل عن عرشه ويتركه له[1].

وقد أشار أيضا أحمد زرقة للعين قائلاً : "والعين العنعانة : وهي موجودة في العنين الطبيعي للمريض، وفي جنات عدن السهلة الخصبة التي تجري فيها الينابيع والعيون العذبة والمياه، وهي صوت فطري مؤاخية للألف المأخوذة من شكل العين باتفاق الباحثين"[2].

هكذا تنقل أهل اللغة بين معاني القوة والنصاعة والشدّة للعين، وقد أخذت عند المتصوفة متجها آخر نراه الآن مع آراء أهم أعلامهم.

والعين عند ابن مسرة هي "العلْم"[3]، ليأتي ابن عربي مفصلاً فيها قائلاً : "اعلم أنّ العين من عالم الشهادة والملكوت، وله من المخارج وسط الحلق، وله من عدد الجمل عقد السبعين، وله من البسائط، الياء والنون والألف والهمزة والواو وله من طبقات العالم الخاصّة وخاصّة الخاصّة"[4]، ويضيف: "ويوجد عنه كل حار ورطب، وله الحركات الأفقية، وهي المعوجة، وهو من حروف الأعراف، ومن الحروف الخالصة، وهو كامل، وهو من عالم الأنس الثنائي وله من الحروف الياء والنون"[5]

أمّا الحرَّالي فقد قال في العين :"معناه آية هادية كعين الشمس وعين الإنسان اللذين بهما يُهتدى لاجتلاب المنافع واجتناب المضار المحسوسة..."[6].

---

[1] يراجع: المرجع السابق، ص : 226.
[2] أسرار الحروف، ص: 125.
[3] يراجع: رسالة الحروف، ص:324.
[4] الفتوحات المكية، 298/1.
[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[6] تفهيم معاني الحروف، ص:48.

فحرف العين كما يتضح لنا لم يكن له مجال خصب في الحديث عند باقي أعلام المتصوفة الذين عرفناهم مع ما مر بنا من الحروف.

معاني الحاء عند اللغويين والمتصوفة:

الحاء كالعين عدّت حلقية عند القدامى والمحدثين مع اختلاف في تحديدهم حدود الحلق عضوياً[1].

ومعنى اسم هذا الحرف لغة "المرأة السليطة "[2] وفي رواية أخرى "الخنثى"[3]، أمّا معنى صوت الحاء فيرى الشدياق أنّ من خصائصه السّعة والانبساط[4]عموماً، وأورد العلايلي معنى التماسك البالغ لهذا الصّوت بالأخصّ في الخفيات، كما يدل عنده على المائية[5].

وقد وجد محمود شاكر في الحاء خفَّة وسهولة وسلامة، فهي تقترن بحشرجة حلوة لطيفة رقيقة تنسرب في تصويتها كأَهْدَإِ انسراب وأحنّه وألينه[6].

ونقف برهة عند العقاد الذي أولى الحاء عناية خاصّة بعد ما نبهه لذلك الشاعر رشيد سليم الخوري[7]، الذي وافقه في معنى الحاء، فهي تُصوّر معنى السعة بلفظها ووقعها في السمع[8]، لكن الخوري يعتقد أن العربية أولى بها أن تسمى لغة الحاء على أن تسمى لغة الضّاد[9].

ويبقى اعتناء حسن عباس بالحروف ودلالتها المساحة الأوسع، فقد وجدت الحاء عنده _ بدورها _ عناية فائقة، إذ يرى أن لها كيفيتين للنطق، لكل واحدة منها دلالة، فإذا "لفظ صوت الحاء مشدّداً مفخما عالي النبرة أوحي صوته بالحرارة، وبأصوات فيها شيء من الحدة

---

[1] يراجع ص: 132، 133 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاث كتب في الحروف، ص: 36
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاث كتب في الحروف، ص:142.
[4] يراجع: الساق على الساق فيما هو الفرياق، ص:1، 2.
[5] يراجع: عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب، ص : 210 .
[6] يراجع: جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، 727/2.
[7] ورد نص رشيد الخوري للعقاد في كتابه، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، (ط:6، دار المعارف، د ت .) ص:43.
[8] العقاد، أشتات مجتمعات، ص:45.
[9] يراجع: المرجع نفسه، ص:43.

وبمشاعر إنسانية لا تخلو من الحدة والانفعال. أمّا إذا لفظ صوته كما نلفظه اليوم بحناجر حضارية رخوة مرققا ومرخّماً أوحى لنا بملمس حريري ناعم دافئ، وبطعم بين الحلاوة والحموضة، وبرائحة ذكية ناعمة يطوف السمع فيه على مثال ما يطوف النظر في سفح معشب خضر تتلاعب بأزاهيره نسيمات الربيع"[1]. ويضيف على هذا قوله: "وهو بخفيف النَفَس أثناء خروج صوته من أعماق الحلق، يرفد اللسان العربي بأعذب أصوات الدنيا قاطبة، وأوحاها بمشاعر الحب والحنين"[2].

وقد وجد حسن عباس أن الحاء من خلال تواجدها في الكلمة أولا أووسطا أوآخراً تستطيع نقل معاني: الرقة والكياسة والجمال تارة، والقطع والقشر تارة أخرى[3]، ويؤكد العقّاد أيضا أنّ من الممكن أن يأخذ حرف الحاء دلالة معاكسة لمعناه إذا ما جاء بعده حرف يحمل معنى معاكسا له، فإذا جاءت الجيم أو الباء في حجْر وحَبْس بعد الحاء ساكنة تبين فيها تغيرات المعنى كليا إلى عكس السعة والانفتاح[4].

ويسمى أحمد زرقة الحاء بالحاسّة، من لفظ الحسّ الذي يحتوي الشيء المحسوس ومن أبرز صفاتها عنده أنها احتكاكية بسبب ما ينتج في الحلق عند النحنحة[5].

قد تراوح معنى الحاء عند اللغويين بين الرقة والخشونة، لكنه دوماً يأخذ منحى مغايراً شديد التعقيد عند المتصوفة، فلا يفهم كنهه إلا أهلها وأصحاب الفتح كما يشير لهذا دوماً شيخهم ابن عربي، لذلك نجد الحاء قد اتخذت دلالات أخرى عندهم.

فالحاء من الحروف الشريفة كما قال سهل التستري، ومن نورها اكتسبت باقي الحروف بهاء وجمالا[6].و"الحاء هو الحق، وهو الذي خلق السماوات والأرض" كما يرى ابن مسرة[7]،

---

[1] حسن عباس، خصائص الحروف العربية، ص: 182.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] يراجع: المرجع نفسه، ص:189.
[4] أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص:45.
[5] يراجع: أسرار الحروف، ص:124.
[6] رسالة الحروف، ص:370.
[7] رسالة الحروف، (ابن مسرة) ص:324.

أمّا الشيخ الأكبر (ابن عربي) فقد قال: "اعلم أن الحاء من عالم الغيب، وله من المخارج وسط الحلق، وله من العدد ثمانية، وله من البسائط: الألف والهمزة واللام والهاء والفاء والميم والزاي، وله من العالم، الملكوت[1]، وهو من الخاصّة وخاصّة الخاصّة، وظهور سلطانه في الجماد وعنصره الماء"[2]. ويكمل ابن عربي حديثه عن الحاء قائلا : "وله من الحركات المعوجَّة، وهو من حروف الأعراف، وهو خالص غير ممتزج، وهو كامل يرفع من اتصل به، هو من عالم الأُنس الثلاثي، وطبعه البرودة والرطوبة، وله من الحروف الألف والهمزة ... وله بداية الطريق"[3]

وفي الحاء قال الحرَّالي : "الحاء حصول كمال بيسر كالحياة والروح والحيّ اعتبارا واستقراء"[4].

فالحاء بهذا أخذت أبعادا متنوعة عند اللغويين والمتصوفة.

[1] قد رأينا أن ابن عربي قد قسم الحروف إلى عوالم نوجزها هاهنا، في جدول يوضحها حتى لا تشكل لبسا على القارئ، إذ يرى ابن عربي أن عالم الحروف أفصح العالم لساناً، وأوضحه بياناً وهم على أقسام، كأقسام العالم المعروف في العرف"وهي كالآتي:

العالـــــــــــــــــــــــــم :	حروفـــــــــــــــــــــــــــه:
عالم العظمة	لهاء، الهمزة.
عالم الملكوت	الحاء، الخاء، العين، الغين.
عالم الجبروت	التاء، الثاء، الجيم، الدال، الذال، الراء، الزاي، الظاء الكاف، اللام، النون، الصاد، الضاد، القاف، السين، الشين، الياء الصحيحة.
عالم الملك والشهادة	الباء، الميم، الواوالصحيحة.
العالم الممتزج بين عالم الشهادة والجبروت	الفاء.
عالم الامتزاج بين عالم الجبروت وعالم الملكوت	الكاف، القاف هو (امتزاج في المرتبة) ويمازجهم في الصفة الروحانية، الطاء، الظاء، الصاد والضاد.
عالم الامتزاج بين عالم العظمة والملكوت	وهو الحاء المهملة.
العالم الذي يشبه العالم منا الذين لا يتصفون بالدخول ولا بالخروج عنا.	الألف والياء والواوالمعتلتان.

يراجع:الفتوحات المكية، 260/1، 261.

[2] المصدر نفسه، 299/1.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] تفهيم معاني الحروف، ص:44.

معاني الخاء عند اللغويين والمتصوفة:

الخاء من الأصوات التي تغير وصف مخرجها من القديم إلى يومنا هذا، هذا من جانب وصف اللغويين، لها فقد كانت عند القدامى حلقية، وهي اليوم تركت الحلق لتوصف طبقية[1]، أمّا من حيث كيفية حدوثها فلا نجد ما يظهر التناقض بين الفريقين.

واسم الخاء يحمل معنى "شعر الأست"[2] أو"شعر العانة"[3] كما ورد عند الخليل، أمّا عن معنى هذا الصّوت فقد تلمس فيه ابن جني قدرته على التعبير على الرطوبة لما فيه من رخاوة، ووجد ذلك في معنى (الخضم)، لكن الخاء مع ذلك أشدّ قوّة من الحاء حين يقارن بينهما فتُختار هي للدلالة على دفع الماء القوي والحاء للدلالة على الماء الضعيف في النضح والنضخ[4]. وقد قال العلايلي بأن هذا الصوت "يدل على المطاوعة والانتشار وعلى التلاشي مطلقا"[5].

والخاء عند محمود شاكر صوت حلقي لكنه لا يصلح للاستفهام كالهمزة والهاء، فحاله حال العين والحاء والغين، لأنه في الحقيقة حرف غير خالص بين الحلق والهواء الذي تلاقيه خارج الفم، ولما فيه من التكلف والضغط والتعسر في المخرج، وارتطامه قبل الهواء ببعض أجزاء الفم عند مقطعها المميّز عن صداها، ويبين محمود شاكر أنّ الخاء من الأصوات التي تصلح للدلالة على نوع الصوت المراد تمثيله بها، أوتصوير الصوت مقرونا بالحركة التي تكون معه أوتلحقه من جرّاء ألم يدعو إلى هذه الحركة[6].

أما عباس فيرى أنّ إيحاءات صوت هذا الحرف تختلف باختلاف كيفية النطق به، فإذا لفظ صوته مخففا مرققا قريبا من جوف الحلق غير مخنخن به كانت إيحاءاته الصّوتية مزيجا من الأحاسيس اللّمسيّة: رخاوة ورقة وملمسا مخمليا فيه شيء من الدفء[7].

---

[1] يراجع ص:138، 139 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:36.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:141.
[4] الخصائص، 157/1، 158.
[5] مقدمة لدرس لغة العرب، ص: 210 .
[6] يراجع: جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، 2/ 723.
[7] يراجع: حسن عباس، خصائص الحروف العربية، ص: 174.

"أمّا إذا لفظ صوته بشيء من الشدّة والخنخنة، بعيداً عن جوف الحلق، أوحى بإحساس لمسي مخرش رخو، وبطعم يمجّه الذوق، ورائحة شميّة نتنة، وبإحساس بصري منشاري الشكل وسمعي مخرب للصوت، وبمشاعر إنسانية من الاشمئزاز والتقزز"[1]، حتى تعجب عباس كيف أنّ الرجل العربي قد خصّص هذا الحرف لمعاني الرداءة والخسة والقذارة والبشاعة في بنيانه اللغوي الفخم[2].

وقد جال عباس بالمعاجم ووجد أن هذا الحرف حيثما كان حمل معه تلك المعاني ومن ذلك : خبّ (خدع وغشّ)، خبث (فسد)، ختّ (خس وردؤ)، خرق(حمق)، بلخ (تكبر وجرؤ على الفجور)، طخّ(شرس وساء خلقه)، طنخ (اشتد سمنه)، بخع (تذلل)، لخي (أكثر من الكلم الباطل)[3].

لكنه وجد استثناءاً بعض المصادر تدل على الصّفاء والرقة عندما يرد الخاء مرققا ومنعماً، وهي لم تجاوز ثلاثة عشر مصدراً[4].

ومايزال الحديث عن الخاء حديثا يحمل معان سلبية بألوان قاتمة، ولا ندري لم يسميها أحمد زرقة الخاء الخافية رغم أنّه حين وصفها قال: " موجودة في خشخشة نبات الخشخاش، وصوت السلاح والخارجة من اقتراب اللسان نحو الحنك الرّخو ليحدث فيما يشبه شخير النّائم"[5]، وهو هنا يتحدث عنها من خلال مصادرها الصّوتية الطبيعية التي لا يجسدها اسم الخافية أبداً.

أمّا إذا ذهبنا إلى الخاء وأسرارها عند المتصوفة فإننا سنتوجه مباشرة إلى ابن عربي لأنّ من سبقه من المتصوفة ومن جاء بعده لم يولوا الخاء عناية كبيرة بين الحروف، فلا نجدها عند ابن مسرة ولا سهل التستري أوالجيلي أوالمراكشي، فقط الحرَّالي أشار لها.

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[2] يراجع: المرجع نفسه، ص:177.
[3] يراجع المرجع نفسه، ص:175، 179.
[4] يراجع: المرجع نفسه، ص:180.
[5] أسرار الحروف، ص: 125.

لكن ابن عربي فقد أعطاها القدر نفسه الذي أعطاه لباقي الحروف، لذلك نجده قد خصص لها عنواناً وفيه يقول: "اعلم أنّ الخاء من عالم الغيب والملكوت، مخرجه الحلق، مما يلي الفم، عدده ست مائة. بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي، يتميز في العامة، ظهو ر سلطانه في الجماد، طبع رأسه البرودة واليبوسة، والحرارة والرطوبة بقيّة جسده، عنصره الأعظم الهواء، والأقل التراب، يوجد عنه كل ما اجتمعت فيه الطبائع الأربع"[1]. ويواصل ابن عربي وصفه الخاء قائلا:"حركته معوجة، له الأحوال والخلق والكرامات، ممتزج، كامل، يدفع من اتّصل به على نفسه[2]، مثّلت مؤنس[3] له من الحروف : الهمزة والألف"[4].

وقد قال الحرَّالي: "الخاء: فيما يحصل من كمال عن عسر"[5]، بهذا يخصّ الخاء بمعنى كمال ولو بعد عسر لبلوغه، وكأنه يتابع كيفية حدوث الصّوت وينقل معناه مراعياً مراحل ذلك.

ولوقارنّا بين الحاء والخاء عنده لوجدناه جعل حصول الكمال عن يسر للحاء وحصوله عن عسر للخاء وكان الفعل الصوتي عند إنتاج هذين الصّوتين تفسير بالفعل للفرق بين المعنيين الذين خصصهما الحرَّالي للخاء والحاء.

---

[1] الفتوحات المكية، 301/1.

[2] يشرح ابن عربي معنى "يرفع من اتصل به" بقوله: "وأمّا قولنا يرفع من اتّصل به، فنريد كل حرف إذا وقفت على سرّه، ورزقت التحقق به والاتحاد، تميّزت في العالم العلوي."
الفتوحات358/1.

[3] المؤنس، هو الحرف الذي له دورة فلك أنست بأخرى، فالخاء مثلث أوهو رسم لحروف ثلاث وهي: (حـ، خـ، جـ)، فقد أنس الخاء بدورة أخواته الحروف المشابهة له.
يراجع الفتوحات 359/1.

[4] الفتوحات، 301/1.

[5] تفهيم معاني الحروف، ص:44.

معاني الغين عند اللغويين والمتصوفة:

الغين ذاك الصّوت الحلقي عند قدماء اللغويين، والطبقي عند المحدثين منهم[1]. وهو من حيث هيئة حدوثه واحد عندهما.

تحدث الخليل عن معنى اسمه فقال:"الغين: الإبل الواردة إلى الماء"[2]، وبلغنا أيضا معنى "الغيم" للغين بالإضافة إلى المعنى السابق[3]، وكذلك "العطش"[4]. وكل هذه المعاني حضر فيها الماء بشكل ما.

أمّا عن المعنى الذي يحمله صوت حرف الغين فقد قال العلايلي:"الغين يدل على كمال المعنى في الشيء"[5].

وقد كشف حسن عباس عن صورتين نطقيتين للغين يتبع كل واحدة منهما معناها الخاص، إذ يقول : "إنَّ صورته الصوتية وهو يدغدغ سقف الحلق عند خروجة، لهي أشبه ما تكون بدغدغة محسّة من حديد تزيل غباراً عالقا بجلد بعير، وإذا خفّف صوته قليلاً، كان أشبه بخفيف ممحاة من نسيج خشن تحكّ خطوطاً طباشيرية مرسومة على لوح أسود، ويتطاير الغبار"[6].

ويكمل وصفه قائلا: "فهذه هي حكاية حرف الغين: صورة صوتية يقابلها في الطبيعة صورة تمثيلية: اهتزاز واضطراب وبعثرة نفس في صوت الغين، ودغدغة محسّة أوممحاة، أوراحة كف خشنة، وغبار يتناثر في الهواء"[7].

---

[1] يراجع:ص: 141، 142 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص: 42.
[3] يراجع: الرازي، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص: 142.
[4] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[5] مقدمة لدرس لغة العرب، ص:211.
[6] خصائص الحروف العربية، ص: 126.
[7] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وقد كان للغين خصائص إيحائية قيّدها عباس فقط بغرغرة الموت والامحاء، فصوته عندما يخرج من فوّهة الحلق، إنّما يخرج مخرباً ممحو الألوان مجلببا بالسواد، وهكذا نسمع صوت هذا الحرف مثلما نرى الليل المظلم البهيم، هكذا إذن يرى حسن عباس إيحاء الغين[1].

وقد وجد المصادر العربية التي حوته تدل على الاضطراب والبعثرة أوتأتي محاكاة لصوته في الطبيعة أوبمعنى الظلام والسواد، والخفاء والستر والغياب، وبمعنى الغيبوبة الوجدانية والنفسية[2].

لكن أحمد زرقة يصف الغين بالغناء ولا تبدو هذه الصّفة متناسقة مع ما قدّمه عباس، وقد لاحظ ظهورها سماعيا في الغليان، وغرغرة الماء في الحلق[3]، واتفق مع نعيم علوية في طغيانها على غنّة الرضيع ما بين مخرج الزفير من الأنف ومخرجه في الفم[4]. وهي من الحروف الأصول المردودة إلى أصل الكلام حين تكون الأصوات الإنسانية غير واضحة[5].

وعندما ننظر في الغين عند المتصوفة بعدما رصدنا ملامحها عند اللغويين نجدها عند ابن عربي قد أخذت ككل الحروف عنوانا خاصاً يعرفها فيه، فقد جاء في تقديمه لها قوله: "اعلم... أنّ الغين من عالم الشهادة والملكوت، ومخرجه الحلق، أدنى ما يكون منه إلى الفم، عدده عندنا تسع مائة ... وبسائطه: الياء والنون والألف والهمزة والواو.. يتميّز في طبقة العامة، مرتبته الخامسة"[6]، ويواصل ضبط الغين بقوله: "طبعه البرودة والرطوبة، عنصره الماء، يوجد عن كل ما كان بارداً رطباً، حركته معوجة، له الخلق والأحوال والكرامات، خالص، كامل، مثنى، مؤنس، له من الحروف الياء والنون"[7].

وللحرالي وصف بدا وكأنه نقل لمعان سلبية لهذا الحرف، فقد وجد من معاني الغين ما يظهر في : "الغيب، معناه غيبُ آية هادية، ولذلك (الغين) يُكره في استقرائه في الكلم،

---

[1] يراجع المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[2] يراجع: المرجع نفسه، ص: 127، 129.
[3] يراجع: أسرار الحروف، ص: 125.
[4] يراجع: نعيم علوية، بحوث لسانية، بين نحو اللسان ونحو الفكر، (ط:2، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1986م) ص: 42، 93.
[5] أحمد زرقة، أسرار الحروف، ص:125.
[6] الفتوحات المكية، 300/1.
[7] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كالغمّ والغتّ والغباوة والغرارة والغفلة والغضب والغلب، ونحو ذلك"[1]. وكأننا بالحرَّالي هنا وجد بالغين معان صوفية تقارب كثيرا معناه اللغوي .

معاني القاف عند اللغويين والمتصوفة:

القاف صوت ذوحظ كبير بين اللغويين القدامى والمحدثين من حيث ضبط مخرج ثابت له، فهو عند الكل لهوي[2]، وقد حمل اسم هذا الحرف معنى:" الرجل المستغنى بين الرجال، والمستترى أيضا"[3]، وهو أيضا "الرجل المصلح بين القوم"[4] وجاء أيضا "القاف: الرقبة والقفا"[5].

أمّا عن معنى صوت حرف القاف فقد استشعر ابن جني القساوة فيه، وذلك ما فسر به (ق) القضم لليابس[6]، ويرى العلايلي أنه:"يدل على (المفاجأة) التي تحدث صوتاً"[7]. وكأنه ربط معنى القاف بمحاكاة الصّوت القوي، كما وجد محمود شاكر في القاف ثقلا على النطق والسمع معا[8].

أما عند حسن عباس فقد جمع بين أحاسيس لمسية من القساوة والصلابة والشدّة، وأحاسيس بصرية سمعية، من فقاعة تنفجر، أوفخارة تنكسر[9]. وبعد رصده هذا الصوت في المصادر العربية وجده يحمل بالفعل دلالة الأصوات تارة، وتارة ثانية يحمل معنى الشدة والقوة

---

[1] تفهيم معاني الحروف، ص:48.
[2] يراجع:ص:177، 178 من البحث.
[3] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:43.
[4] الرازي، كتاب الحروف، ص:142.
[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[6] يراجع: الخصائص، 157/2، 158.
[7] مقدمة لدرس لغة العرب، ص: 211 .
[8] يراجع: جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، 2/ 728.
[9] خصائص الحروف العربية، ص:144.

والفعالية، وثالثة معنى القطع والقشر والكسر، ورابعة يدل على اليبس والجفاف[1]. ووصفها أحمد زرقة بالقلقلة، حيث رآها مأخوذة من اشتداد الضّحك واضطرابه[2].

وننتقل به إلى المتصوفة حيث عدّه سهل بن عبد الله التستري من أشرف الحروف، ومن نور هذه الحروف الشريفة تكتسب باقي الحروف جمالا وبهاء[3].

وقال ابن مسرة في أسرار هذا الحرف ما يلي: "القاف: قدر الله، وقيل قلمه الذي كتب به الأشياء."[4]، كما قال فيها: "هي النفس الطبيعية المنبعثة السّارية من النفس الكبرى الفلكية نحوالأرض. وهي متعلقة ومتشبثة بالنسيم الحامل للأرض المطبقة بها، وهي النفس الجميلة التي أخذ منها كل ما وقع تحت فلك القمر من الحيوان المتنفس وغيره جزءاً، ومن النسيم جزءاً آخر. فصار ذلك الجزء من النفس مثلا لجسمه مع ذلك الجزء من النسيم وقوة له، مثالٌ ومكانٌ، والقاف هو القدرة، وهو المثال، ومرتبته تحت فلك القمر إلى مركز الأرض، ومنه انفصلت أقدار هذه المكونات، وأمثلتها وصورها التي تحت فلك القمر كلّها"[5]. وأكمل كلامه شارحاً العناصر التي تحت القمر وما بينها من علاقة وهي: الجسم والروح والنفس[6].

ثم نجد ابن عربي يقول : "اعلم ... أن القاف من عالم الشهادة والجبروت، مخرجه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك، عدده مائة، بسائطه: الألف والفاء والهمزة واللام، يتميز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة... آخره حار يابس، وسائره بارد رطب"[7]، ويضيف: "عنصره الماء والنّار، حركته ممتزجة، ممتزج، مؤنس، مثنى، له من الحروف: الألف والفاء"[8].

---

[1] يراجع: المرجع السابق، ص 144، 146.
[2] أسرار الحروف، ص:125.
[3] يراجع: رسالة الحروف، ص:370.
[4] رسالة الحروف، ص:324.
[5] ابن مسرة، رسالة الحروف، ص:342.
[6] يراجع: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[7] الفتوحات المكيّة، 302/1.
[8] المصدر نفسه، 303/1.

أمّا الحرَّالي فقد قال في القاف : "القاف: مَلَكَة بقوة وإحاطة، كما هو في لفظ القوة والقهر والفوق والقلم المؤثر في كل شيء، والقلب الممد لكل شيء... والقاف اسم الجبل المحيط بالدنيا"[1].

وبقدر ما كان اختلاف مذهب اللغويين والمتصوفة كبيراً، بقدر ما كان الاتفاق هذه المرة بارزاً في قوّة هذا الصوت عندهم جميعا.

معاني الكاف عند اللغويين والمتصوفة:

الكاف صوت مخرجه عند القدامى عند اللهاة ومعه القاف، أمّا حديثا فقد نسب للطبق بعد الغين والخاء[2]. أما اسم الكاف فمعناه "الرجل المصلح للأمور، والرجل العفيف"[3] وجاء أيضا "الكاف الوكيل"[4].

وقد حدد العلايلي معناه بقوله:"الكاف يدل عن الشيء ينتج من الشيء في احتكام"[5]، وأصل الكاف كما قال محمود شاكر في النطق صوت شيئين لينين بين بين، يزحم أحمدهما الآخر زحماً شديداً، لذلك فهو يحمل معنى الاحتكاك أويصوره، أويقارب صوته[6]. واستنتج عباس بعد استقصائه المصادر العربية أن حرف الكاف "إذا لفظ صوته ممطوطاً مخفوتاً به قليلا ومضغوطا عليه بعض الشيء، يحاكي صوت احتكاك الخشب بالخشب... وصوته في هذه الحال يوحي بشيء من الخشونة والحرارة والقوة والفعالية.. أمّا إذا لفظ بصوت عالي النبرة وبشيء من التفخيم والتجويف، فإنه يوحي بالضخامة والامتلاء والتجميع"[7].

---

[1] تفهيم معاني الحروف، ص:49.
[2] يراجع :ص:182 من البحث .
[3] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:43.
[4] الرازي، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص: 142.
[5] مقدمة لدرس لغة العرب، ص:211.
[6] يراجع: جمهرة مقالات الدكتور محمود محمد شاكر، ص:729.
[7] خصائص الحروف العربية، ص:70.

كذلك أشار له أحمد زرقة بقوله: "الكاف الكافّة"[1]، وفيه وجد معنى الجمع بين الشيئين والكينونة والسّكون والاستقرار[2].

أمّا عند المتصوفة فابن مسرة مثلا لم يفصل الكاف عن النون لتعلقهما ببعضهما البعض في أمره تعالى "كن"، فلهذا اللفظ دلالة خاصة جداً، لذلك نجده يقول:"والكاف والنون هو "الكن"، وهو الأمر الذي أظهر به الله جميع الأشياء"[3]، لكن ابن عربي خصص له كغيره من الحروف عنوانا فقال فيه: "اعلم... أن الكاف من عالم الغيب والجبروت، له من المخارج مخرج القاف... إلا أنه أسفل منه، عدده عشرون، بسائطه: الألف والفاء والهمزة واللام... يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة .. عنصره الماء، طبعه الحرارة واليبوسة، مقامه البداية، حركته ممتزجة هو من الأعراف، خالص، كامل، يرفع من اتّصل به عند أهل الأنوار، مفرد، موحش له من الحروف ما للقاف"[4].

وللحرالي في الكاف قول ثان: " فالكاف معناه الكافي والمكَفّى .. المكَوّن"[5].

وكأن معاني الكاف عند اللغويين والمتصوفة اتفقت في بعض الأمور، فحين قال العلايلي: "الكاف يدل عن الشيء ينتج عن الشيء في احتكام"، كان معناه يقترب مما قاله قبل قرون ابن مسرة عن معنى الكن الموجودة في الكاف، أي أن فيه الأمر الذي أظهر الله به جميع الأشياء بالاحتكام الذي وصفه العلايلي أيضا.

وهو في الوقت نفسه يحمل مقام البداية عند بن عربي، وهذه البداية يدل عليها تواجده في أوائل بعض السور التي تبتدئ بالحروف الخاصّة، وهو أيضا من الحروف الفرديّة التي لا يشاركها في الرسم حرف آخر.

---

[1] أسرار الحروف، ص: 125.
[2] يراجع: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3] رسالة الحروف، ص:323، 324.
[4] الفتوحات المكية، 303/1.
[5] تفهيم معاني الحروف، ص: 46.

معاني الضاد عند اللغويين والمتصوفة:

الضاد كان ومازال أوفر الحروف العربية حظا بالدراسة، وتحديد مخرجه اختلف فيه بين القدامى والمحدثين[1]، كما حدث مع حروف أخرى، لكن سبب ذلك مع الضاد أعقد، كونه يواجه مشكل اختلاف في نطقه بين العرب، قال بن الجزري : "الضاد انفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة، وقلّ من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لاماً مفخمة، ومنهم من يشتبه بالزاي وكل ذلك لا يجوز"[2].

أمّا اسم هذا الحرف فقد قال في معناه الخليل :" الضاد: الهدهد إذا رفع رأسه وصاح"[3]، وجاء أيضا : "الضاد: صوت المنخل"[4].

والعلايلي قال في معنى صوت الضاد:"الغلبة تحت الثقل"[5]، وحين أراد حسن عباس البحث في معانيه واجه مشكل كيفيات نطق هذا الصّوت المختلفة، فقد كان بحثه في المصادر العربية عن دلالة هذا الصوت بحاجة إلى أن يستقر بنهاية الأمر على نسق واحد لنطقها، يقول عباس: "إذا لفظت الضاد مفخمة شديدة الانفجار كما في سورية كانت تفخيما للدال، لتصبح بذلك أعلى منه نبرة وأملأ صوتا وأكثر تلونا بإيحاءاته الصّوتية، وصوت الضاد في حالة التفخيم والتشديد يوحي بالصّلابة والشّدة والدفء كأحاسيس، لمسية، وبالفخامة والضخامة والامتلاء كأحاسيس بصرية، وبالضجيج كإحساس سمعي، وبالشهامة والرجولة والنخوة كمشاعر إنسانية"[6].

---

[1] يراجع ص: 168، 169 من البحث.
[2] النشر في القراءات العشر، 178/1.
[3] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 40.
[4] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف ص:142.
[5] مقدمة لدرس لغة العرب، ص:211 .
[6] خصائص الحروف العربية، ص: 115.

ويواصل عباس وصفه:"وإذا لُفظت بما يشبه الدال المرققة كما في مصر كانت ضاداً مخففة بنطقها وخصائصها الصوتية، وبذلك تكون أقل إيحاء بالشدة والقساوة من الدال ذاتها، ولا ما يوحي بالفخامة والضخامة والضجيج، ولا بأية مشاعر إنسانية"[1].

وبعد دراسة عباس للمصادر التي بها حرف الضاد توصل إلى أنَّ "جميع المصادر التي شاركت الضاد في تراكيبها في مختلف المواقع منها، يتضح أن معظم معانيها يتوافق مع الخصائص الصوتية للضاد المفخمة لا المرققة، فمعظم المصادر التي تدل معانيها على الشدة والضخامة والامتلاء والصلابة والنضارة والأصوات والمشاعر الإنسانية، لا تقبل الضاد المصرية قطعاً، وذلك للتعارض الكائن بين موحيات صوتها وبين تلك المعاني"[2]، وقد وجد عباس بالأخير أنَّ الضاد السورية هي الأصل وهي الأنسب نطقا للمعاني التي تحملها المصادر التي بها ضاد[3].

وقد حدد أحمد زرقة للضاد صفة "الضجيجيّة"، وهي عنده النظير المفخم للدّال[4]، كما أشار إلى اختلاف المعنى بين تواجد الضاد أول الكلمة أوبآخرها، فـ "المرض" خمود وضعف، و"ضرم" قوة واشتغال، ومن يعارضك (عارض) في موقف ضدّ من يضارعك (ضارع) أي يشابهك[5]، وهكذا كانت معاني الكاف عند اللغويين.

ولننظر كيف كانت أسرار هذا الحرف عند المتصوفة، متجهين مباشرة إلى ابن عربي، لأن من سبقه لم يعط الضاد اهتماما يرصد، يقول ابن عربي :" اعلم ... أنّ الضاد المعجمة من حروف الشهادة والجبروت ومخرجه من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، عدده تسعون عندنا ... بسائطه: الألف والدال اليابسة والهمزة واللام والفاء ... يتميز في العامة،

---

[1] المرجع السابق، ص:155، 156.
[2] المرجع نفسه، ص: 159.
[3] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[4] يراجع: أسرار الحروف، ص:128.
[5] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

له وسط الطّريق، مرتبته الخامسة..."[1] ويردف قائلا : "طبعه البرودة والرطوبة، عنصره الماء، حركته ممتزجة، له الخلق والأحوال والكرامات، خالص، كامل، مثنّى، مؤنس، له من الحروف الألف والدّال"[2].

وفي الحين نفسه كان الحرَّالي يقول بأن الضاد معناه مطابقة بين الخُلُق والأمر، لكنها بسوء، كصدق المقر بذنبه، والضرُّ عليه كموقعه في كلمة الضيم والضلال والمضض والضعف والضمر والضرب [3]...

يبدوجليا الفرق بين ما برز عند الحرَّالي من معنى للضاد ومع ما حملته معاني عباس لها، ولكننا نجد بين قول العلايلي :"الغلبة تحت الثقل" ومعنى الحرَّالي قرابة في فهمها للحرف رغم أن وجهة كل منهما تختلف عن الثاني.

---

[1] الفتوحات المكية 304/1.
[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3] يراجع: تفهيم معاني الحروف، ص:47.

معاني الشين عند اللغويين والمتصوفة:

الشين ذاك الصّوت الشجري عند القدامى والغاري عند المحدثين[1]، هو من الأصوات التي اختلف فقط في تسمية مخرجها، أمّا من حيث مكان حدوثها وصفاتها فهي من الأصوات المستقرة بين اللغويين قديما وحديثا.

اسم الشين معناه : "الرجل كثير النكاح"[2] و"الشين التفاح"[3] أيضا، أمّا صوته فقد وجده العلايلي : "يدل على التفشي بغير نظام"[4]، كذلك كانت معاني الشين عند محمود شاكر تمثّل "صوت الحركة الخفيفة التي تكون كأنها من احتكاك الثوب القشيب، أوصوت وقوع الرش الخفيف من المطر، أوصوت خفيف الورق الأثيث على أشجاره إذا فيّأه النسيم المتروّح، ويمثل أيضاً صوت الضاحك إذا قذَف نفَسَه بضحكة خفيفة لا تبلغ القهقهة، مع انفراج الشفتين واستعلاء الشفة العليا"[5]. أما حسن عباس فيرى أنّ "بعثرة النفَس أثناء خروج صوت هذا الحرف يماثل الأحداث التي تتم فيها البعثرة والانتشار والتخليط، كما أنّ طريقة النّطق بصوته المبدّد للنفس بين شفاه مكشرة ... كانت أصلح ما تكون للتعبير عن توافه الأشياء والأمور، أمّا صوته فهو يوحي بإحساس لمسي بين الجفاف والتقبض"[6]، وقد أكد بحثه في المصادر العربية هذا الاعتقاد في معنى الشين، مع وجود استثناء بسيط لم تتجاوز تكرارته بضعه عشر مصدراً، وفيها كان للشين معنى الرقة والشفافية دونما كشرة[7].

وقد وصف أحمد زرقة الشين بالشجرية وهو لا يقصد هنا مخرجها بل مفهو م الاتساع والتشعب فيها وقد وجد معناها يجتمع بين معنيين متضادين أحدهما يتضح في معنى

---

[1] يراجع: ص: 162، 163 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:39.
[3] الرازي، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:142.
[4] مقدمة لدرس لغة العرب، ص:210.
[5] جمهرة مقالات الدكتور محمود محمد شاكر، 730/2.
[6] خصائص الحروف العربية، ص:115
[7] المرجع نفسه، ص: 119.

التطاير والثاني في صوت جمع سوق النبات، من خلال كلمتي شعشع وعشعش كشف أحمد زرقة هذه المعاني[1].

وعندما نتجه إلى أعلام التصوّف نجدهم قد قالوا في أسرار حرف الشين مايلي :

يقول ابن عربي: "اعلم ... أنّ الشين من عالم الغيب والجبروت، الأوسط منه، مخرجه مخرج الجيم، عدده عندنا ألف، بسائطه الياء والنون والألف والهمزة والواو، يتميّز في العامة، له وسط الطريق، طبعه بارد رطب، عنصره الماء، يوجد عنه ما يُشاكل طبعه، حركته ممتزجة، كامل، خالص، مثنى، مؤنس ... له من الحروف الياء والنون، له الخلق والأحوال والكرامات"[2].

ويرى الحرَّالي في الشين معاني الجنون والاشتغال التي تزداد إذا رافقه حرف يناسبه في معناه[3].

تحول دلالات الشين عند اللغويين بساحة غير الساحة التي جالت بها معانيه عند أهل التّصوف، لكننا وجدنا عند الحرَّالي بعض معاني الانتشار الناتجة عن الاشتغال مثلا.

---

[1] أسرار الحروف، ص : 126.
[2] الفتوحات المكية، 305/1، 306.
[3] تفهيم معاني الحروف، ص:49.

معاني الجيم عند اللغويين والمتصوفة:

الجيم حاله حال الضّاد بين العرب، فهو صوت تغيرت كيفيات نطقه من القديم إلى يومنا هذا، وهو من الأصوات التي وجدت إشكالية في ضبط صفاتها وليس في مخرجها[1]، أما اسمه فقد حمل معنى "الجمل القوي"[2] وقيل "الجمل المغتلم"[3] وقيل "سرادق البيت"[4]، ومعنى صوت الجيم كان عند العلايلي "يدل على العِظم مطلقا"[5].

لكن الجيم – كما وصفناها في فصلنا الثاني – معقّدة الحدوث، ولها صور نطقية تتجسَّد عند أغلب الدارسين في نموذجين، وهما "الجيم الشامية المعطَّشة" و"الجيم القاهرية الشَّديدة"، وقد واجه الفصل في أيّهما الأصل مشكلا كبيراً، يقول بروكلمان: "احتفظت العربية القديمة في الغالب، بالأصوات الأصلية، غير أنّ صوت الجيم (g) الذي لا يزال يحتفظ بنطقه القديم في اللهجة التي يُتكلم الآن بها في مصر، قد تحول في العربية القديمة، كما في معظم اللهجات الحديثة، إلى صوت مغور (monillient) مركب من جزئين، أحدهما شديد والآخر رخو وهو : ğ (dž) "[6].

وقد وجد محمود شاكر أن "الجيم أحبس وأقسى وأغلظ صوتا من الشين، واللسان بها أشد ضغطا للهواء في غار الحنك الأعلى، وصوتها جاف على السمع ظامئ لا ماء فيه ولا قطر له ولا همس يأتي من قبله، لذلك دخلت مع الشين في بعض معانيها، وخرجت من

---

[1] يراجع: ص: 127، 128 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:35.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:141.
[4] المصدر نفسه، ص:142.
[5] مقدمة لدرس لغة العرب، ص: 210.
[6] فقه اللغات السامية، تر: رمضان عبد التواب، (السعودية: جامعة الرياض، 1977م.)، ص:48.

بعضها الآخر، بما أخرجها من الميزة التي مازتها عنها في مستقبل السمع"[1]، وأكّد محمود شاكر أن الجيم دالة على حكاية الصّوت العالي.[2]

وعندما رغب حسن عباس في البحث في معاني صوت الجيم وجد نفسه أمام ضرورة وصف الجيمين ؛ الشامية والقاهرية والبحث في معنى كل منهما، فيقول ضابطا الجيم الشامية المعَطَّشة :"نظراً لشدة تدافع النّفس أثناء خروج الجيم الشامية، وما يحدثه من ارتجاج في مساحة واسعة من سقف الحنك كان لابد أن تتنوع إيحاءاته الصوتية، فالجيم الشامية المعطّشة توحي بالشدة والقوة والدفء والمتانة كأحاسيس لمسية، وبطعم الدُّسم ورائحته كأحاسيس شمّيَّة، أما إيحاءاتها البصريّة فهي تترد بين الفخامة والعِظم والامتلاء، لتقتصر إيحاءاتها السمعية على شيء من الفَجاجة"[3].

أمّا عن الجيم القاهرية فقد قال:"صوتها الانفجاري يوحي بالقساوة والصلابة والحرارة والخشونة كأحاسيس لمسيّة، وبما يدل على أصوات مزيجة من الحدّة والانفجار كأحاسيس سمعية، ولا إيحاءات أخرى في صوتها، حسية أوشعورية"[4].

وبعد جولة منه بالمصادر العربية التي حَوَت هذا الصوت بأولها أووسطها أوآخرها توصَّل إلى "أن الجيم الشامية هي الأصل، وأن القاهرية ما هي إلاّ لهجة بدوية لاحقة، ربما اقتضتها قساوة البداوة وشظف العيش".

ويصف أحمد زرقة حرف الجيم بقوله "الجيم الجليلة". وقد وجد الجيم مسموعة في الأصوات القوية والحركة العظيمة، الحادثة عن صوت حاد يختلط بفرقعة الرطوبة الشديدة

---

[1] جمهرة مقالات الدكتور محمود محمد شاكر، 730/2.
[2] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] خصائص الحروف العربية، ص: 105.
[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

اللزوجة[1]، وكأن أحمد زرقة هنا يصف الوسط الذي تنتج فيه الجيم بالفم مشبها إيّاه بالطبيعة الخارجية.

أمّا عن حال هذاأسرار الحرف عند المتصوفة فقد وجدنا ابن عربي كما عهدناه مع باقي الحروف أوكل لها عنوانا خاصا قال فيه: "اعلم ... أن الجيم من عالم الشهادة والجبروت، ومخرجه من وسط اللسان، بينه وبين الحنك، عدده ثلاثة، بسائطه : الياء والميم، الألف والهمزة، يتميز في العامة، له وسط الطريق، جسده بارد يابس، رأسه حار يابس، طبعه البرودة والحرارة واليبوسة، عنصره الأعظم التراب، والأقل النّار، يوجد عنه ما يشاكل طبعه، حركته معوجة"[2].

ويواصل ابن عربي حديثه عن الجيم قائلا:"له الحقائق والمقامات والمنازلات، ممتزج، كامل، يرفع من اتّصل به، مثلّث، مؤنس... له من الحروف: الياء والميم"[3].

أمّا الحرَّالي فكثيراً ما نجده لا يبتعد عن المعاني اللغوية لصوت الحرف، لذا فقد قال في الجيم: "معناه الجمع والإجمال ..."[4].

ويبقى الجيم من الأصوات التي تحتاج إلى دراسة منفردة تزاوج بين جانبه اللغوي والصوفي.

---

[1] أسرار الحروف، ص:126.
[2] الفتوحات المكية، 305/1.
[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[4] تفيهم معاني الحروف، ص:44.

معاني صوت الياء عند اللغويين والمتصوفة:

الياء ذلك الصوت الشجري عند القدامى والغاري عند المحدثين[1]، وجد عناية كبيرة من اللّغويين لأن هذا الرمز (ي) خُصَّ بجنسين من الأصوات، أحدهما ما نسميه الصامت والثاني ما نسميه الصائت، ولنَحُل هذه الإشكالية هنا ونحدد لأنفسنا صورة واحدة نُعنى بها من حيث معناها في عنصرنا هذا، نورد ما أورده كمال بشر، حين قال بأن الياء _ وكذلك الواو_ يبقى مخرجها كما هو، ساكنة كانت أومتحركة وإنّما الذي يتغير هو سلوكها، فالمتحركة تكتسب قوّة أكبر، إذْ يمكن أن تكون مثل الحروف الصحيحة، وهي كذلك فعلاً، من أجل ذلك لم يصوِّر العرب لهذا الحرف صورتين مختلفتين، فقد اشتمل على إمكانيتين المصوّت والصّامت.[2]

أي أننا الآن عند تحدُّثنا عن معنى هذا الاسم ودلالة صوته فنحن سنتعامل معه على أساس الأصل فيه وهو كونه نصف حركة، فمن المؤكد أن نطق صوت الياء الصامت يشبه نطق صوته حركة إلى حد ما، والتفريق بينهما بين اللغويين وظيفي وليس نطقيا[3] .

فاسم الياء معناه "الناحية"[4]، وقيل :"حكاية الصّوت"[5]، أما صوتها فيدلّ "على الانفعال المؤثر في البواطن" كما وصفه العلايلي[6].

وقد وجد حسن عباس في الياء معنى العمق أوالحُفَر بكل أشكالها، فحين كانت الياء بأول الكلام كان صوتها يبدو"كأنّه يصعد من حفرة بشيء من المشقة والجهد لذلك قلَّت

---

[1] يراجع، ص : 119، 120 من البحث.
[2] يراجع: دراسات في علم اللغة، ص:99، 100.
[3] يراجع: المرجع نفسه، ص:92.
[4] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 47.
[5] الرازي، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص: 142.
[6] مقدمة لدرس لغة العرب، ص: 211 .

الأفعال التي تبدأ بهذا الحرف"[1]، أمّا إذا كانت متحركة بالفتح وما قبلها فتحة أخذ صوت الياء صوت المطب الهوائي الصغير، يعترض مسار طائرة: طَيَران ... حَيَدان، غثَيَان... أمّا إذا كانت الياء ساكنة وما قبلها متحرك بالفتح، فإنّ صوتها يأخذ صورة الحفرة أو حفنة اليد. وهو يصلح أن يكون مقراً للمعنى، على مثال ما تصلح الحفرة على سطح الأرض أوفي باطن اليد أن تكون مقراً أو مستقراً للماء أو الأشياء: بيْت، عيْب، سيْل، عيْن، ديْن، غيْظ، ليْل، فيْض"[2]، ويواصل عباس تفصيله: "وإذا تحرك ما قبل الياء الساكنة بالكسر، فإنها تعطينا صورة الحفرة العميقة والوادي السحيق: كريم، فهيم، فقيه، نبيّ... لتشفّ لنا الياء في هذه الحالة عمّا في صميم الإنسان أوالأشياء من الخصائص المتأصلة فيها ... "[3].

ويرى عباس أنَّ الياء قد توافقت وظائفها الصرفيّة مع خصائصها الصوتيّة، كما يشير إلى أنه لولا واقعة التمويج في أصواتها لكانت خلُوّا من أَيّ إحساس على الإطلاق[4].

ويؤكد أحمد زرقة المعاني التي أوصلها لنا عباس عن الياء، ليقول: "من صفاتها الانخفاض واللين...وهي مُدركة في اليأس...واليافوخ، الجزء المتحرك من رأس الطفل، (هو منخفض لأنه لا عظم فيه في الصّغر)"[5]، وقد وصفها بالياء اليابسة[6]. وكأنه يصف حال الفك الأسفل ويُبْسَه عن الحركة، والضغط عليه، ليَثْبُت على الانخفاض عند إنتاجها.

لكن الياء عند المتصوفة ذات أسرار غير التي ذكرنا، فسهل التستري قال : "والياء هي القوة الطبيعية وهي جارية بأنقص الحركات الذي هو الخفض، ولها من القوى: الناشِقة والماسِكة والمخيِّلة والدافِعة والقاسِمة والعادِية والمصوِّرة والمولِّدة، فهذه القوى يُفعل بها الذي يُفعل فيها، وهي : الحر والبرد واليبس والرطوبة."[7]

---

[1] خصائص الحروف العربية، ص : 99.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[4] يراجع : المرجع نفسه، ص: 100.
[5] أسرار الحروف، ص: 126.
[6] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[7] رسالة الحروف، ص: 369.

أمّا ابن مسرة فالياء عنده تمثل النفس النباتية وهي تجسّد حال السجود متى قورنت مع الألف القائمة والواو المنحنية، فكل ماله نفس نباتية ساجد في هيئته لأنّ رأسه ممّا يلي الأرض فقط، كالنبات كلّه، كما أن الياء أخفض الحروف الثلاثة عنده، لأنّها انتهت إلى الوسط[1].

أمّا ابن عربي فقد قال:"اعلم ... أنّ الياء من عالم الشّهادة والجبروت، مخرجه مخرج الشين، عدده : العشرة، بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي.. يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة، له الغاية، عنصره الأعظم، النار، والأقل الماء، حركته ممتزجة، له الحقائق والمقامات والمنازلات، ممتزج، كامل، رباعي، مؤنس، له من الحروف: الألف والهمزة"[2].

ويذهب ابن البناء المراكشي إلى أن "الياء تدل على البطون فهي مخصّصة لأنّها عن رقة الصّوت وانخفاضة في باطن الفمّ"[3].

أما الحرَّالي فعنده"الياء معناه قائم، ملطِّف، متنزّل مع كل مقام، كما هو محمد صلى الله عليه وسلم، ولِما في قلبه من الرحمة، ولسانه من البيان الموفى كان يس اسمه، ولِما في الإضافة من العطف والرفق كان الياء اسم المضيف إلى نفسه في نحو قول العلي: يا عبادي، وبي يسمع، وبي يبصر ..."[4].

وكأنّ الحرَّالي قد ضمَّ معاني إنسانية سامية من لطف ورحمة لم يجدها لغوي كعباس حين حاول الاقتراب من معاني صوت الياء.

---

[1] يراجع: رسالة الحروف، ص:322، 323.
[2] الفتوحات المكيّة، 306/1، 307.
[3] عنوان الدليل من مرسوم خطّ التنزيل، ص:32.
[4] تفهيم معاني الحروف، ص:50.

معاني اللام عند اللغويين والمتصوفة:

اللاّم من الحروف المستقرّ حالها عند اللغويين القدامى والمحدثين، عدا مسألة ضبطهم اسما لمخرجها، فقد اختلفوا فيها[1].

واسم هذا الحرف معناه "الشَّجر إذا اخضرّ"[2]، وقيل "الشجرة المثمرة"[3] وقيل أيضا "الدّرع"[4]، أمّا معنى صوته فقد كان عند العلايلي : "الانطباع بالشيء بعد تكلُّفه"[5]، ولقد أعطى محمود شاكر اللام معنى محاكاة الصّوت، وقال مبرراً ذلك: "ألا ترى أنّ صوت اللام _ إذا حقَّقته _ شبيه بالجرس الذي تسمعه من اصطدام شيء لين بعض اللين بشيء من مثله، فيفرغ سمعك إليه فتصغي له"[6].

وقد بحث عباس في المصادر العربية متقصيا معناه فوجد أنّ "صوت هذا الحرف يوحي بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق"[7]، وقد فسّر معاني هذا الحرف من خلال مراحل حدوثه فاللام يحدث مروراً بمرحلتين أساسيتين:

"الأولى: بالتصاق اللسان بأوّل سقف الحنك قريبا من اللثة العليا حبسا للنفس.

والثانية: بانفكاك اللسان عن سقف الحنك وانفلات النفَس خارج الفم، وهكذا فإنّ طريقة النطق بصوت (اللاّم) تماثل الأحداث التي يتم فيها الالتصاق كما أن طريقة النطق بصوت

---

[1] يراجع: ص:186، 187 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ، ص:44.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:142.
[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[5] مقدمة لدرس لغة العرب، ص: 211.
[6] جمهرة مقالات الدكتور محمود محمد شاكر، 732/2.
[7] خصائص الحروف العربية، ص: 79.

(اللاّم) تماثل الأحداث التي تتم فيها الاستعانة باللسان في عمليات اللَّوْك والمضغ واللّحس وما إليها"[1].

ويصف أحمد زرقة اللام باللاّمّة، أي الجامعة[2]، ونحن نرى تلوّن معاني صوت اللام بين هؤلاء الأعلام إلا أنّها تتحد في معنى الجمع والالتصاق والتَّمسك بالشيء بعد محاولات متكررة.

أمّا أهل التّصوف فقد وجدوا للام أسرارا كثيرة، وقد عدّها سهل التستري من أشرف الحروف التي تكتسب منها باقي الحروف جمالا وبهاء[3]، كما نجد ابن مسرّة يقول بأنّها "لوح الله وعلمه"[4].

أمّا ابن عربي فاللام عنده تتألف من جزأين، "فقائمة اللام للحق، تعالى، ونصف دائرة اللام المحسوس الذي يبقى بعدما يأخذ الألف قائمته، هو شكل النون للخلق، ونصف الدائرة الروحاني الغائب للملكوت، والألف التي تبرز قطر الدائرة، للأمر وهو: كن"[5].

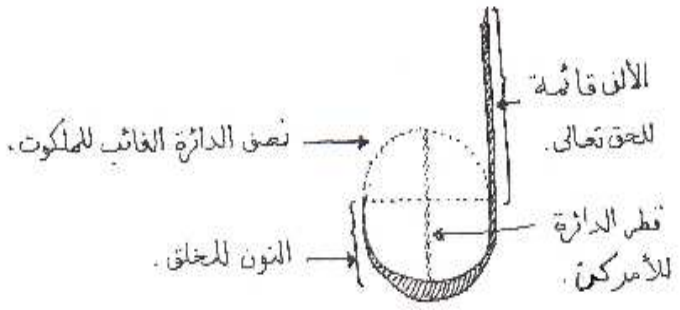

ويقول ابن عربي في هذا أيضا: "ولما كانت اللام ممتزجة من المكوِّن والكَوْن، فإنه _سبحانه_ لا يتصف بالقدرة على نفسه، وإنّما هو قادر على خلقه، فكان وجه القدرة

[1] المرجع السابق، ص:80.
[2] يراجع: أسرار الحروف، ص:127.
[3] رسالة الحروف، ص:370.
[4] رسالة الحروف، ص: 323.
[5] الفتوحات المكية، 331/1.

مصروفا إلى الخلق، ولهذا لا يثبت (وصف القدرة) للخالق إلاّ بالخَلْق فلا بد من تعلُّقها (أي القدرة) بهم (أي المخلوقات) عُلُواً وسُفلاً "[1] وهذا ما يجسده اتصال الألف بالنون لتجسيد اللام (ا + ن) = ل .

وفيه يقول ابن عربي: "اعلم ... أن اللاّم من عالم الشهادة والجبروت، مخرجة من حافة اللسان، أدناها إلى منتهى طرفه...بسائطه : الألف والميم والهمزة والفاء والياء ... تميز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة، له الغاية، مرتبته الخاصّة، طبعه الحرارة والبرودة واليبوسة، عنصره الأعظم النّار والأقل التراب...حركته مستقيمة وممتزجة، له الأعراف، ممتزج، كامل مفرد موحش، له من الحروف: الألف والميم"[2].

هكذا كان اللام عند ابن عربي أمّا الحرَّالي فقد جاء عنده أن اللام هو "الوصلة بين حدَّي القائم والمقام"[3]، وهو هنا يتحدث عن اللام عندما وصلت الألف بالميم في أوائل بعض سور القرآن (ألـــم).

وقد اتّضحت أسرار اللام عند عبد الكريم الجيلي حين شرح أصل اسم الجلالة (الله)، فقد قال: "اسمه الله أصلها الإله ولكن سقطت الألف الوسطى، وأدغمت اللام في التي تليها فصارت الكلمة الله، ...أصله سبعة أحرف، ستة رقمية، والسابعة الواو الظاهرة (سمعا) في إشباع الهاء كما ترى (ال ال اهـ و) وهي عين لسبع صفات، التي هي معنى الألوهيّة"[4]، هنا يتوقف الجيلي ليبين دلالة اللام الأولى والثانية من (ال ال اهـ و)، فيقول عن اللام الأولى: "وهي الإرادة التي كانت أول تَوَجُه من الحق في بروز العالم"[5]، أمّا اللام الثاني فقد قال فيه:

---

[1] المصدر السابق، 275/1
[2] الفتوحات المكية، 307/1.
[3] تفهيم معاني الحروف، ص:40.
[4] الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، ص:29.
[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

"هو العِلم وهو جمال الله تعالى المتعلق بذاته وبمخلوقاته فقائمة اللام محل علمه بذاته وتعريقة اللام محل علمه بمخلوقاته ونفس الحرف عين العلم الجامع"[1].

واللام هنا أيضا أدى معنى الجمع لمظهري العلم، علم الله بذاته وعلم الله بمخلوقاته، ليبقى الحديث في معنى الحروف وأسرارها بحرا من الخفايا يُكشف شيئا فشيئا.

معاني الراء عند اللغويين والمتصوفة:

الراء ذلقية كما حدد القدامى مخرجها، وهي لثوية عند المحدثين[2]، أمّا معنى اسم هذا الحرف فقد كان "القرد الصغير والرجل الضعيف وزبد البحر أيضا..."[3]، وقيل بأن الرّاء حملت معنى البنْت[4].

وقد وجد العلايلي أن هذا الصّوت "يدل على المَلَكَة، ويدل على شيوع الوصف"[5]. ويصف عباس الراء قائلا: "إنّ صوت حرف الراء بين أصوات الحروف هو أشبه ما يكون بالمفاصل من الجسد"[6]. ولاحظ أنّ الراء قد أدخلها العربي في أغلب الأعضاء التي تتصل بغيرها بمفصل غضروفي نحو : الرأس، الرقبة، المرفق، الركبة، الرضفة، الرجل، الرسغ... كما أدخلها في الأعضاء التي تتوافق معها في ظاهرة التحرك: خصر، رئة، صدر، بصر، نظر[7].

---

[1] المصدر السابق، ص:30.
[2] يراجع: ص: 151، 152 من البحث.
[3] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:38.
[4] يراجع: الرازي، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف ص:142.
[5] مقدمة لدرس لغة العرب، ص:210.
[6] خصائص الحروف العربية، ص:84.
[7] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

ويؤكد عباس أنَّ"حاجة اللغة العربية إلى حرف الراء لا تقل عن حاجة الجسد للمفاصل، فلولا صوت الراء لفقدت لغتنا الكثير من مرونتها وحيويتها وقدرتها الحركيّة، ولفقدت بالتالي الكثير من رشاقتها..."[1]

وقد دارت معاني الراء عنده حول[2]:

- التَّحرك والتَّرجيع، بما يتوافق مع الخصائص الحركيّة في صوتها، نحو: رَبَك الشيء (خلطه)، رَتَك البعير (ركض بخطى متقاربة)، رَدَفه (تبعه)، رَعْرَع الشيءَ (حرّكه)، رَعْبَس (رعش)...
- الرقة والنضارة والرخاوة، بما يتوافق مع موحيات صوته مرققا، نحو: راق (صفا)، راخ (لان واسترخى) ران ...
- أصوات فيها ترجيع وتكرار كما يحدث في خصائصها الصوتية نحو: رجس البعير (هدر شديداً)، الرّز (صوت الرعد وهدير الجمل)، رَنَّم (رجّع صوته)...
- الفزع والخوف اللذان يتوافقان مع مظاهر الاضطراب التي في صوت الرّاء، نحو: رجب (فزع)، رعب (فزع)، رهب (خاف)...

ويضيف عباس:"ومما يدهش حقا أن يستخدم القرآن خصائصها الحركية للقيام بالغالبية العظمى من المعارك التي خاضها مع الكفار والمشركين في الكثير من آياته وسوره، لتبلغ الراء أوجّ فروسيتها في المعارك السّبع التّي خاضتها سورة (القمر) بزعامتها كقافية لآياتها جميعا البالغة (55)"[3].

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[2] يراجع: المرجع نفسه، ص:85، 90..
[3] المرجع نفسه، ص:93.

كما نجد أحمد زرقة يشير لمعناها قائلا: "الراء الربرابة، من أبرز صفاتها الربربة أيّ التّحريك"[1].

وكأنّ معنى الراء انحصر عند أغلبهم في فعل الحركة والاضطراب، ولكننا نجد زيادة عليه في حديث العلايلي مفهوم الانتشار والذيوع الناتج بدوره عن تكرار الحدث .

أمّا أهل التّصوف فقد كان حرف الراء عند شيخهم سهل التستري واحدا من الحروف التسعة الشريفة، التي من نورها اكتسبت الحروف جمالاً وبهاء[2].

وقد كان عند ابن مسرّة لتفصيل الحَرَكات، والقوّة الحسيّة التي أظهرت الحركة وفصّلت ما في الغيب، وهو جوهر الزّمان، وقيل إنّها رحمة لأنّها من الصّفات المحيطة[3].

ورغم معاني المتصوفة الغامضة وأسرارهم إلاّ أنه من الواضح أنَّ الراء هنا أيضا أخذت معنى الحركة.

أمّا ابن عربي فقد قال : "اعلم ... أنّ الراء من عالم الشهادة والجبروت، ومخرجها من ظهر اللسان وفوق الثنايا، بسائطه: الألف والهمزة واللام، والفاء والهاء والميم والزاي، له غاية الطريق، طبعه الحرارة واليبوسة، عنصره النار، حركته ممتزجة، له الأعراف، خالص، ناقص، مقدّس، مثنّى، مؤنس، له من الحروف: الألف والهمزة"[4].

أمّا الراء عند الحرَّالي فهي من الحروف الحقيقة بالتَّفهيم لأنها "الحرف المنبني عن درجات التَّنزُّلات ... وعن تغيرات التطورات..."[5] فهي التربية والتصوير والتطوير[6].

---

[1] أسرار الحروف، ص:127.
[2] رسالة الحروف، ص: 370.
[3] يراجع: رسالة الحروف، ص:323.
[4] الفتوحات المكية، 308/1.
[5] تفهيم معاني الحروف، ص:41.
[6] يراجع: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ويواصل الحرَّالي شرحه مبينا معاني الراء من خلال بعض الكلمات الحاملة لمعناه: نحو: "البِرُّ المطوِّر للنفس، والبُرُّ المطور للجسم، والنار المغيّر للكون بتفريق كل مجتمع وتجميع كل متفرق .. وكالرَّان بما يغير من صفاء القلب حتى تذهبه النار، وكموقعها في الحرف والطرف التي هي حدود المتنزّلات والمتغيرات"[1]، ويشير أيضا لما يثيره هذا الحرف من مخاوف لأنّ كثرة التنزيل حجب، وكثرة التغيير بعد[2].

وكم نجد من معاني الراء المشتركة بين الحرَّالي واللغويين، فالراء حملت دوماً التحرك والتغير والتطوير.

معاني النون عند اللغويين والمتصوفة:

النّون صوت لم يختلف القدامى والمحدثون في نقطة حدوثه وصفاته، لكن كان هناك عدم اتفاق في ضبط اسم لمخرجه وهذا عائد للجوانب المعرفية الخاصّة بأعضاء النطق وتسمياتها. فأصل تحديد اسم للمخرج يكون إمّا بالاعتماد على الجزء المشارك من اللّسان، أو العضو الذي قصده اللّسان عند إنتاج هذا الصّوت، وهذا الخلاف ليس مع النون وحدها بل مع أغلب الحروف كما رأينا سابقا، فالنون سمي عند بعض القدامى ذلقيا، وعند محدثينا لثويا[3].

أمّا عن معنى اسم هذا الحرف فهو "الدَّواة" أو"الحوت"[4]. وجاء أيضا في معناه أنّه :

"اسم سيف معروف، ونونة: الذّقن، وشفرة السّيف، وحرف الجبل، والبعير"[5].

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.
[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3] يراجع: ص: 190، 191 من البحث.
[4] يراجع:الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص: 45.
[5] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:142.

ولقد أمعن العلايلي النظر في صوته فوجده "يدلّ على البطون في الشيء أوعلى تمكُّن المعنى تمكُّنا تَظهر أعراضه"[1]، وهذا ينقل عمق أثر ما تحمله النون من معنى.

ويجد محمود شاكر أنّ حرف النون :" حرف دمث طيّع مُترَفِّه ناعم حلو النَّغَم لطيف الترديد، يسيل مع الهواء لِيناً ونعومة ورقة، لا تدركه الجفوة التي تعرض لسائر الحروف مع التحريك إذا حُرّك، فهو لطيف مطاوع ذو نغم إذا حرك أوسُكّن"[2]، لذا فقد كانت معاني النون مواتية لهذا الآداء، فهو أقرب الحروف للبيان عن المعاني الصافية التي لا تتحامل إلى المادة وصوتها، وهو بذلك يحمل المعاني النفسية الصافية التي تذوب فيها آلام النفس وأحزانها وأحلامها وأفكارها التي لا تتكلم فيها إلا لمحاً أوإشارة وتلويحا، فالحزن لا يُعَبَّر عنه إلاّ بالصّوت المبهم المطاوع لحركة الجسد إذا حُرّك من نوازي الأحزان الدّاعية إلى هزّ الأعصاب، وبالرجفة التي تلحقها من تنزيه فيها[3].

ويرى عباس أن الإيحاءات الصوتية في النون مستمدة أصلاً من كونها صوتاً هيَجانيا ينبعث من الصّميم للتعبير عفو الفطرة عن الألم العميق، لذلك كان الصّوت الرنان ذو الطابع النوني، الذي تتجاوب اهتزازاته الصوتية في التجويف الأنفي، هو أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع[4].

كما يرى عباس أنّ "صوت النّون إذا لفظ مخفّفا مرقّقا أوحى بالأناقة والرقّة والاستكانة، وإذا لفظ مشدّدا بعض الشيء، أوحى بالانبثاق والخروج من الأشياء، تعبيرا عن البطون والصميميّة...أمّا إذا لفظ بشيء من الشّدة والتوتر، فلا بد لموحياته الصوتية أن

---

[1] مقدمة لدرس لغة العرب، ص:211.
[2] جمهرة مقالات الدكتور محمود شاكر، 732/2.
[3] يراجع: المرجع نفسه، 733/2.
[4] يراجع: خصائص الحروف العربية، ص:160.

تتجاوز ظاهرة الانبثاق العفوية، إلى النفاذ القَسْري والدُّخول في الأشياء، وإذا لفظ بشيء من الخنخنة أوحى بالنتانة والخسَّة"[1].

وقدّ أنهى عبّاس دراسته لمعاني المصادر التي ضمّت النون بأولها أوآخرها، بعبارة يقول فيها : "فللنّون من رقيق الفضة الخالصة صافي رنينها، ومن أنين المفجوع ذوب صميمه، لا أمسّ بإنسانية الإنسان منها ولا ألصق، ففي النون رقّة وعصير أنفاس وأُلْفَة، لا أرشق بداية تبدأ الألفاظ بها ولا ألطف نهاية، ما جاورت النون حرفاً إلاّ وكان له من سنا أناقتها، طيف خفّة ورقّة ورشاقة، تفعل النون بأصوات الحروف، ما تفعله الأنيقات الأديبات في نفوس الناس هزّاً لمشاعرهم وتهذيبا لعواطفهم صحابة عيش وفاء، ورفقة رقّة وإحاطة وحنان، فكانت النون الأنيسة بذلك وحدها، دنيا من المشاعر والشعر والموسيقى، لولاها ما اهتدى الإنسان إلى وتر يئِنُّ وناقوس يزِنُّ، ولا إلى ناي أو كمان "[2].

كذلك أحمد زرقة يسميها " النون الأنيسة " وهو بدوره وجدها تثير في النفس مختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية[3]، ولم يبتعد في وصفه الموجز لها عن معاني عباس السابقة.

بدت النون عظيمة الشأن عند اللغويين، وهي كذلك عند أهل التصوّف أيضا، ولهم فيها رأيّ صوفي خاص.

فهي من الحروف التسع الشريفة عند سهل التستري[4]، وهي عند ابن مسرّة مع الكاف في الأمر "كن" الذي أظهر به الله جميع الأشياء[5]، كما كان له تفصيل في معانيها إذ قال:"إنّ النون هي الدواة التي استمل القلم منها، ولذلك قال تعالى:﴿ن والقلم وما يسطرون﴾[6]، وقيل إنّ النون هو النور الأعظم، وهو الغيب الذي استمل منه القلم علم

---

[1] المرجع السابق، ص:160، 161.
[2] المرجع نفسه، ص:169.
[3] أسرار الحروف، ص:126.
[4] يراجع: رسالة الحروف، ص: 370.
[5] يراجع: ابن مسرة، رسالة الحروف، ص:323، 324.
[6] القلم، آية :1.

الأشياء المكونة، ودليل ذلك قوله تعالى في هذه السورة : ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾[1]، أي يستمدون منه ما شاءوا كما فعل القلم، وقيل أيضا إنّ النون هو الحوت الذي عليه قرار الأرضين، وهو الحامل للأرض وما عليها "[2].

يبدو أنّ ابن مسرّة قد آمن بالمعنى الأخير للنون لأنه يقول في مكان آخر : "وإنّما سمي "نونا" لأن النون هو الحوت بعينه، وصورته على شكل حوت، وهو موضع الماء والطين في أسفل السافلين، وهو نهاية الكون ومنقطع الحركة، وهو الحامل لهذين الجسمين الثقيلين ومالك لهما، وهما الماء والأرض، بلطافته، وحامل لجثث الحيوانات"[3].

أمّا ابن عربي فقد خصّها برسالة منفردة مع "الميم" و"الواو"، هذا فضلاً عن تخصيص عنوان لها مع باقي الحروف في فتوحاته المكية، يقول : "والنون (رمز) لوجود الشطر من العالم، وهو عالم التركيب، وذلك نصف الدائرة الظاهرة لنا من الفلك، والنّصف الآخر (من الدائرة هو) النون المعقولة (المدلول) عليها (بالنقطة الحسيّة) التي لو ظهرت وانتقلت من عالم الرّوح، لكانت دائرة محيطة، ولكن أُخفيت هذه النون الروحانيّة، التي بها كمال الوجود، وجعلت نقطة النون المحسوسة دالة عليها"[4].

يقصد ابن عربي أنّ النون التي نراها مرقومة أي الشكل المكتوب الذي يظهر بهذه الصورة:

[1] القلم، آية: 47.
[2] يراجع: ابن مسرة، رسالة الحروف، ص: 341.
[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[4] الفتوحات المكيّة، 270/1.

هو في الواقع الجزء الظاهر لنا من العالم، أمّا ما غاب عنّا فهو ذاك الجزء المكمل لدائرة الكون الذي نراه في شكل النون، أي:

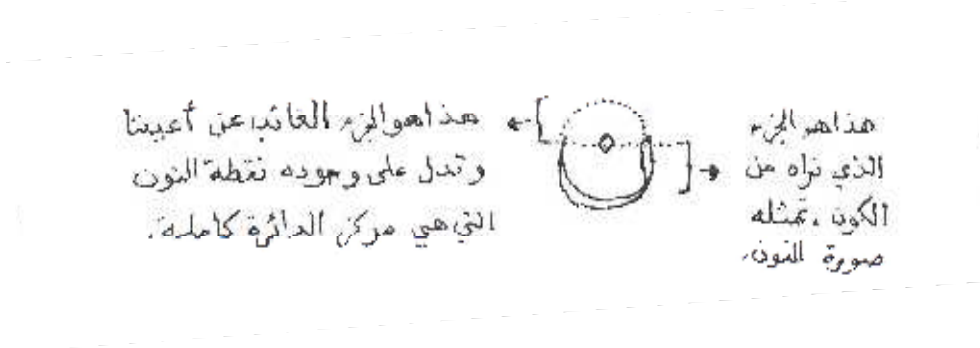

ويفسّر ابن عربي فصل النون الأولى عن الثانية من خلال اسم (النون) عينه، حين يقول: "أمّا النّون فإن الواو الذي له حجاب بينهما، أعني أنّه ما ظهر منه في الرقم سوى نصف الدائرة مثل ما ظهر من الفلك...، وكذلك الفلك نصف الكرة ظاهر أبداً ونصفه غائب عن الحسّ، وعلتنا في عدم إدراكه كوننا في الأرض، فالأرض هي الحجاب عليه، كما ندركه، وكذلك نشأ في عالم الطبع وظلمته حجبنا عن إدراك عالم الأرواح الذي هو النصف الآخر من كرة النشأة فلا نشاهد إلاّ آثاره"[1].

ويؤكد ابن عربي أن نقطة النون التي نراها هي الدالة على وجود النون الغائبة عن أنظارنا، فيقول : " كذلك هي نفس نقطة النون، أوّل دلالة النون الروحانيّة المعقولة، فوق شكل النون السفليّة، التي هي نصف الدائرة..."[2].

وبالنسبة للنون وأسرارها التي نراها في كل الحروف يقول ابن عربي : "اعلم ... أنّ النون من عالم الملك والجبروت، مخرجه من حافة اللسان وفوق الثنايا، عدده: خمسون وخمسة، بسائطه: الواو والألف ... يتميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة، له غاية الطريق، مرتبته المرتبة

[1] رسائل ابن عربي، (كتاب الميم والواو والنون)، قد: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط:2، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، 2002م)، 95/1.
[2] الفتوحات المكيّة، 239/1.

المنزهة الثانية، ظهور سلطانه في الحضرة الإلهيّة، طبعه، البرودة واليبوسة، عنصره التراب، يوجد عنه ما يشاكل طبعه، حركته ممتزجة، له الخُلق والأحوال والكرامات، خالص، ناقص، موحش، له الذّات، له من الحروف، الواو"[1].

فالنون كما رأينا عند ابن عربي ذات سرّ كبير صوفيا أيضا، وعلى نهج ابن عربي سار الفيلسوف الفرنسي روني غينون(rené guénan)، حين تحدث عن رسم حرف النون في العربية ودلالته[2]، إذ يقول : "هو مؤلف من النصف السفلي لدائرة، ومن نقطة هي مركزها، ولهذا النصف السفلي شكل سفينة عائمة على المياه، والنقطة في داخلها تمثل البذرة المصانة في السفينة أوالمزملة لها، والموقع المركزي لهذه النقطة يبين أنّ المقصود في الحقيقة هو "بذرة الخلود" أو"النواة" التي لا تفنى ولا تطاولها جميع التلاشيات الخارجية"[3]. ونصف الدائرة دلالة على الرحم الحامل لتلك البذرة التي لم تتطور بعد وهو أيضا يتطابق من الشطر السّفلي أوالأرضي "لبيضة العالم"[4].

---

[1] المصدر السابق، 308/1، 309.

[2] René guénan,symboles de la sience sacrée. (France:editions gallimard,1962),p:151,155.

[3] أسرار حرف النون، تر: عبد الباقي مفتاح، ضمن التصوف الإسلامي المقارن، ص:70 (مخطوط ملك صاحبه)، ويراجع: روني غينون، أسرار حرف النون، تر: فاطمة عصام صبري، مجلة التراث العربي، إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ع:44، تموز1991م.

[4] يراجع: روني غينون، أسرار حرف النون، تر: عبد الباقي مفتاح، ضمن التصوف الإسلامي المقارن، ص:70 (مخطوط ملك صاحبه).

معاني الطاء عند اللغويين والمتصوفة:

الطاء، نطعيّ المخرج عند بعض القدامى، لثوي أسناني عند المحدثين[1]، لم تجد دراسته إشكالاً من حيث نسبته لمخرج بعينه أومن حيث صفاته، واسم الطاء معناه "الشيخ كثير النكاح"[2]، وقيل أيضا "المكان السَّهل"[3]، أمّا صوته فقد تلمس ابن جني فيه معنى السرعة ومحاكاة الصوت، حين شرح دلالته في (القَطّ)، و(القَرْط)[4]. وقال العلايلي إنّه "يدلّ على المَلَكة في الصّفة وعلى الالتواء والانكسار"[5].

وعند متابعتنا تناول عباس لهذا الحرف بالدراسة، لاحظنا أنّه لم يكن له اتجاه هذا الصوت الإحساس نفسه الذي كان لباقي الحروف، حتّى أنّه لم يصف لنا معناه كما فعل معها. وهو يقول أنّه صُدم في دلالة هذا الصوت إذْ كان ينتظر منه الضعف لا قوّة الشخصية، فيقول عباس عن الطاء : "له إيحاء لمسي بين المرونة والطراوة، وله من المذاقات طعم الدّسم، ومن الشميات رائحة العطور، وله إيحاء بصري من الضخامة بين التّكور والفلطحة"[6]. وقد فسّر عباس هذه الإيحاءات فقال: "قد استمد هذا الحرف إيحاءاته الذوقية من تمّاس اللسان المباشر لكامل مساحته العليا مع سقف الحنك عند التلفظ به، على مثال ما يضغط اللسان على مضغة من اللحم الطريّ النضيج"[7].ويضيف "كما استمد إيحاءاته الشميّة من تجاوب صدى صوته من التجويف الأنفي (الخيشوم). إذ لا بدّ أن يؤثر صدى

---

[1] يراجع: ص :172، 173 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:40.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:142.
[4] يراجع: الخصائص، 158/2.
[5] مقدمة لدرس لغة العرب، ص:211.
[6] خصائص الحروف العربية، ص:120.
[7] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

اهتزازاته الطريّة اللينة المباشرة في خلايا حاسة الشمّ عند النطق به يدغدغها بنعومة ورقّة كما تدغدغها موجات من نسيمات رائحة ذكيّة ..."[1].

ويستشهد بجملة من الكلمات ليوضح الفرق بين وجود الطاء وغيابه وما يحمله وجوده من تلك المعاني؛ "فألفاظ (طبخنا وطعام، وطيب وعطر)، تشغل اللسان كله، وتتجاوب أصداء أصواتها في تجويف الأنف فتثير حاستيّ الذوق والشم أكثر ما تفعله ألفاظ (هيّأنا، زاد، ذكيّ، سائغ.) التي تشغل الذّهن أكثر مما تشغله الألفاظ السابقة"[2].

وقد سمّى أحمد زرقة الطاء بـ"الطنينيّة" ووجد فيها طراوة في الإنتاج، فقد حملت معنى الصوت عنده بشكل أساسي[3].

أمّا أعلام التّصوّف فمنهم نجد ابن مسرة يرى أن الطاء هي "الطين الذي خلق منه آدم، وقيل الفطرة، وطور سيناء أوطُوى، وهذان الموضعان اللذان أظهر الله فيهما أمره على موسى بن عمران صلى الله عليه وعلى النبيين."[4]

وابن عربي يقول: "اعلم... أن الطاء من عالم الملك والجبروت، مخرجه من طرف اللسان وأصول الثنايا، عدده تسعة، بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والميم والزاي والهاء... يتميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة، وله غاية الطريق، طبعه البرودة والرطوبة، عنصره الماء يوجد عنه ما يشاكل طبعه، حركته مستقيمة ومعوجة، معاً وممتزجة، له الأعراف، خالص، كامل، مثنًّى، مؤنس، له من الحروف: الألف والهمزة.."[5].

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] أسرار الحروف، ص:127.
[4] رسالة الحروف، ص:324.
[5] الفتوحات المكيّة، 309/1، 310.

أمّا الحرَّالي فكانت الطاء عنده: "التّخلصّ من ثقل، كما هو في الطاهر والطيب والطائر والطافي والطامي.."[1]. فالطهر مثلا تخلص من ثقل النجاسة.

من الواضح أن الطاء كان قليل الحظ عند أهل اللغة والتّصوّف معاً.

معاني الدال عند اللغويين والمتصوفة:

صوت الدال نطعي عند القدامى، لثوي أسناني عند المحدثين[2]، جاء في معنى اسمه أنّه "المرأة السمينة"[3]، وقيل "الذي يدلو الدلو"[4].

وقد استشعر ابن جني في صوت الدال معنى المماطلة مقارنة مع الطاء، كما في (القدّ)، إذا ما قورن بالقطّ[5]. ويقول الشدياق "من خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة نحو: البراخدة والتيد.. والرداهة والعبرد والفرهد ... ويلحق به من الأمور المعنوية الرغد والسرهدة والمجد وغير ذلك، وربّما عادلوا في بعض الحروف، أي راعوا فيها الإكثار من النقيض فإنّ حرف الدال يشتمل أيضا على ألفاظ كثيرة تدل على الصلابة والقوة والشدّة، ونحو ذلك، التأدد والتأكيد، والتأييد والجلمد ... الحديد ..."[6].

أمّا العلايلي فقد كان صوت الدال عنده: "يدلّ على التصلُّب والتغيّر المتوزّع"[7].

وحين بحث حسن عباس في معنى حرف الدال وجد أنَّه "أصم أعمى مغلق على نفسه كالهرم، لا يوحي إلاّ بالأحاسيس اللمسيّة وبخاصة مايدل على الصلابة والقساوة وكأنه من

---

[1] تفهيم معاني الحروف، ص : 46.
[2] يراجع: ص: 144، 145 من البحث.
[3] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:37.
[4] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:142.
[5] الخصائص، 158/1.
[6] الساق على الساق في ماهو الفارياق، ص: 2.
[7] مقدمة لدرس لغة العرب، ص : 210.

حجر الصّوان، فليس في صوت (الدال) أي إيحاء بإحساس ذوقي أوشمي أوبصري أوسمعي أوشعوري، ليكون بذلك أصلح الحروف للتعبير عن معاني الشدّة والفعالية الماديتين"[1].

وقد جال عباس بالمصادر العربية باحثا في معنى الدال، مؤكداً رأيه السابق حيث وجد "أن انغلاق صوت (الدال) على نفسه قد جعله في عزلة عمياء صمّاء عن أيّ إحساس آخر أومشاعر إنسانية، وهذا الانغلاق جعله أصلح الحروف للتعبير المباشر عن الظلام والسّواد، دونما كناية أوتورية."[2] وكلمات دحدج الليل (أظلم)، دجم ودجن (أظلم)، الدّجى (سواد الليل) ... دحمس الليل (أظلم) ... الأدغم (الأسود الأنف) ... دَلمَ (اشتد سواده مع ملوسة) ... دمس (اشتدّ سواده) ... دهم (اِسْوَدّ)[3].

ويبدو أن رأي الشدياق يسير بغير هذا الاتجاه الذي اتخذه العلايلي وعباس، إذ وجد الشدياق أن الأصل في الدال هو الليونة والنعومة، أمّا أحمد زرقة فقد وصف الدال بـ: "الدّالة" ووجد فيها، محاكاة الصوت كالدّبدبة، ومعنى الهداية أوالدّليل[4]، ولكن مراعاة للإكثار من النقيض شمل الحرف أيضاً معنى الصلابة والقوّة والشدّة، وليس هذا الأخير بالأصلي في هذا الحرف، كما اعتقد الشدياق.

لكنّنا إذا توجهنا إلى أهل التصوّف وجدنا من بينهم سهل التستري يعدّ الدّال من الحروف الشريفة، التي تكتسب باقي الحروف منها جمالا وبهاء[5].

وابن عربي يرى : "أنّ الدّال من عالم الملك والجبروت ومخرجه، مخرج الطاء، عدده أربعة، بسائطه : الألف واللام والهمزة والفاء والميم ... له غاية الطريق ... طبعه البرودة

---

[1] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص:67.
[2] المرجع نفسه، ص : 69.
[3] يراجع: المرجع نفسه، ص : 68.
[4] أسرار الحروف، ص : 128.
[5] رسالة الحروف، ص : 370.

اليبوسة، عنصره التراب، يوجد عنه مايشاكل طبعه، حركته ممتزجة...، له الأعراف، خالص، ناقص، مقدّس، مثنّى، مؤنس، له من الحروف: الألف واللّام..."[1].

ويذهب الحرَّالي إلى القول بأنّ : "الدّال معناه الدّوام والدّؤب كما هو في كلمتها اعتباراً واستقراء، وفي كلمتي الأمد والأبد"[2].

وقد قدّم أيضا شرحاً لكلمة (حمد) يستدل فيه بمعنى الدّال السابق، فقد قال : "وليلحظ موقع ما يُفهِمه حرف الحاء الذي هو حظ من الله بلا سبب، والميم الذي هو إتمامه لهذا الحظ، والدال الذي هو إدامته لذلك التمام في كلمة الحمد الذي هو أوّل أمر الله وآخره وكنز ما بينهما".[3]

وها قد تنقلت الدال بين معاني، الليونة والصلابة والتغير المتوزع، ومعنى الدوام، بين أهل اللغة والتصوّف.

---

[1] الفتوحات المكيّة، 310/1.
[2] تفهيم معاني الحروف، ص :44.
[3] المصدر نفسه، ص : 44، 45.

معاني التاء عند اللغويين والمتصوفة:

التّاء ذاك الصوت النّطعي مخرجاً عند القدامى، والمنسوب للمخرج اللثوي الأسناني عند المحدثين[1]، وقد جاء في معنى اسم هذا الحرف أنّه "البقرة التي تحلب دائماً"[2]، وأيضا "المرأة السَّليطة"[3].

أمّا عن معنى صوت التاء فقد قال العلايلي أنّه "يدلّ على الاضطراب في الطبيعة أوالملابس للطبيعة في غير ما يكون شديداً"[4]. أي أنّ فيه معنى الحركة القريبة من الأجسام لكنها ليست بقوّة، ويرى عباس أن "صوته المرن يوحي بملمس بين الطراوة والليونة، كأن الأنامل تجس وسادة من قطن، أو كأنّ القدم الحافية تطأ أرضا من الرّمل الجاف."[5]

وقد انتقدَ عباس قول ابن سينا حين رأى أن التاء تسمع من خارج الجهاز النطقي "عن قرع اليد بإصبع بقوّة"[6]، فقد نفى عباس القوة عن التاء ونسب لها الليونة والنعومة.

لكننا نعتقد أنّ حسن عباس حكم عليه دون أن يُتّم فهم الرابط بين التّاء والدّال عند ابن سينا حين قال ذلك، فقد قارن ابن سينا ــ في الأصل ــ بين الدّال والتاء حدوثا، فكانت الأولى بقرع ضعيف للكف بالإصبع، والثانية بقرع أشدّ منه[7]، حتى نتبيَّن فقط الفرق بينهما حدوثا، أمّا من حيث مقارنة التاء بباقي الحروف العربية، فلا نجد فيها القوة التي اعتقد عباس أن ابن سينا يصفها، من ثمّ لن يكون هناك أي تنافر بين وصف ابن سينا للصوت خارج جهاز النطق ومفهوم النعومة الذي ينقله هذا الصوت، وهنا ننبّه إلى نسبة

---

[1] يراجع: ص : 113، 114 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 34.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 141.
[4] مقدمة لدرس لغة العرب، ص : 210.
[5] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص : 55، 56.
[6] أسباب حدوث الحروف، ص : 136.
[7] يراجع المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الإصبع بالنسبة إلى الكف، فمهما كانت قوته فهو صغير مقارنة بها، وضربه لها لن يمتاز بالقوة مهما تضاعف.

وعند متابعة معاني الكلمات التي ضمَّت التاء في أولها خاصة، نجدها حملت جميعها معنى الزيادة في الشيء تكراراً أوخروجاً عن مجاله الكمّي أوالكيفي، أي المادي والمعنوي، ومن هذا نجد : ترز (غلط)، التّعل (حرارة الحلق)، تفنه (طرده)، تلتل (سار شديداً)، تمه اللحم (فسد ريحه)، ترع الإناء (امتلأ)، تلع الرجل(طال عنقه)، تمك السنّام (طال وارتفع وامتلأ)[1]...

وقد أشار لها أحمد زرقة باسم التاء التليدة[2].

أمّا أهل التّصوف فقد كان حديثهم عن أسرار التاء ومعانيها كالآتي : يقول ابن عربي معرفا لها مقدماً أسرارها : "... التّاء من عالم الغيب والجبروت، مخرجه مخرج الدال والطّاء، عدده أربعة وأربع مائة، بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي ... يتميز في خاصّة الخاصّة ... طبعه البرودة واليبوسة، عنصره التراب، يوجد عنه ما يُشاكل طبعه، حركته ممتزجة، له الخُلق والأحوال والكرامات، خالص، كامل، رباعي، مؤنس، له من الحروف: الألف والهمزة..."[3].

أما الحرَّالي فيقول عن التّاء "معناها انتهاء التسبيب إلى أدناه ...واستقراؤها موقعها علامةً للتأنيث والمبالغة وللثواني كلها، ولذلك لم يُتوَّج بها "[4]، فقد وجد الحرَّالي في التاء معاني غير عالية ولا صادقة فهي مجازيّة، وقد وجد ذلك سببا كيْ لا تتوج بها السور القرآنية

---

[1] يراجع: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص :57، 58.
[2] أسرار الحروف، ص:127.
[3] الفتوحات المكيّة، 311/1. ونذكّر هنا مجدداً بضرورة تتبع معاني مصطلحات ابن عربي مع الحروف الأولى، فلا يخدم بحثنا تكرار شرحها كل حين.
[4] تفهيم معاني الحروف، ص : 43.

ومما سبق يبدو أن التّاء من الحروف قليلة الحظ عند أعلام اللغة، وأهل التّصوّف، فهي بحاجة إلى دراسات أخرى معمقة.

معاني الصاد عند اللغويين والمتصوفة:

الصّاد صوت أسليّ المخرج عند أغلب القدامى ولثوي أسناني عند المحدثين[1]، جاء في معنى اسم هذا الحرف أنّه "الدّيك المتمرغ في التراب"[2] وأيضا "قدر النحاس"[3] و"الصّفر"[4].

أمّا عن صوته فقد وجده ابن جني يحمل معنى القوّة إذا ما قورن بالسين، فهو عنده في الشاهد (صعد، سعد)، (الوسيلة، الوصيلة)، (سدّ، صدّ) ينقل دوماً قوة في المعنى[5]، وقال العلايلي هو "يدلّ على المعالجة الشديدة"[6]، أي الأفعال القويّة.

وحين بحث عبّاس في معنى الصّاد وجد أنّه بالنسبة لباقي الحروف "كالرصاص من المعادن رجاحة وزن، وكالرخام الصقيل من الصخور الصّمّاء صلابة ونعومة ملمس، وكالإعصار من الرياح، صرير صوت يقدح ناراً"[7].

وعندما جال عباس بالمعجم وتابع صوت الصّاد في الكلمات وجده يحمل "شخصيّة فذّة طغى بها على معاني معظم الحروف في الألفاظ التي تصدرها، ليعطيها من نقاء صوته

---

[1] يراجع ص : 165، 166 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 39.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص: 142.
[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها. والصفر هو النحاس في البابلية والآشورية : (أسرار الحروف) ص : 129.
[5] يراجع: الخصائص، 2 / 160، 161.
[6] مقدمة لدرس لغة العرب، ص : 211.
[7] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: 149.

صفاء صورة وذكاء معنى، ومن صلابته شدّة وقوة وفعاليّة، ومن طبيعته الصّفيريّة مادة صوتية نقيّة ما كان أصلحها لمحاكاة الكثير من أصوات الناس والحيونات وأحداث الطبيعة"[1].

وخلص عباس بعد دراسته لهذا الحرف بالتحديد إلى أنّه أنبل الحروف العربية، ورغم ما يحمله من صفير يدعوه ليكون من الحروف المحاكية للصوت، إلا أنّه كان عنده أكثر الأصوات تمثيلاً للمشاعر الإنسانية المرهفة لما فيه من مزايا وهي: "جمال صوته وعذوبته وموسيقاه، ولما يثيره في النَّفس من إيحاءات النقاء والصفاء والطهارة والبراءة والعزة وقوة الشّكيمة"[2].

واعتمد أحمد زرقة على جانب الصاد الصوتي حين عرفه، فقد وصفه بالصاد الصفيري، وكان تعريفه له بالاعتماد على الألفاظ الدالة على الصوت تحديداً[3].

وإذا ما اتجهنا إلى أعلام المتصوفة نجد الصاد عند سهل التستري من الحروف التسعة، التي اكتسبت منها الحروف جمالا وبهاء.[4]

كما نجد ابن مسرّة قد رأى في الصاد معنى الصّانع، والخالق والمصوّر، وهي أخذت هذا المعنى فيما وجده من تفسيره لقوله تعالى: ﴿الص﴾[5].

أمّا ابن عربي فالصاد عنده "حرف من حروف الصّدق والصّون والصورة... فالصاد حرف شريف عظيم، أقسم الحق عند ذكره بمقام جوامع الكلم، وهو المشهد المحمدي في أوجّ الشرف ..."[6].

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[2] المرجع نفسه، ص : 151..
[3] يراجع أسرار الحروف، ص:128، 129.
[4] رسالة الحروف، ص : 370.
[5] رسالة الحروف، ص : 328، 329.
[6] الفتوحات المكيّة، 313/1.

وقد أعطاه من الصفات والأسرار ما كان لغيره من الحروف، فهو يقول: "اعلم ... أنّ الصاد من عالم الغيب والجبروت، مخرجه مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السّفلى، عدده ستون ... بسائطه : الألف والدال والهمزة واللام والفاء ... يتميز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة، له أوّل الطريق ... طبعه الحرارة والرطوبة وعنصره الهواء، يوجد عنه ما يُشاكل طبعه، حركته ممتزجة مجهولة، له الأعراف، خالص، كامل، مثنىً، مؤنس، له من الحروف : الألف والدال ... "[1].

ويقول الحرَّالي عن الصّاد: "معناه مطابقة الخُلق والأمر، وبَيَّن الأمر والخلق إحاطةً واختصاصاً حسناً، كما هو في صدق الفعل أوالقول، وفي صفاء القُلَيْب والقلب، وفي صوم الجسم والنفس تصادفا في التجلي..."[2].

فقد جعل الحرَّالي في معنى الصّاد تمام الصفات الحسنة والخلق العالي، ممتزجة بين الشكل والمضمون، فلا تتم الصفة الطيبة إلاّ إذا طبعت فعل الشخص وقوله معاً، ظاهره وباطنه.

فالصاد بهذا قد حظي بعظيم المعاني وأشرفها بين أهل اللّغة والتصوّف.

---

[1] المصدر السابق، 311/1، 312.
[2] تفهيم معاني الحروف، ص : 47.

معاني الزاي عند اللغويين والمتصوفة:

الزاي صوت أسلي المخرج عند أغلب القدامى، وهو لثوي أسناني عند المحدثين[1]، جاء في معنى اسمه أنّه "الرجل كثير الأكل"[2] وأيضا قيل أن معناه "جلد يابس"[3]، واسم هذا الحرف نطقه البعض: (زاء) والبعض الآخر :(زاي)[4].

أمّا عن معناه فقد قال العلايلي إنه "التقلّع القوي"[5]، وفي هذا دلالة الحركة المضطربة القوية التي يحاكيها صوت الزّاي.

وقد قال عباس "وعلى الرغم من بساطة هذا الحرف الأسلي، فهو متنوع الخصائص، فحدّة صوته توحي بالشدّة والفعالية"[6]، ويضيف: "ولما كان هذا الحرف يستمدّ حدّته من ذبذباته الصّوتية العالية، فهو إذا لفظ بشيء من الشدّة أوحى بالاضطراب والتحرك والاهتزاز، أمّا إذا لفظ مخففا بعض الشيء، فهو يوحي بالبعثرة والانزلاق"[7]، ونجد أحمد زرقة قد سمى الزاي "الزهزاهة"، فقد توسّم فيها معاني منها: محاكاة الصّوت ودلالة الحركة والقوة والشدّة.[8]

وعندما بحثنا في أسرار حرف الزاي عند المتصوفة وجدنا من سبق ابن عربي زمنا ــمن الأعلام الذين عرفناهم ــ لم يتحدث عن الزاي، لكن الشيخ الأكبر ابن عربي، قدم له كغيره من الحروف، وقد قال فيه : "اعلم ... أن الزاي من عالم الشهادة والجبروت والقهر، مخرجه، مخرج الصاد والسّين، عدده سبعة، بسائطه الألف والياء والهمزة واللام والفاء ...

---

[1] يراجع: ص :155، 156 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 38.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص :142.
[4] يراجع:الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 38؛ والرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 142. تجده سماه مرّة زاء ومرّة أخرى فيما أورده عنه الرازي يسميه (زاي).
[5] مقدمة لدرس لغة العرب، ص : 210.
[6] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص : 139.
[7] المرجع نفسه، ص : 139.
[8] أسرار الحروف، ص : 129.

يتميز في خلاصة خاصّة الخاصّة، له الغاية... طبعه الحرارة واليبوسة، عنصره النّار، يوجد عنه ما يشاكله في طبعه، حركته ممتزجة له الخلق والأحوال والكرامات، خالص ناقص، مقدّس، مثنّى، مؤنس، له من الحروف: الألف والياء ..."[1]

وقد كانت الزاي عند الحرَّالي تخليصا لما اقتضته الرّاء من تغيير بشدّة وأزمة، كما في الزيت والزبد[2]، وقد رأينا من قبل أنّ الراء تغيير وتطوير عنده، وما الزاي إلا تخليص للتغيير والتطوير الشديد المتأزم.

هكذا كان حال الزاي عند اللغويين والمتصوفة وهي أيضا من الحروف التي تطالب بدراسة خاصة.

---

[1] الفتوحات المكية، 316/1، 317.
[2] يراجع: تفهيم معاني الحروف، ص : 45، 46.

معاني السين عند اللغويين والمتصوفة:

السين من أوضح الأصوات حدوثا، لذا لم يجد إشكالا في وصفه عند القدامى أوالمحدثين، لكنه كغيره من الحروف من حيث تسمية مخرجه، فكل يسميه بحسب تذوقه، فقد نسبه القدامى لأسلة اللسان مع الصاد والزاي، وجعله المحدثون لثوياً أسنانيا وهو المكان الذي تتجه له أسلة اللسان كي تنتجه.[1]

اسم السين معناه لغة "الرّجل كثير اللحم والشحم"[2]، وقيل "الرجل الشحيح"[3]و"الحبل"[4]، أمّا عن معنى صوت هذا الحرف فقد قال العلايلي بأنه: "يدل على السعة والبسطة مع غير تخصيص"[5].

ويرى عبّاس أن "صوته المتماسك النقي يوحي بإحساس لمسي بين النعومة والملاسة، وبإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب للصفير، وليس في صوته ما يوحي بأيّ إحساس ذوقي أوشمّي أومشاعر إنسانيّة"[6]، ومن معاني الانزلاق والتحرك والمسير ما حققته السين في هذه الكلمات: (سبق، سحب، سرح، سرى، ساخ، ساج، سال، سبح، سكب، سار ...)، ورغم ما يبدو في السّين من صفيرية فهي لم تختص بمحاكاة الأصوات إلاّ في معاني لفظين اثنين هما : سعل، وسهف الدب (صاح)، وهذا اكتسبته_كما يرى عباس _ فقط بسبب تدخل حرفي (ع، ه) في اللفظ.[7]

ويصف أحمد زرقة السّين بالسّلسلة لما وجد فيها من معانى السّلاسة[8].

---

[1] يراجع ص : 158، 159 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ، ص : 39.
[3] الرازي، الحروف، ص : 142.
[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[5] مقدمة لدرس لغة العرب، ص : 210.
[6] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص :110، 111.
[7] يراجع: المرجع نفسه، ص : 112.
[8] يراجع: أسرار الحروف، ص : 128.

بهذا نرى أنّ السين أخذت بشكل عام معاني الرقّة، والسلاسة والامتداد بانزلاق، عند أهل اللغة فماذا عن معانيها وأسرارها عند المتصوفة؟

نجد ابن مسرّة يرى أنها "السين التي في سورة يس، وقيل إنّها كناية عن اسرافيل"[1].

أمّا ابن عربي فقد قال: "اعلم أنّ السّين من عالم الغيب والجبروت واللّطف، مخرجه مخرج الصّاد والزّاي، عدده ... ثلاث مائة وثلاثة، بسائطه: الياء والنون والألف والهمزة والواو... يتميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة، وخلاصة خاصّة الخاصّة، وصفاء خلاصة خاصّة الخاصّة، له الغاية ...طبعه الحرارة واليبوسة، عنصره النّار، يوجد عنه ما يُشاكل طبعه، حركته ممتزجه، له الأعراف، خالص، كامل، مثنّى، مؤنس، له من الحروف : الياء والنون"[2].

والسين عند الحرَّالي:"إنباءٌ مُوفٍ بما اشتملت عليه الذوات، ظاهرها وباطنها ومابينهما. ولذلك خصّ في صورته بثلاث سنّات كما هم في الاسم المنبّئ عن مسمَّاه."[3] فهي عنده تدل عن كلّ ما يعني الذّات وتكشفه سواء كان عن الباطن أوالظاهر أوما كان بينهما، وجعل شكل السين المتكون من 3 سنّات معبراً عن هذه العناصر الثلاث، أي :

سن للظاهر سن للباطن

سن لما بينهما

[1] رسالة الحروف، ص : 324.
[2] الفتوحات المكيّة، 317/1.
[3] تفهيم معاني الحروف، ص :49.

كما يرى عبد الكريم الجيلي "أنّ السّين عبارة عن سرّ الله تعالى، وهو الإنسان."[1]

فقد كانت السين عند المتصوفة بالفعل مكمن السرّ الإنساني من جوانبه كلها، وهي أيضا شملت اللطف عند ابن عربي.

يبدو أنّ هذا الصوت بالفعل صالح ليتصدر كلمة (سرّ) وهو ما يزال مجالاً خصبا للبحث فيه.

[1] الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، ص: 24.

معاني الظاء عند اللغويين والمتصوفة:

يعد الظاء عند القدامى لثوي المخرج، أمّا عند المحدثين فهو أسناني، ووصف حدوثه فيه اختلافات بين اللغويين، فعضو اللسان يراه البعض يتصل بأصول الأسنان العلوية والبعض الآخر يراه يقع بين الأسنان العلوية والسفلية.[1]

أمّا عن معنى اسم هذا الحرف فهو : "ثدي المرأة إذا تثنت"[2] وقيل هو " الكبير المسن"[3]. ولصوت الظاء معنى "التّمكن في الغؤور"[4] كما يقول العلايلي.

وبحث عبّاس في معناه أيضا فوجده "يوحي بالفخامة والنضارة والأناقة والظهور، وبشيء من الشدّة والقساوة"[5].

ويرى عباس أننا إذا تتبعنا الألفاظ التي شارك فيها الظاء سواء في أولها أووسطها أوآخرها على قلتها – فهي لم تجاوز 68 مصدراً – لوجدنا المعنى الغالب عليها والذي فرضه الظاء كان معنى الظهور والبروز، وكأنّ نطقه وخروجه من بين الأسنان داعياً اللسان كي يطل على الخارج جزءٌ من معناه، وفيه أيضا معاني الفخامة والعذوبة، وقد تأسّف عباس، كون العربي لم يوسع من دائر استخدام هذا الصوت[6].

ويبدولنا أن خلط العرب إلى يومنا هذا بين نطق الضاد والظاء، يؤكد سعة استخدام هذا الصوت، فما سجل في المعاجم منسوبا للضاد، كثيراً ما ينطق ظاء، ولم يبرح المعنى

---

[1] يراجع:ص: 175، 176 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 41.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 142.
[4] مقدمة لدرس لغة العرب، ص : 211.
[5] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص : 123.
[6] يراجع: المرجع نفسه، ص : 123، 125.

_رغم ذلك _ مكانه بتلك الألفاظ. لذلك فإنّ أسف عباس لا يتعدى المكتوب، أمّا المنطوق فقد أعطى الظاء حقه، سواء كان ذلك بمعايير لغوية فصحى أولهجية.

وأخيرا نجد أحمد زرقة يسمي الظاء بالظليلة لكنه لا يعطي معنى محددّا لها.[1]

أمّا عن الظاء عند المتصوفة فقد تحدث عن أسرارها بن عربي قائلاً : "اعلم ... أنّ الظاء، من عالم الشهادة والجبروت والقهر، مخرجه، مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، عدده ثمانية وثمان مائة... بسائطه: الألف واللام والهمزة والفاء والهاء والميم والزاي، يتميز في خلاصة خاصّة الخاصّة، له غاية الطريق، طبع دائرته بارد رطب، وقائمته حارة رطبة، فله الحرارة والبرودة والرطوبة، عنصره الأعظم الماء والأقل الهواء، يوجد عنه ما يشاكل طبعه، حركته ممتزجة، له الخلق والأحوال والكرامات، ممتزج، كامل، مثنىّ، مؤنس، له الذات، له من الحروف الألف والهمزة ..."[2].

وقد وجد الحرَّالي في الظّاء معنى الظهور بغلبة[3]، وهو دوماً في معانيه قريب من المفاهيم اللغوية رغم رمزيّة المتصوفة، وقد أشار هو إلى أنّ علماء اللغة ذهبوا أيضا إلى الحديث في معاني الحروف، ومن ثمّ هو على تأثر بهم وعلى علم بما قدّموا[4].

---

[1] يراجع: أسرار الحروف، ص: 129، 130.
[2] الفتوحات المكيّة، 318/1.
[3] تفهيم معاني الحروف، ص :46.
[4] يراجع: المصدر نفسه، ص :51.

معاني الذال عند اللغويين والمتصوفة:

الذال صوت لثوي عند بعض القدامى، وأسناني عند كثير من المحدثين[1]، جاء في معنى اسم هذا الحرف أنه "عرف الديك"[2] وقيل "الرماد"[3]، أمّا معنى صوت الذال فقد رأى العلايلي أنه "يدل على التفرد"[4].

ويرى عباس أنّ الذال هو رفيق الثاء في المخرج، فإذا كانت الثاء علامة للأنوثة وكلها رقّة ودماثة، فإنّ الذال قد تركزت فيه كل الذكورة، توتر صوت، وخشونة ملمس، وشدّة ظهور.[5]

"فإذا كانت الثاء تدغدغ طرف اللسان بكثير من المرونة والدماثة فتوحي بطعم الدسم والملمس الدافئ الوثير، فإن الذال ألذع مذاقا وأكوى حرارة وأوخذ ملمسا وأشد توتراً، ليُشِفّ بذلك صوت كل حرف منهما عن خصائص الجنس الذي يمثله".[6]

بذلك توزعت معاني الذال على البعثرة والانتشار نحو، ذرّ (فرّق)، ذفر المسك (انتشرت رائحته)، ذرا (تفرق في الهواء)، ذاع (انتشر)...، وعلى الاهتزاز والاضطراب نحو: ذبّ (لم يستقر في مكانه)، ذفّ (أسرع)، تذلذل (اضطرب واسترخى)...

ومعنى الفعالية والشدّة والقطع، نحو: ذجّ (دق)، ذلق (صار حاداً)، ذمه اليوم (اشتد حرّه)، ذاده (دفعه)...[7]

---

[1] يراجع: ص : 148، 149 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 37.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 142.
[4] مقدمة لدرس لغة العرب، ص:210.
[5] يراجع: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص:66، 67.
[6] المرجع نفسه، ص : 66.
[7] يراجع: المرجع نفسه، ص: 66، 67.

وقد أطلق أحمد زرقة على الذال "الذبذابة" بالاعتماد على معانيها التي توحي بها.[1]

ولأهل التصوّف رأي آخر حول الذال، إذ يقول ابن عربي: "اعلم ... أن الذال من عالم الشهادة والجبروت والقهر، مخرجه مخرج الظّاء، عدده: سبع مائة وسبعة، بسائطه: الألف واللام والهمزة والفاء والميم، يتميّز في العامة، له وسط الطريق... طبعه الحرارة والرطوبة، عنصره الهواء، يوجد عنه ما يشاكل طبعه، حركته معوجة ممتزجة، له الخلق والأحوال والكرامات، خالص، كامل، مقدّس، مثنّى، مؤنس، له الذّات، وله من الحروف: الألف واللّام..."[2]

أمّا الحرَّالي وقد عوَّدنا على معان مقاربة لمفاهيمنا اللغوية فيقول: "الذّال: معناه تناقص الصور ودقتها، كما هو في الذبول... وفي الذنب حِسا، والذنب معنى، وفي الذلّ حِساً والذلّ معنى."[3]

ويرى الحرَّالي أنّ ما جاور الذال من حروف يزيد في معناه فيَقْوى به، أويقابله فيكسر من معناه أكثر.[4]

وما يقدمه هنا هذه المرة لا يتفق مع معنى الذكورة الذي وجده عباس في الذال بما تحمله الذكورة من قوّة وعلو.

---

[1] أسرار الحروف، ص:129.
[2] الفتوحات المكيّة، 319/1.
[3] تفهيم معاني الحروف، ص:45.
[4] يراجع: المصدر نفسه، ص:45.

معاني الثاء عند اللغويين والمتصوفة:

الثّاء صوت لثوي عند كثير من القدامى، وهو أسناني عند المحدثين[1]، وقد كان اسم هذا الحرف يعني "العين من كل شيء"[2]، وقيل "الخيار من كل شيء"[3]، وقيل "شيء تُحلب فيه الناقة"[4].

يبدو من المعنى الأول والثاني أن الثّاء كلمة تدلّ على الأجود من كل الأمور، أمّا عن صوت هذا الحرف فقد رأى ابن جني أنه في نهاية كلمة بحث، يحمل معنى النفث للتراب وبثه[5]، وقال العلايلي إنّه "يدلّ على التعلق بالشيء تعلقا له علامته الظاهرة في الحسّ والمعنى"[6].

وقد اعتنى حسن عباس به عناية فائقة، ووجد أن النفَس مع الثاء الملثوغة يخرج بشيء من البعثرة، فيسمع له حفيف طريّ، وهو ما جعل الرقة والليونة، والملمس الدافئ الوثير يصاحب هذا الصّوت.[7]

يقول عباس : "وكأني بالعربي لم يبدع صوت هذا الحرف إلاّ خصيصا للأنثي، ليميزها بالثاء من النساء أنفسهن، إيفاء لحقها من الرقة والدماثة والإحاطة واللين، فما كل إمرأة تتوافر فيها خصائص الأنوثة، وإن كانت أنثى"[8].

---

[1] يراجع: ص : 117، 118 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 35.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 141.
[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[5] يراجع: الخصائص، 163/2.
[6] مقدمة لدرس لغة العرب، ص : 210.
[7] يراجع: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص :60.
[8] المرجع نفسه، ص : 60.

ويواصل عباس تفصيله قائلاً : "قد قصرت أنوثة الأشياء والكائنات الحيّة عن أنوثة الجنس في حرف الثاء، فأنثت بتاء التأنيث، تفيض الثاء عليها من خلف هذا الحجاب الشفاف طيف رقة وعاطفة وأنوثة، لتستقل الثاء وحدها بعرش الأنوثة في لفظة الأنثى..."[1]

وقد استطاع حسن عباس تقديم هذه المعاني للثاء بدقة متناهية حين وزعها على مراحل حدوثها، فكل جزء من إنتاج الثاء يحمل معه معنى، ويوجز ذلك كالآتي :

1. انفراج الأسنان السفلى عن العليا، عند خروج صوت الثاء، ومن ثمّ تراجع طرف اللسان إلى الداخل، وهذا يماثل الأحداث الطبيعية التي تتضمنّ الشق والانفراج.
2. بعثرة النفَس ببطء أثناء خروجه بين طرف اللسان والأسنان العليا عند حدوث الصّوت، مما يماثل الأحداث الطبيعية التي تتضمن البعثرة والتخليط.
3. حفيف رقيق يسمع لصوت الثاء مع اللثغ، ما يوحي بالرقة والبضاضة والطراوة والدّفء.[2]

كما ربط عباس نسبة خروج اللسان بين الأسنان في الثاء بالأنوثة مقارنة إلى القدر الذي يخرج فيه مع الذال، الذي ربطه بالذكورة.[3]

قد أثارت الثاء اهتمام وعناية حسن عباس، وما وجدت عند أحمد زرقة إلا اسما لها وهو (الثاء الثريّة)، والشواهد التي قدمها لها متنوعة الدلالات، ولعل هذا ما جعله ينسب الثراء لها من حيث كثرة المعاني.[4]

هكذا إذن تناول اللغويون الثاء، فكيف قدّمها أهل التصوف ؟

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[2] يراجع: المرجع نفسه، ص : 61.
[3] يراجع: المرجع نفسه: ص: 65، 66.
[4] يراجع: أسرار الحروف، ص : 129.

يقول ابن عربي : "اعلم ... أنّ الثاء من عالم الغيب والجبروت واللُّطف، مخرجه مخرج الظاء والذال، عدده خمسة وخمس مائة، بسائطه : الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي ... يتميّز في خلاصة خاصّة الخاصّة، له غاية الطريق ... طبعه البرودة واليبوسة، عنصره التراب، يوجد عنه ما يشاكل طبعه، حركته ممتزجة، له الخلق والأحوال والكرامات، خالص، كامل، مربّع، مؤنس ... له من الحروف : الألف والهمزة..."[1]

أمّا الحرَّالي فقد ربط معنى الثاء بالتاء والباء، وكان معناها "الثمرة". أي الأشياء التي انتهت بها أسبابها وأطوارها وتَتِّماتها.[2]

فقد كان بهذا للثاء حظ عند اللغويين أكبر منه عند أهل التصوف، لكن يبقى الحديث فيها باباً مفتوحاً لمن يقصده.

---

[1] الفتوحات المكية، 320/1.
[2] تفهيم معاني الحروف، ص:43.

معاني الفاء عند اللغويين والمتصوفة:

حرف الفاء عند بعض القدامى، على رأسهم الخليل عُدّ شفويا، أمَّا مخرجه عند المحدثين فهو شفوي أسناني.[1]

يحمل اسم هذا الحرف معنى "زبد البحر"[2] وقيل "لحم الفخذ"[3]، وقال العلايلي أنّ صوته"يدلّ على لازم المعنى، أي على الوَضع في المعنى الكنائي.[4] وكأنّنا به يقصد أن صوت الفاء يدلّ على تغير حقائق الأشياء ووسمها بغير صفاتها، أي تشير إلى معنى غير الذي يظهر للعيان.

وقد قال عباس في الفاء وإيحاءاتها ما يلي: "هذا الحرف بخفيف صوته الرقيق وبعثرة النفس لدى خروجه من بين الأسنان العليا وطرف الشفة السفلى، يوحي بملمس مخملي دافئ، كما يوحي بالبعثرة والتشتت"[5]، وعندما جال عباس بالمصادر العربية وجد للفاء أيضا معنى الشق والشرخ والقطع، وقد عجب لخروجها عن موحيات صوتها، لكنّه استطاع أن يربط هذه المعاني بكيفية حدوث هذا الصّوت فهو يقول :

"عندما يخرج النفَس مع صوت الفاء على المدرج الصوتي يبدو لنا وكأنّ الأسنان الأمامية العليا، هي التي تقوم بالضرب خفيفا على طرف الشفة السفلى، حبسا للنفس، ثم يتمّ الانفراج بينهما بشيء من التأني فيخرج الصّوت مع النفس المبعثر أثناء الانفراج ضعيفا واهيا"[6]، ويكمل عباس شرحه قائلا : "وهكذا فالصّورة البصرية لعملية خروج صوت الفاء تمثل ضربة الفأس (الأسنان العليا)، على الأرض، (الشفة السفلى)، كما أنّ

---

[1] يراجع: ص : 123، 124 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص: 42.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 142.
[4] مقدمة لدرس لغة العرب، ص : 211.
[5] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: 132.
[6] المرجع نفسه، ص : 133 .

بعثرة النفَس، تمثل بعثرة التراب المحفور، وفي الحقيقة إنّ انفراج الأسنان العليا عن الشفة السفلى (كصورة بصريّة مرئية) يمثل الأحداث الطبيعية التي يتمّ فيها الشقّ والفصل والتفريق والتبعيد والتوسّع ... كما أنّ بعثرة النفَس عند خروج صوت الفاء يحاكي الأحداث التي تنطوي على البعثرة والتشتت دونما عنف أوشدّة"[1].

وقد لاحظ عباس هنا أنّ "العربي ربط الصّورة البصرية للحدث أوالمعنى، وبين الصورة البصريّة لكيفية خروج صوت الحرف من الجهاز النّطقي، وقد كان مع باقي الحروف يربط بين الصور البصريّة للحدث والصّورة الصوتية للحرف إيحاء"[2]، ومن الألفاظ التي استدل بها عباس : فَأَسَ (شقّ)، فأَي (فلق)، فتَق (شق)، فذَخ (شدخ)، فدَغ (كسر)، فزَر (شق)...[3]

ونجد أحمد زرقة يسميها بالفاء الفوّارة، وقد استمدّ اسمها من العين الفوّارة أي العين الأرضية التي يتدفق ماؤها إلى أعلى، وكأنه هواء حرف الفاء ما بين الأسنان والشفة مدفوعاً إلى أعلى.[4]

وإذا ما التفتنا إلى أسرار الفاء عند المتصوفة نجد ابن عربي قد حدّدها كالآتي : "الفاء من عالم الشهادة والجبروت والغيب واللُّطف، مخرجه باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، عدده : ثمانون وثمانية، بسائطه : الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي، يتميّز في الخلاصة، له غاية الطريق، طبع رأسه الحرارة والرطوبة وسائر جسده بارد رطب، فطبعه الحرارة والبرودة والرطوبة، عنصره الأعظم الماء، والأقل الهواء، يوجد عنه ما

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[2] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] يراجع: المرجع نفسه، ص: 133، 134..
[4] يراجع: أسرار الحروف، ص : 130.

يشاكل طبعه، حركته ممتزجة له الحقائق والمقامات والمنازلات، ممتزج، كامل، مفرد، مثنىً، مؤنس، موحش ... له من الحروف، الألف والهمزة..."[1]

وما نلاحظه لأوّل مرّة في كلام ابن عربي عن الحروف أنّه جمع صفتين متناقضتين في حرف واحد هما : (مفرد ومثنى) و(مؤنس وموحش)، لأنّ الحرف كما عودنا من قبل إمّا مفرد وموحش أي: لانظير له رسماً ولايشاركه آخر في دوران فلكه، أوأنّه (مثنى مؤنس) أي: له نظير آخر يؤنسه في دوران فلكه معه، وقد يكون (مثلث مؤنس) أو(رباعي مؤنس).

أمّا الحرَّالي فالفاء عنده "حدّ فاصل بين تولي الحق للخلق وتوليهم لأنفسهم، حيث يكون المرء بصدد فائدة العود إلى ربّه، أو آفة التكليف لنفسه، كموقعها في : الفطرة والفصل والفرق والفقر والفناء والآفة والعفاء..."[2]

وبهذا تكون الفاء قد حملت عنده أيضا معنى الفصل والشق والتفريق الذي وجده عباس أيضا، ومازالت هي الأخرى بحاجة لمن يعتني بها بين الفكرين اللغوي والصّوفي.

---

[1] الفتوحات المكيّة، 1/ 320، 321.
[2] تفهيم معاني الحروف، ص : 48.

معاني الباء عند اللغويين والمتصوفة:

الباء حرف شفويّ المخرج باتّفاق بين القدامى والمحدثين، [1] واسم هذا الحرف معناه: "الرجل الكثير الجماع"[2].

أمّا عن معنى صوته فقد وجد ابن جني أنه ينقل حدث خفقة الكف على الأرض لونظرنا إليه في بداية كلمة بحث.[3] وعند العلايلي هو "يدلّ على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً، ويدل على القوام الصّلب بالتّفعل."[4]

ويرى حسن عبّاس أن صوت الباء "بحكم انفجاره الصّوتي بانفراج الشفتين سريعاً بعد ضمّة شديدة، فهو أوحى ما يكون بمعاني البعْج والحفْر، والقطْع والشق، والتحطيم والتبديد والمفاجأة والشدّة"[5]، كما وجده ينقل معاني، الانبثاق والظهور والسّيلان، عندما يكون في مقدمة اللفظة، دونما مدّ، بما يحاكي واقعه، انبثاق صوته من بين الشفتين إيماءً وتمثيلاً.[6]

ومن معاني الباء وجد أيضا الاتساع والامتلاء والعلو ماديا ومعنويا، بما يحاكي انفتاح الفم على مداه عند خروج صوته منفرداً ممدوداً، نحو: البأج، البجباج، الببّ، كله لمعنى (السمن)...

أمّا معنى الانبثاق والظهور والانفراج، بما يحاكي خروج الباء من بين الشفتين بعد انطباق وانفراج فنحو: بجس الماء (انفجر)، بدا، بدر، بدح بالسر (باح به)، برز(ظهر).. .

---

[1] يراجع: ص : 110، 111 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 34.
[3] يراجع: الخصائص، 163/2.
[4] مقدمة لدرس لغة العرب، ص : 210.
[5] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص:101.
[6] يراجع المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

ومعنى الحفر والشق والبعج والقطع والشدّة في : بأَر (حفر)، بتّ، بتر، بتع، بتك...[1]

وقد أعطى أحمد زرقة للباء اسم البرّانية[2]، ولم نجد لهذا اللفظ تفسيراً عدا كونها من الحروف الظاهرة المخرج أي مخرجها بارز للعين.

أمّا عند أعلام المتصوفة فقد وجدنا معاني الباء وأسرارها كالآتي:

يقول ابن عربي معرفاً الباء : "اعلم ... أن الباء من عالم الملك والشهادة والقهر، مخرجه من الشفتين، عدده اثنان، بسائطه: الألف والهمزة واللاّم والفاء والهاء والميم والزاي، يتميز في عين صفاء الخلاصة، وفي خاصّة الخاصّة، له بداية الطريق وغايته ... طبعه الحرارة واليبوسة وعنصره النار، يوجد عنه ما يُشاكل طبعه، حركته ممتزجة، له الحقائق والمقامات والمنازلات، خالص، كامل، مربع، مؤنس، له الذّات، ومن الحروف، له الألف والهمزة..."[3]

أمّا معنى الباء عند الحرَّالي فهو "السّبب الموصل لما إليه الحاجة، فإن كان مع إعلام فهو باسم الله، وإن كان مع إجهال فهو بما دونه، وما كان باسمه فهو إيمان، وما كان بما دونه فهو كفران..."[4]، ويكمل وصف الباء قائلاً : "ولما فيه من هذا التسبيب والحجاب والبعد لم ينزل في أوائل سور الحروف..."[5]

وقد لاحظنا دوماً في جانب من الجوانب قرابة بين تحديد الحرَّالي لمعاني الحروف والضبط اللغوي لمعناها، فهنا أيضا نجد ذلك مع ما قاله العلايلي في معنى الباء وهو بلوغ

---

[1] يراجع: المرجع السابق، ص:101، 103.
[2] أسرار الحروف، ص:130.
[3] الفتوحات المكيّة، 321/1، 322.
[4] تفهيم معاني الحروف، ص : 42.
[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المعنى في الشيء بلوغاً تاماً، وبين المفهوم الذي جاء عند الحرَّالي والذي يرى فيه معنى الباء السبب الموصل لما إليه الحاجة.

لكن عناية الجيلي، بهذا الحرف فاقت شيوخ المتصوفة الآخرين فهي عنده أهمّ ماجاء في شرحه (بسم الله الرحمن الرحيم)، فالباء عنده عالم واسع ونقطتها مكمن السّر فيها، يقول الجيلي : "تقول النقطة للباء أيها الحرف، إنّي أصلك لتركيبك مني بل إنك في تركيبك أصلي، لأن كل جزء منك نقطة فأنت الكل وأنا الجزء والكل أصل والجزء فرع، بل أنا الأصل على الحقيقة لأن تركيبك عيني، لا تنظر إلى بروزي وراءك، فتقول هذا البارز غيري، ما وراءك إلاّ هويتي ولولا وجودي فيك لم يكن لي بك هذه العلاقة..."[1]

والباء ألف مبسوطة كما يرى الجيلي[2]، وهذه النُّقطة هي" إشارة إلى ذات الله تعالى الغائب خلف سرادق كنزيته في ظهوره لخلقه، ألا تراك ترى النقطة ولا تحسن تقرأها البتة لصُموتها وتنزُّهها عن التقيد بمخرج دون مخرج، إذْ هي نفس الحروف الخارجة من جميع المخارج، فتنبه لما تقابله من هوية غيب الأحديّة".[3]

ويرى الجيلي أنّ "الباء هي النفْس وهي حرف ظلماني، وليس في البسملة بأسرها من الحروف الظلمانية إلا هي، وأعني بالحروف الظلمانية (ب، ج، د، ز، ف، ش، ت، ث، خ، ذ، ض، ظ، غ)، لأن الحروف النورانية التي هي في أوائل السور مقطعة هي:(أ، هـ، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ص، ق، ر.) فجعل الحق حرف الباء أول القرآن في كل سورة، لأن أول حجاب بينك وبين ذاته سبحانه ظلمة وجودك، ... ومن

[1] الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، ص : 16.
[2] يراجع المصدر نفسه، ص : 14.
[3] المصدر نفسه، ص:13، 14.

هذا كانت الباء ثوباً على النقطة لأنها فوقها والثوب فوق الملابس، فكانت الباء ظلمة نور النقطة محجوبة بوجودها التي هي العالم البارز عن العالم الجمالي النقطي"[1].

ويضيف الجيلي بأن حكمة ظهور النقطة وراءه إشارة إلى أنّ الأمر الحقيقي وراء ما ظهر. ويفسر قضية علاقة النقطة بالباء والتصاقها بها تفسيراً لغوياً معتمداً على عمل الباء فيقول : "لما التصقت النقطة بالباء كان الباء في الكلام مستعملا للإصاق، ولما كان نظر النقطة ممدودا إلى الباء كان الباء في كلام العرب مستعملا للاستعانة ..."[2]

وقد غاص الجيلي بالباء بعيداً جدّاً عن قدرتنا على الفهم والتتبع، وهذا باب واسع لمن شاء النظر فيه.

---

[1] المصدر السابق، ص : 18.
[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

معاني الميم عند اللغويين والمتصوفة:

الميم حرف مخرجه شفوي، هو أيضا _كالباء_ لم يجد بين القدامى والمحدثين اختلافا في هذا[1].ومعنى اسمه: "الخمر"[2]أو"البرسام"[3].

ويرى الشدياق أنّ "من خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر، نحو أرم، أزم وثرم، ثلم، حسم، حطم..."[4]، أمّا صوت الميم فمعناه الانجماع [5]كما يرى العلايلي، لكنّ حسن عباس ينقل لنا مجددا موحيات صوت الميم بالاعتماد على كيفية حدوثه، فيقول: "يحصل صوت هذا الحرف بانطباق الشفتين على بعضهما بعضا في ضمّة متأنية وانفتاحهما عند خروج النّفس، ولذلك فإنّ صوته يوحي بذات الأحاسيس اللمسيّة التي تعانيها الشفتان لدى انطباقهما على بعضهما بعضا، من الليونة والمرونة والتماسك مع شيء من الحرارة."[6]

وقد توزّعت هذه المعاني التي ينقلها صوت الميم على مراحل حدوثه، فقد وجد عباس أنّ "انطباق الشفة على الشفة مع حرف الميم يماثل الأحداث الطبيعية التي فيها السدّ والانغلاق، كما أنّ ضمّ الشفة على الشفة بشيء من الشدّة والتأني قُبيْل خروج صوت الميم، يمثل بداية الأحداث التي فيها المصّ بالشفتين والجمع والضمّ، أمّا انفراج الشفتين أثناء خروج صوت الميم فهو يمثل الأحداث التي يتمّ فيها التوسع والامتداد"[7].

ونجد أحمد زرقة يطلق على الميم صفة المائية[8]، ولا ندري ما مصدر هذا اللفظ عنده من حيث علاقة الميم بمعناها، ولعله أخذه من صفتها ونقصد هنا التوسّط. أوكما

---

[1] يراجع:ص: 193، 194 من البحث.
[2] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 44.
[3] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص : 142.
[4] الساق على الساق فيما هو الفرياق، ص:2.
[5] مقدمة لدرس لغة العرب، ص:211.
[6] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص:72.
[7] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[8] أسرار الحروف، ص : 130.

يطلق عليه المحدثون المائع، أوأنّ أحمد زرقة استفاد من لفظ الماء كونه يبدأ بالميم وهو مصدر للحياة.

وقد توجه المتصوفة بعناية كبيرة إلى لميم، فهي عند سهل التستري من الحروف الشريفة التي تكتسب منها باقي الحروف جمالا وبهاء.[1]

والميم عند ابن مسرّة مشيئة الله، وقيل مُلكة ومَلكوته، وقيل هو المكان لجميع الأشياء كلها، وهو من الصيرورة، لأنّ فيه ظهرت صورة الأشياء وتمت.[2]

وابن عربي جعلها مع النون والواو، في رسالة منفردة، جاء فيها أنّ الميم لآدم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، أي أن الميم الأولى من لفظ (ميم)، فهي لمحمد والياء تصل بينه وبين الميم الثانية التي هي (ميم) لآدم، ويرى ابن عربي أن العلاقة بين محمد وآدم روحانية، وبين آدم ومحمد جسمانية[3]، كما رأى أنّ في الميم بذلك معنى الروح، لذلك كان شكلها دائرة كاملة لا يمكن أن تقطع لو قطعت لانتهت الميم والروح.[4]

وللميم الحظّ نفسه الذي كان لباقي الحروف، حين قدمها ابن عربي في عنوان خاص في فتوحاته، فيقول : "اعلم... أنّ الميم من عالم الملك والشهادة والقهر، مخرجه مخرج الباء، عدده أربعة وأربعون، بسائطه: الياء والألف والهمزة... يتميّز في الخاصّة والخلاصة وصفاء الخلاصة، له الغاية ... طبعه البرودة واليبوسة، عنصره التراب، يوجد عنه ما يشاكل طبعه، له الأعراف، خالص، كامل، مقدّس، مفرد، مؤنس، له من الحروف الياء..."[5]

---

[1] رسالة الحروف، ص : 370.
[2] رسالة الحروف، ص: 323.
[3] يراجع: رسائل ان عربي (كتاب الميم والواووالنون)، ص: 96، 97.
[4] يراجع: الفتوحات المكيّة، 163/2، 164.
[5] الفتوحات المكيّة، 322/1.

كذلك الحرَّالي تحدث عن معنى الميم وهو عنده "التّمام الذي ينتهي إليه الابتداء مطلقا أومختصاً، فلكل تمام ابتداؤه ولكل ابتداء تمامه"[1]، ويرى الحرَّالي أنّه باستطاعتنا استقراء هذا المعنى "في كلمة الجسم الذي هو انتهاء خلقه، وفي كلمة الأديم الذي هو منتهى جسمه، وفي آدم الذي هو منتهي خلق السماوات والأرض ..."[2]

كما كان للجيلي فهم للميم ينطلق من منظور خارجي، وهو شكلها إذ يشرحه لنا، فيقول : "الميم عبارة عن الوجود وهو الحقيقة الجامعة للغيب والشهادة، ألا ترى إلى تجويف رأس الميم كيف هو محل النقطة البيضاء، وقد مضى لك أن النقطة هي الكنز المخفي، فقل إنّ الدائرة من تجويف رأس الميم هي الحق الذي يظهر في الكنز المخفي..."[3]

ويضيف : "واعلم أنّ الميم هو روح محمد صلّى الله عليه وسلم... والنقطة البيضاء التي في جوف رأس الميم عين محمد صلى الله عليه وسلم، الذي هو الكنز المخفي ..."[4] و"عدد الميم أربعون وهذا العدد هو عين كمال الاعتدال في كل شيء."[5] ويرى الجيلي أن "هذا العدد هو أصل الأشياء وبه كملت تخميرة طينة آدم، وهو أول موجود في العالم الإنساني، ظهر في المرتبة الرابعة من العدد لأن العالم بأجمعه ليس فيه إلا أربع أنواع : قديم أوحديث، كثيف أولطيف، وما ثمَّ إلاّ هذه الأربعة فجمعهما هو عين هذا الميم المحمدي..."[6].

ويقارن روني غينون بين الميم والنون، ليجد أن الميم "من أهم دلالاته: الموت وهو ما يوحي به شكله مثل الذات المنطوية على نفسها كأنها مجرّد ماهية إمكانية، وتناسبه

---

[1] تفهيم معاني الحروف، ص : 39.
[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3] الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، ص : 26.
[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[5] المصدر نفسه، ص : 27.
[6] المصدر نفسه، ص : 29

أيضا وضعية السجود في العبادة، لكن هذه الإمكانية التي تبدو مرحليا كحالة عدميّة، تتجوهر فوراً، بتركيز كل المقوّمات الذاتية للكائن في نقطة فريدة لا تقبل التلاشي، وهي تلك البذرة التي ستفلق عنها مستقبلا جميع تطوراتها في المراتب العليا"[1].

ويبقى هذا حال الميم بين اللغة والتصوف فهي بدورها تحتاج لبحث متخصص .

[1] روني غينون (الشيخ عبد الواحد وافي)، أسرار حرف النون، تر: عبد الباقي مفتاح، ضمن: التصوف الإسلامي المقارن، ص:71 (مخطوط ملك صاحبة)، ويراجع: روني غينون، أسرار حرف النون، تر: فاطمة عصام صبري، مجلة التراث العربي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع : 44، تموز 1991م ومجلة الباحثون، ع : 56، شباط، 2012م.

معاني الواو عند اللغويين والمتصوفة:

الواو وضعه الخليل مع الأصوات غير الصحيحة، وقد حدد له كل من جاء بعده المخرج الشفوي مكانا للحدوث، أما هو (الخليل) فقد كان يخرج من الجوف برأيه.[1]

ومنطلق حديثنا عن الواو هنا، سيكون باعتباره نصف حركة، فقد رأينا في حرف الياء أن الواو لا يغير مخرجه، سواء كان متحركا أوساكناً، وهو أيضا في كلتا الحالتين له صورة واحدة، ولم يغير العرب رسمه ليخصّصوا لكل حالة صورة فهذا (الواو) الذي نعرفه يشمل الإمكانيتين معاً، المصوّت والصامت.[2]

قيل في معنى اسم الواو أنّه "البعير ذو السّنام العظيم"[3]و"الفالج"[4]و"الموت"[5]، أمّا صوته فقد قال العلايلي إنّه "يدلّ على الانفعال المؤثر في الظواهر"[6].

ولم يجد حسن عباس في الواو ما وجده في باقي الأصوات من معان ودلالات واضحة، وقد لخّص فهمه له بالقول: "صوت الواو الحاصل من تدافع الهواء من الفم يوحي بالبعد إلى الأمام"[7]، وقد كانت الألفاظ التي تشمل الواو كلها تحمل معناها الأساسي من صوت آخر غير الواو فيها، ومن أمثلة عباس على ذلك: وَأَمَه (وافقه) يعود المعنى للميم، وَبَصَ البرق (لمع وبرق) المعنى عائد للباء والصاد، وَتَدَ (ثبت) وهنا للدال... الوَخَم (تعفن الهواء) يعود معناه للخاء...[8]

---

[1] يراجع: ص: 201، 202 من البحث.
[2] يراجع: كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص :99، 100.
[3] الخليل، الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص: 46.
[4] الرازي، كتاب الحروف، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، ص:142.
[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[6] مقدمة لدرس لغة العرب، ص: 211.
[7] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص:97.
[8] يراجع: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والواو يصفها أحمد زرقة بالهوائية، وهو بدوره أورد مجموعة من الألفاظ يعود معناها بالأصل للصوت المرافق للواو، وقد كانت كلها من الرباعي المضاعف المحاكي للصوت (وأوأ، وحوح، وسوس، ولول)[1].

أمّا عندما نتوجه إلى دلالات الواو وأسرارها عند المتصوفة نجد سهل التستري يقول:"والواو هي القوّة الحيوانية، وهي جاريّة بأشدّ الحركات وأقواها، الذي هو الرفع وهو يشبه في نسبته إلى المجسمات طبيعة النّار ... وله من القوى: القوة الباصرة والقوة السامعة، والشّامّة والذائقة واللّامسة والغضبية والمحركة، فهو سبع قوى."[2] كذلك يقول ابن مسرة "الواوهي النفس الحيوانية"[3]، وهي منحنية، فكل ما له نفس حيوانية فقط تجده راكعا منحنيا مثل الواو.[4].

أما ابن عربي فقد أشرنا من قبل إلى أنه خصص رسالة للميم والنون والواو، وفيها يقول عن الواو:" أما الواو، فهو حرف شريف له وجوه كثيرة ومآخذ عزيزة، وهو أول عدد تام، إن له من العدد ستة"[5]، وقد رأى الواو يتحقق بالهاء، لأن الهاء والواو عين (الهو) التي يقال لها الهوية، ولتحققها بالهاء وجدت على صورتها في نوع من أشكال الهاء، وُصِلت الهاء أوقطعت، فإن كانت مقطوعة كانت رأس الواو:(٥). وإن كانت موصولة: (ـه) كانت واوا مقلوبة، وكيفما كانت فمازالت عن الواو.[6]

وللواو عند ابن عربي حظ باقي الحروف من التعريف بصفاته وأسراره الصوفية، فهو : " من عالم الملك والشهادة والقهر، مخرجه من الشفتين، عدده الستة، بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء...يتميز في خاصة الخاصة، وفي الخلاصة، له غاية الطريق، طبعه الحرارة

---

[1] يراجع: أسرار الحروف، ص : 131.
[2] رسالة الحروف، ص: 369.

[3] رسالة الحروف، ص:232.
[4] يراجع: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[5] رسائل ابن عربي، رسالة الميم والنون والواو، ص: 93.
[6] يراجع: المصدر نفسه، ص: 94.

والرطوبة، عنصره الهواء، يوجد عنه ما يشاكل طبعه، حركته ممتزجة، له الأعراف، خالص، ناقص، مقدَّس، مفرد موحش، له من الحروف الألف."[1]

ومعنى الواو عند الحرالي العلو بالولاية الظاهرة لدى سَلْطَنَة أوعَلَم، كما هو في: الولاية، السمو، الفوق، اللواء، الحول، القوة، وللواو برأيه أيضا الغلبة على الألف والياء وهما منه.[2]

أما عند ابن البناء المراكشي، فالواو يدل على الظهور والارتفاع والارتقاء، فهو جامع لأنه من غلظ الصوت وارتفاعه بالشفة معا إلى أبعد رتبة في الظهور.[3]

وليس في هذا المعنى ابتعاد عن المعنى الذي تنقله اللغة لنا.

---

[1] الفتوحات المكية، 323/1.
[2] يراجع: تفهيم معاني الحروف، ص: 50.
[3] يراجع: عنوان الدليل، ص:32.

الخلاصـــــــــــــة:

عدَّ أغلب اللغويين الصوت مرآة تعكس الوجدان، أي مشاعر النفس البشرية وأفكارها، واعتبره آخرون الوجدان في حد ذاته. إذ لم يفرق هؤلاء بين أصوات اللغة والوجدان، فاللغة ليست صفة الوجدان عندهم بل هي الوجدان عينه.

ومازال باستطاعة الصوت نقل الأحاسيس بصورة تعجز عنها الكتابة، إذ تُسمِعك النبرة ما لا تنقله الكلمات المكتوبة، فتدرك الشجن والخوف والألم، كما تدرك الفرحة والانبساط من الأصوات وحدها.

وعندما أمعن اللغويون العرب في خصائص لغتهم، أعجبوا بذوبان المعنى في الصوت، وذوبان الصوت في المعنى، حتى صار للصوت الواحد معنى يكاد يكون أساسيا يختص به، يتغير نسبيا متى تغيرت الأصوات المجاورة له في الكلمة، قوة وضعفا سعة وضيقا، لكن معناه الأصل يبقى ثابتا.

وبقدر اعتناء اللغويين بالرابط بين الصوت ومعناه، كان اعتناء المتصوفة به، بل إنهم لم يكتفوا بالصوت وعلاقته بالمعنى، بل توجهوا أيضا إلى الرسم وعلاقته بالمعنى، ففسرت معاني الحروف وأسرارها عندهم تارة من جهة الصوت وأخرى من جهة الرسم، كما فعل ابن عربي مع الألف والنون والواو والميم، وكما فعل الجيلي مع الألف والسين والهاء...

وقد وجدنا أن معاني الحروف وأسرارها عند المتصوفة بحر عميق، لم نغادر ـ في عملنا هذا ــ سطحه، لما فيه من غموض وتعقيد.

ولكن عادة الدارسين في تناولهم الحرف العربي اقتصرت دوما على جانب علاقة صوته بمعناه لغويا فقط، جعلتنا نرغب في طرح هذه الزاوية من الرؤية، والتي توجه لها المتصوفة، وهم أنفسهم يعدُّونها من قبيل الأسرار والفتوحات، والعلم بها ليس للعوام، لكنه

علم عند إمعان النظر فيه، لا نجده ـ في الأصل ـ قد خرج عن أبعاد الحرف اللغوية، صوتا أورسما.

وقد أردنا في خلاصة فصلنا هذا، أن نلخص ما جاء عند اللغويين والمتصوفة من معان وأسرار للحروف، فكان ذلك غير ممكن، إذ لم نجد ما يُترك أو يُوجَز من المادة المقدمة في هذا الفصل. لذا نرجو من القارئ الكريم أن يتابع أسرار كل حرف على حده في عنصره الخاص.

الخاتمة:

الخاتمـــــــــــة :

للحرف جوانب ثلاث يعرف بها، هي: صوته، رسمه ومعناه، وقد نوقشت علاقة الصوت بالمعنى منذ بداية الدراسات اللغوية عند العرب. إلا أنّ جانب الانسجام بين الصوت والرسم. لم يأخذ حقه من الدراسة، وهو ما نأمل أن نكون قد بسطناه في بحثنا هذا بشكل علمي، فقد اجتهدنا، قدر استطاعتنا حتى لا يخرج تفسير عناصر الانسجام عن الواقع الصوتي، الذي وصفه اللغويون. وكان ما قدّموه هو عمدتنا لبناء تصورنا عن الانسجام.

إنّ تطور الحرف العربي رسماً عن النبطية تؤكده كل الدراسات العلمية الحديثة المعتمدة على نقوش ملموسة، وقد ابتدأت عبقرية الرجل العربي تظهر ملامحها في التعبير بالرسم عن صوته، من خلال محاولات الأنباط الأولى لزرع الاستدارة في الحروف التي كانت كلها انكسارات، ورثتها عن المسمارية.

فالعربي سَحَرَهُ هذا الحرف بأبعاده الثلاث وتعامل معه لغويا وصوتيا .وقد جسدت النظرة الصوفية للحرف العربي وجهة نظر مخالفة، هي أيضا غائبة غالبا عن الدراسات اللغوية العلمية، لما فيها من طرح أحيانا يكون ميتافيزيقيا، خارجا عن حدود الواقع الصوتي والكتابي للحرف، مع ذلك حاولت دراستنا جاهدة إعطاء هذا الجانب حقه من العناية، بل تدعو كل مهتم إلى التخصص في مصادر ثقافة المتصوفة، في ما يسمونه علم أسرار الحروف، وربط ذلك بجوانبه اللغوية في دراسة خاصة فقط بهذا الجانب.بعيدا عن غلو بعض أعلامهم في هذا المجال.

أما النتائج التي تريد خاتمة بحثنا أن تسلّط عليها الضوء، فهي تتمثل فيما وجدنا من فكرة الانسجام بين الصوت ورسمه، وهو ما نوجزه هنا لكل حرف على حده مبرزين بإيجاز كيف يمثل الرسم صوت الحرف.

وفي هذه المساحة نتوجه لكل باحث في اللغة قائلين: إنّ هذه النظرة للانسجام. لو صقلت بدراسات أخرى _ندعو الباحثين لها_ قد تسهل كثيراً عملية تلقين اللغة والحروف للصغار، بالمزج بين الملموس والفكر معاً، وهذا المزج من أكثر وسائل التعليم رقيا اليوم، وأسرعها وصولاً للأهداف في زمن أقل.

ونعرض الآن كل الحروف موجزين الرابط بين الصوت ورسمه وفق الانسجام الذي صنعه الرجل العربي، عبر تاريخ طويل من النبطية حتّى القرن 2 هـ .

الهمزة (ء) :

الهمزة صوت قديم، لكن رسمه في العربية حديث العهد مقارنة بعمره النطقي، فهو صوت تواجد عند الشعوب السامية، وورثت العربية عدم ثباته كتابة من الكتابة الآرامية، أصل الكتابة النبطية، إذْ يظهر تارة بصورة الألف وأخرى بصورة الواو، وأخرى بصورة الياء، لكنه عند العرب وقبل تسميته (همزة) كان يدعى (الألف)، وأكدّ اللغويون صحة هذه التسمية كونها تحمل صوته في أولها، كما هو الحال مع باقي الحروف، وقد اقتبس الخليل بن أحمد الفراهيدي رمز هذا الصوت بناء على مقارنة صوتية بين كيفية إنتاجه وكيفيه إنتاج أقرب الأصوات منه مخرجا وهو العين، فأخذ صورة هذا الأخير وصغرها لكي تكون دالة عليه وسميت الهمزة ولم يطلق عليها الألف لأن الألف هو واحد من مظاهرها الكتابية، كما أنه مدُّ الفتحة مع أي حرف غيرها.

وقد واجهت الهمزة مشكل عدم ثبات اللغويين في كونها مجهورة أو مهموسة، وهي في الواقع صوت لا يستدعي البحث في هذا الأمر، كون الأعضاء محلّ الجهر والهمس (الوتران

الصوتيان) قد اشتغلت بمهمة أهمّ، وهي كونها مخرج الصوت في حد ذاته، وهو انفجاري الحدوث، فشغلها بحال ثالث غير الجهر والهمس.

ولأن رسم هذا الصوت لم ينضج كفاية ولم يمر على أيد تمحّصه، كما حدث مع الحروف حال نقطها، بل إنه ولد بعد هذا التاريخ، صعب علينا تفسير مدى القرابة بينه وبين صوته.

الباء (ب):

صوت شفوي، استمد رسمه من عناصر عدّة، أقدمها صورته :(ﻟـــﺒ) وهي توضح حال الشفة السفلى عند نطقها وهي الرسم الأول الذي استمدت منه التاء والثاء شكلهما، لقربهما منه مخرجا وشبههما في هيئة الشفة السفلى فيه، فثلاثتها تتمطَّط الشفة السفلى ممتدة إلى الجانبين، وهي أطول الحروف (وما يوافقها رسما) في امتدادها أفقيا على السطر إذ تأخذ أفقيا طول الألف وهي بذلك القدر تساوي قطر الدائرة التي يُعتمد عليها عند رسم الحروف العربية وقياس أطوالها، وعندما قورنت مع شبيهاتها أثناء نقط الحروف، قام الناقط باختيار نقطة واحدة أسفلها لأنّها تمثل حدثا انفجاريا سفليا مقارنة بالتاء، والثاء. إذ تنزل الشفة السفلى مع الفك السفلي حال انفصالها عن العليا لينفجر الصوت مسموعا (ب).

التاء (ت):

صوت لثوي أسناني، استمد رسمه من الأصل (الباء)، وهو من الحروف القديمة وليس برادف، وفيه يتضح ما وضَّحته الباء عن الشفة، لكنّه اختلف عنها باختيار النّاقط نقطتين له من الأعلى، وذلك لما فيه من امتداد العضلتين الجانبيتين للسان، وهما تتصلان بأصول الثنايا العليا قريبا من الأنياب، فالتاء ليست انفجارا سفليا بل علوي يعتمد فيه الضغط على نقطتين اثنتين هما نقطتا ضغط العضلتين الجانبيتين للسان، لذا كان له (ت) نقطتان أعلاه.

الثاء (ث):

وهو صوت أسناني، وهو الشبيه الثالث للباء، اتفق معها في الرسم : ـثـ وذاك للسبب نفسه، أما نقاطه فقد وضعها النّاقط، لينقل انتشار الهواء بين الأسنان العلويّة وهو يخرج بقوة متدافعا بين فجواتها الثلاث، فكان الرسم ث أنسب نقل للحال النقطي لهذا الصوت.

الياء (ي):

الياء صوت غاري، بصورته الصامتة، وهي في العربية تعدّ واحدة من صور كتابتها في النبطية، وهي برسمها المستقل في العربية لا تبتعد عن الكاف ولكنها عند كتابتها أول ووسط الكلمة تشبه الباء والتاء والثاء. لكنها الوحيدة من بينها نقط أسفلها باثنتين لما فيها من الانخفاض الشديد، فهي تشارك حرفي:ب، ج في اختصاصها بالنقط أسفلها للسبب نفسه، لكنها أشدُّ انخفاضا منها، فخصت باثنتين من بين حروف العربية لذلك.

الفاء (ف):

الفاء صوت طالما وضعه الكاتب للألفباء قرب القاف، وظنّ أغلبهم أنَّ هناك قرابة بين الاثنين، ولكنهما بعيدتان مخرجا ورسما. ولعلّ الأولى بالقاف أن تكون قريبة من النون والواو، فالواو بعضها رسما والنون تحمل تعريقتها. أمّا الفاء فتشبهها في الدائرة فقط أمّا أصل تعريقتها فهو الباء، فهي فوق السّطر دائما ولا تنزل عنه. والفاء اسمها يوافق الباء ولا يوافق القاف، وهي حدوثا أقرب مخرجاً من الباء، بل إنّ ابن سينا يعتقد أنّ حدوث الفاء لا يتم بين الشفة السفلى والأسنان العلوية، بل بين الشفتين مع وجود فراغ بسيط بينهما تجسده دائرة الفاء:(o)، التي تضاف للباء (ـبـ) وقد نقطت أعلاها بنقطة واحدة، تفريقا بظنهم بينها وبين القاف، لكنّ النقطة الواحدة تناسب حدث الاحتكاك فيها، ولو قورنت بالقاف

فإننا نجدها قد نقطت عند المغاربة بنقطة أسفلها كالباء وزادت عنها بالدائرة فقط، أمّا القاف فقد نقطت كالنون نقطة واحدة أعلاها، وهي تحمل دائرة النون عينها : (ڽ)، لذلك فإننا هنا نضع الفاء تلي الباء وليس قبل القاف.

الجيم (ج) :

الجيم صوت غاري، أخذت صورة الحاء برأي البعض ونقطت نقطة أسفلها، وهي صوت يحدث مشابها للدال وليس للحاء، فهما (ح ، ج) بعيدتان مخرجا، لذلك نعتقد أنّ رسم الجيم لم يُستمد من الحاء بل هو تضييق في الدال وتحديد لزاويته أكثر، لما فيها من التضييق حين إنتاجها، وكأنها من الناحية النطقية بعض الياء، إذ يشعر الناطق معها بمعنى الإصمات فعليا، حتى أنها تنطق ياء عند بعض الأقطار بشبه الجزيرة العربية اليوم.فذلك النزول جعل الناقط ينقطها من أسفلها بنقطة مقارنة بما يرونه يشبهها رسما من الحروف : الحاء والخاء، كما أن الجيم لم تأخذ نفس وزن أسماء هذين الحرفين، فهي مُدَّت بياء فميم، وهما مُدَّتا بألف فهمزة، لذلك لا نظنّ أنه قريب لهما رسماً، كما أنّه من المؤكد أنه لا يقربهما نطقا.

الحاء (ح):

الحاء صوت حلقي، وقد ضبط ابن سينا حدوثها وكأنّه يصف رسمها معه، فهي بشكلها هذا تعبر تماما عن حدث التضييق الداخلي الذي يتبعه اتساع، فليس فيها إرجاع للهواء بل دفع له بقوّة من نقطة التضييق التي يساعد عليها لسان المزمار، حتى بداية الاتساع عند نهاية الحلق عند الفم، وهو وضع الانفتاح المرسوم: حـ =

وهذا الشكل صقلته العربية، وقد كان للحاء منذ مراحلها الأولى. مع أنها في النبطية عانت من الازدواجية مع الجيم، رغم ما لاحظنا اليوم من فرق بينهما.

العين (ع):

العين أيضا حلقية، لكن مخرجها أضيق قليلا من الحاء أين يتردد الهواء بشكل لا يفارق مكانه ولا يختص بجانب ولا يندفع إلى الأمام، أي هو أقل ضيقا من الحاء لكن مع تردد الهواء في المكان عينه وهو ما يناسب تماما الشكل : ، فهي حاء رُدَّ خطها العلوي إلى الأمام، لتردد الهواء في المكان عينه دون خروج في حركة دورانية، وهو ساكن حتى تتبعه حركة، وليس من الغريب أن شكلها تطوّر من شكل الدائرة المغلقة ثم فتحت النبطية أحد جوانبها وحَذَت العربية حذوها، ثم صُقل الرسم بقواعد الخط العربي، مع محافظتها على انغلاقها عند اتصالها بحرف يسبقها.

الخاء(خ):

الخاء صوت عربي حلقي، جاء رسمه مع الروادف، وقد وصف ابن سينا أيضا نطقها وكأنه يقابله برسمها، فهي بدورها صوت يضيق فيه المجرى بين مؤخر اللسان ونقطة تقع بين نهاية اللهاة وأول الحنك الأعلى المسماة اليوم بالطبق، حيث يُضغط على الهواء هناك مع رطوبة قوية تحتك عند سقف الحنك الأعلى، وهذا الشكل:

هو عينه التضييق مع تدحرج الرطوبات أعلاه، ويصف ابن سينا هذا الحدث بالاحتكاك الرطب مع التشذب والتشظّي، فكانت الخاء برسمها : **خ** أحسن تعبير عن حال النطق هذا، فقد نقط من طرف ناقط لم يختر لها النقط أسفل الحرف، لأنه لا يناسبها صوتيا.

أمّا جزؤها الأصل:**ح** فهو من الحاء قريبتها مخرجا، والتي توافقها في طابع الحدث الأصل وهو التضييق الذي يتبعه انفتاح .

الغين(غ):

صوت عربي حلقي، لحق رسمه هذا مع الروادف، وحركة دفع الهواء في هذا الصوت تميل إلى ترديده أيضا دورانيا في محله فلا يميل إلى الخروج نحو الخارج، وما رأيناه بين الحاء والعين، هو الحال ذاته بين الخاء والغين، فالغين تفسر بعلاقتها مع الخاء لأن الرسم:**خ**، دافع للهواء والرطوبات أمّا: ، فهو يردّها لنقطتها حيث تتردد هناك، وكان النقط لهما معا للسبب نفسه، وهو تواجد الرطوبة والاهتزاز الناتج عن ذلك فيهما.

لذلك فالغرغرة التي هي ترديد هذا الصوت في الحلق، تطلق أيضا على ترديد الماء فيه، وتمكّننا من الشعور بالحدث الموازي لما يفعله الهواء هناك.

الدال(د):

صوت لثوي وهو كما يصفه ابن سينا أقل في الكم من التاء، من حيث اتصال طرف اللسان بأصول الثنايا، وقد رأينا لم أخذت: **ت** هذا الرسم، والدال هو أقل منها عرضا، فصُغّر طول امتداده على السطر مقارنة بها: ، وزاد ارتفاعه على السطر عن ارتفاع نبرة التاء، وللحرف العربي مقاييس تتعلق بتواجده داخل دائرة، فيأخذ بعضا من شكلها بمقدار، كما أن الدال يعبِّر في الوقت نفسه عن بعض الطاء: ، فهو شبيهها حدثا لكنه غير مطبق، ممّا يؤكد أن رسم الحروف العربية كان مراعيا دوماً لهيئة النطق.

الذال(ذ):

صوت أسناني، عربي لكن رسمه رادف، وهو من حيث تفسير رسمه يشبه الدّال، فهو مستمد منه عبر تاريخ الحرف العربي، وعند النظر في ذلك نجده بدوره بعض الثاء:

، كما كانت الدال بعض التاء. فأخذ من ثم جزءاً من رسم خط الثاء أفقيا، ولم يأخذه كله، فطرف اللسان فيه لا يمتد نفس امتداده مع الثاء بين الأسنان، كما أنه أيضاً

جزء من الظاء: ظ ، كما كانت الدال جزءا من الطاء، فهو نظير لها صوتيا لكنه غير مطبق . وكانت له النقطة دون الدال لما فيه من اهتزاز يحرك الأسنان نفسها عند النطق.

الراء(ر):

صوت لثوي، كانت الكتابات القديمة تدلل به على الرأس، وتخلصت الكتابة النبطية أصل العربية من معنى الرأس، ورُسم الراء: (ر)، ويمكن فهم وتوضيح الانسجام بين هيئة نطقه ورسمه من خلال علاقة ثلاثية بين الراء واللام والنون، فهي من حيث التقاء طرف اللسان وحافته بسقف الحنك الأعلى وأصول الثنايا، تتفاوت تماماً كما تعبر عن ذلك أشكال هذه الحروف، فالراء كان بين اللّام والنّون مساحة، لأنه بينهما حدثا أيضا.

ولأن الراء كان بين اللام والنون جاء رسمه هكذا: ڔ ، وهو ما كان ليزيد عن حجم النُّون بسبب قواعد الكتابة العربية داخل الدائرة، ولا كان النون ليصغر عن نصف الدائرة أويزيد لسبب تاريخي قديم عززته المعارف الصوفية، وهي كون هذا الصّوت يعبّر من جهة أخرى عن قضية تاريخية، فتارة يدل على الحوت (النون) وأخرى على نصف الكون الظاهر، أو نصف بيضة العالم كما يسميها المتصوفة.

ورغم كون الراء أدخل إلى ظهر اللسان من النون، وأقرب للام، إلاّ أن الملامسة فيه للحنك الأعلى لا تجسدها المساحة، بل إنّ هذه المساحة تقترب من الحنك الأعلى وتطرقه بتكرار منتجة هذا الصوت، أي أنه يأخذ حوالي ثلث زمن اللام اتصالا، في الطرقة الواحدة.فأخذ رسما ما يوازي ثلث شكلها أيضا.

الزّاء ، الزّاي(ز) :

صوت لثوي أسناني، يرى ابن سينا أنه يحدث عن اهتزاز في عرض اللّسان عند اقترابه من الحنك الأعلى وانخفاض طرفه إلى الأسفل، وفي هذا يحدث ما يشبه التكرار في الراء إلاّ أن الصّوت يختلف لأن الراء ارتعاد طولي والزاي عرضي، لكنّه يمثل ملامسة للحنك الأعلى، بأجزاء دون أجزاء من اللسان.

والزاي (ز) برسمها، تعدّ رادفا على اللغة العربية، وقد أخذت رسم الراء، وكان هذا منذ القرن الثامن م متى تميزت عنها بنقطة أعلاها. ففي الزاي اهتزاز قوي لا نشهده في الراء رغم ارتعادها، لذا تميزت هي بالنقطة دون الراء لتعبر عن هذا الحدث الصوتي المفرِّق بينهما.

والزاي تشبه السين من جهة، لكنها تخالفها جهراً، وتشبه الراء من ناحية الحركة والتكرار، إلاّ أنها أخذت رسم الراء لا السين، لأن السّين احتجزها الشين لقربه منها _كما سنرى_ والراء لا نظير كتابيا لها، فأخذت رسمها الزاي. وزيدت النقطة أعلاها مناسبة لظاهرة الاهتزاز.

السّين(س):

صوت أسناني لثوي، ينتج بالاشتراك بين طرف اللسان والأسنان وأصولها، والآراء تتباين في رأس طرف اللسان أيكون فيها مجاورا لأصول الثنايا العليا، أم أنه يضيِّق المجرى قريبا من الأسنان السفلية مع تطابق الأسنان العلوية على السفلية، وهذه النقطة الأخيرة هي تفسير رسمه، كما أنّ عدم نقطه سببه أنه لا احتكاك ولا اهتزاز فيه ولا رطوبة تتفرقع.

فعند حدوث هذا الصوت يحتك الهواء ماراً من منافذه الضيقة بين الأسنان فكان شكله:

سـ ، موافقا للأسنان نفسها البارزة عند النطق به لكل من يلاحظ إنتاجها، حتى أن هذا الرسم يشبه رسمها في السريانية أيضا.

الشين (ش):

صوت غاري، وهو ليس من الروادف، بل هو حرف قديم الرسم، لكنه يوافق في العربية رسم السّين، فهو يشبهها في الفراغ الذي يتركه اللسان طوليا بشكل أخدودي بينه وبين الحنك الأعلى، لكنه مع الشين أقل ضيقا من السّين الصفيريّة.

وتكون الأسنان العلوية بادية بوضوح مع صوت الشين، حين تدافع الهواء المليء بالرطوبة، حيث يتجاوز الفراغ بين الأسنان العلوية والسفلية والفراغات ما بين الأسنان.

فقد زيدت النقاط الثلاث تعبيرا عن تفرقع الرطوبات بين تلك الفجوات الثلاث العلوية، وهذا مما ساعد الناقطين، حتى لا يُعتقد أنَّ إحدى هذه السنات المشكِّلة للشين تكون، تاء أو ثاء.

الصاد(ص):

صوت لثوي أسناني، هو كالسين لكنّ عنصره الأساس هو الإطباق، وهو في هيئة اللسان مختلف كثيراً عن السين، فله حال خاص يشكل فيها اللسان بوضع يجسده هذا الرسم :**صـ** أحسن تجسيد، وبرهان ذلك أنّ ض، ظ، ط جميعها تبنى منه وهي جميعها تنتج بإطباق، بل هي حروف الإطباق في العربية.

إنّ اللّسان لا يلمس بطرفه الأسنان، ولا أصولها في هذا الصّوت، لذا لم يكن رسمه بحاجة إلى رمز الإشاله (ا) عليه، لعدم اتصال طرف اللسان فيه بعضو ما. كما أنّ هذا الصوت احتكاكي دون تفرقع رطوبات فيه لذا لم ينقط.

فيكون بذلك الرسم :**صـ** أحسن صور التعبير عن حدوثه.

الضّاد(ض):

كان هذا الصّوت الشجري قديما واللّثوي الأسناني حديثا ميزة للعربية دون غيرها، وفي هذا نظر، وهو من الحروف التي أخذت صورتها مع الروادف، يحدث بانفجار، تشعر فيه بالجانبية كاللام، لكنه انفجار محجوز وسط مساحة واسعة من الفم، فبعد سد جوانب الأسنان حتّى الأضراس بحافة اللسان، وتجمع الرطوبات هناك ينفجر الصّوت داخل الفمّ وتتفرقع الرّطوبات بداخله دون أن يكون الانفجار قويا خارجيا كالطاء.

فهو بذلك لا يستخدم طرف اللسان أو ينفجر عنده نحو الخارج كالظاء والطاء من ثم لم تكن له إشالة (ا)، بل نُقط فقط:(ض)، لتَمَيُّزِهِ عن الصّاد بكثير من الرطوبة عند تجمع الصّوت ولما فيه من انفجار، حتى ولو كان هذا الانفجار داخلياً، أي أن رسم الضاد نقط بسبب الرطوبة والانفجار في حدوث صوته، دون الصّاد الجاف الاحتكاكي، مقارنة به، ولم توضع له إشالة لأن طرف اللسان لم يعمل كما في الطاء والظاء.

الطاء(ط):

صوت لثوي أسناني، عند حدوثه يرتفع أقصى اللسان من أجل الإطباق، ويرتفع طرفه ليكون مخرجا ويتقعر وسطه مجاريا بلين اللسان، وحدث الارتفاعين، إرتفاع مؤخره وطرفه، يشكل غرفة رنين يجتمع فيها هواء، فينفجر عند ترك طرف اللسان أصول الثنايا.

ورسم الطاء في العربية يشبه كثيرا الكتابات النبطية والحورانية ونقوش البتراء والحجر والسينائية الحديثة، لكن هذا الرسم هذبته العربية وفق مقاييس الكتابة فيها، ونقلت الإشالة فيه معنى عمل طرف اللسان بشكل ممتاز، وهذه الإشالة لم نجدها في الصّاد والضّاد لأنّ طرف اللسان لم يُعتمد عليه فيهما بنفس الهيئة .

الظاء(ظ):

صوت أسناني، لكنه مطبق، فهو من مخرج الثاء والذال، لكنه رغم توافقه معهما هيئة في قرب طرفه من الأسنان إلا أنّ مؤخر اللسان فيه ارتفع نحو الطبق، آخر الحنك الأعلى، فصار بذلك ضمن المجموعة التي يعبر عنها الرسم: صـ ؛ بمعنى الإطباق .

ويعمل طرف اللسان في الظاء مع الأسنان العلويّة بطرق مختلفة، فمنهم من يرى أنّ طرف اللسان يسد المجرى مع الأسنان العلوية، ومنهم من يرى أنّ اللسان يتواجد بين الأسنان العلوية والسفلية دافعا العليا إلى أعلى بشيء من الضغط...

وفي هذه الكيفيات يعمل طرف اللسان مع الأسنان وهو مرتفع نحوها كون وسطه مقعرا ومؤخره مرتفعا، لذا كانت الإشالة (ا) للظاء أيضا كما كانت للطاء، أمّا نقطته فهي برهان اهتزازه ورطوبته مقارنة بالطاء، وهذا ما يؤكده ابن سينا، فكان الرسم (ظ)، فعليا معبراً عن كل هذه الأحداث.

القاف (ق):

صوت لهوي انفجاري، يعتقد أغلب الدارسين أن له قرابة مع الفاء، حتّى أنّه جُمع معها في ترتيبهم الألفباء، وهو من جهة تسميته يوافق الكاف، القريبة من مخرجاً.

وقد ثبتت دائرة القاف منذ 267م، وفي عربية القرن الثامن والكتابة الكوفية وفي النسخ القديم صارت تشبه الفاء رسماً بدائرتها فوق السطر، واتخاذها الشّكل عينه أول ووسط الكلمة.

ويبدو أن انغلاق دائرة القاف عندنا في العربية، جاء تتمة لغلق الدائرة المفتوحة للغين، التي تقاربها مخرجا، بل تبدل في بعض مناطق وادي سوف – بالجنوب الشرقي للجزائر – بها. مع أن ابن سينا يرى شبها بين القاف والخاء، أمّا الغين فهي تقارب الكاف عنده.

فالقاف صوت انفجاري، وبه رطوبة أيضا فاحتاج إلى نقطة تعبر عن ذلك أضيفت لنقطة الفاء التي تختلط به رسما عند تواجده أوّل الكلمة أو وسطها، أما بآخر الكلمة فله تعريقة النون لعمقه، وللفاء تعريقة الباء لأنها شفوية مثله.

الكاف(ك):

الكاف صوت طبقي، جاءت تسميته :(كاف) موافقة للحرف: (قاف)، وهو عند أغلب القدامى لهوي المخرج معها، أي أن مكان نطق الصوتين وتسميتهما متقاربة، وقد كان رسم الكاف في النبطية والسينائية القديمة يشبه الدال، أمّا في النقوش العربية القديمة لم يحدد له رمز عند الدارسين، ولعله لم يكن موجوداً فيها. أي منذ 203 م، ثم كتب هذا الصّوت موافقا للدال، وغُير بإضافة الخطّ العائد إلى الأمام مع كتابة النسخ الحديث، وكأن هذا الرسم حافظ على صورته القديمة وزاد عليها الخط المائل إلى أوله: **د = ك**، الذي يشير دوما إلى الاتجاه نحو الجوف، ويختلف الدال والكاف في الواقع في صفة الجهر، فالكاف مهموس والدال مجهور، أمّا الانفجار ففيهما معاً وقد زاد الخط العربي، رسم كاف صغيرة داخله عندما يكون نهاية الكلمة حتى لا يختلط باللام والدال في نهاية الكلمة.

اللام(ل):

صوت لثوي، جاء رسمه في الكتابات القديمة من العصا المعقوفة، وذاك منذ السينائية القديمة حتى الكنعانية، لتُطَوِّره الآرامية: (ل) ، ثم عكسته العربية: (ل) وصقلته بما يُناسب خطّها وأصواتها.فاللام، هذا الصوت ينتج عن التقاء طرف اللسان من مستدقه، الذي يأخذ شكلاً دائرياً مع أصول الثنايا، حتى تُواصل حافة طرفه مُلامَسة أصول الأنياب فالضواحك حتى نهاية الطرف، وترى أغلب الدراسات أنه يترك جانبا من الفم مفتوحا، منه

يصدر الصوت متوسطا غير انفجاري، هذه الهيئة نفسها حين إمعان النظر فيها نجدها الشكل : (**ل**)، عينه الذي أتمَّت الكتابة العربية ملامحه وانحناءاته المناسبة لإنتاجه .

فيكون اللام بدوره صوتاً عكَس رسمُه هيئة حدوثه، ولم ينقط فلا انفجار فيه، ولا رطوبة زائدة، ولا نظير له رسماً يُخشى اختلاطه به.

النـــون(ن):

صوت لثوي، تطور شكله عن الكتابات القديمة التي كانت قد اشتقته من الأفعى أو الحنش، كما أنّ شعوبا أخرى صاحبة ديانات سماوية اشتقته من معنى الحوت أو السفينة، ثم مالت به النبطية نحو التجريد، مُحافظة في الوقت نفسه على ملامح الرسم القديم، لكنها راعت طبيعة الوصل في كتابتها، والعربية أخذته عنها وهذبت رسمه الذي كان مجرد زوايا بين قائمة ومنفرجة، إلى خط تحكمه قواعد الدائرة، وأيضا تصرَّف فيه الناقط مراعاة لحدثه الصوتي، كي يميزه عن شبيهاته أول وسط الكلمة.

فالنون — عند إنتاجه – يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، مجمِّعا ضغطه على الثنيتين أكثر من الرباعيتين، ويتصل باقي طرفه بمساحة أقل من مساحة اللام، إذ لا يبلغ الضاحك، مع تجمع دوران الهواء في التجويف الأنفي عند إصداره وعدم مفارقته إلا عند ابتعاد طرف اللسان عن الثنايا، فينطلق الهواء من الفم والأنف معاً.

فشكل التقاء اللسان (طرفه) بأصول الثنايا يكون كالتالي:(ﺒ) ثم نُقط الرسم لما فيه من ضغط علوي خاص بنقطة واحدة.(**ن**).

كما أن هذا الرسم عند المتصوفة يبرهن على نصف دائرة الكون الظاهر لنا والذي نعلمه، والنقطة هي مركز دائرته، وهي الدالة على وجود نصف ثان غائب عن أعيننا، وهو تتمة دائرة النون، التي تصبح : ⊙ ، وتمثل الكون ما نعلم منه وما لا نعلم.

الميم (م):

صوت شفوي، به غنّة كالنون، لكنها أقل منها قوة، وشكله الدائري هذا الذي يأخذ السّطر قاعدة له يعبر عن ضم الشفتين، واستدارتهما:(o).

وقد كان رسم الميم في الثمودية هكذا:(𐤌)، واحدا من صور كتابتهم له، ولطالما عُبّر عنه بحيّز مغلق بأشكال مختلفة حتى في نقوش العربية البائدة، أما النبطية، فقد كان رسم الميم قبلها مفتوحا غالبا ومسنناً، حتّى قامت في صورها الأخيرة بإغلاقه كي يصل العربية كذلك، وهذبته الأخيرة ليناسب قواعد أصواتها وكتابتها.

الهاء (هـ)

الهاء صوت حنجري مهموس، وهو دفع قوي للهواء مع فتح المجرى نسبيا بين الوترين الصوتين، ويرى ابن سينا أنّ الدّفع والحفز –كما وكيفا – متقارب بين الهاء والهمزة مع اختلافٍ سبَّب اختلاف الصوتين وهو درجة انفتاح المجرى.

عند تتبع تطور رسم الهاء نجده منذ القرن الثامن قبل الميلاد يشبه حرف الحاء، وكذلك كان في النبطية أيضاً، وهذا الرسم الذي عرفته العربية له لم تتضح معالمه إلا مع عربية القرن 8م، متى بدأت الدائرة فيها تتضح لتصبح مزدوجة، محافظة على الدائرة أينما كان موقع الحرف.

ولو كان العرب قد عرفوا ما تقدمه الآلة اليوم من صور الحنجرة عند آداء هذا الصوت وحال الوترين الصوتين فيها، لقلنا هو رسم ينقل مباشرة هيئة الحدوث تلك، لكن هذا الرسم **هـ**، يعبر أيضا بشكل ما عن استمرار دوران الهواء(𐤄) (𐤄): في الجهاز مع هذا الصوت.

الواو(و):

صوت شفوي، وقال عنه الخليل جوفي، فهي هاوية في الهواء، لا تنتسب لنقطة بعنيها كما يعتقد، وهي تستمر برأيه ما بين الشفتين، فتَبرز حال الشفتين المستديرة عند نطق الواو، وهي مفتوحة المجرى وسطاً إذا ما قورنت بالميم، وجزؤها النازل عن السطر، ضروري لرسم الحرف، ليس كالميم التي لا يظهر فيها إلا بنهاية الكلمة، فهو يعتمد أساسا على شكل الدائرة فيه وأيضا على نزوله عن السطر إلى النصف السفلي من دائرة الحروف.

وقد كان الواو في الثموديّة قديما : (⊙) كالميم لكن مركزها نقة وليس دائرة، مع رسوم أخرى عديدة له، إذ حافظ فيها –غالباً– على الدائرة، وقد كانت النبطية ترسمها له أحيانا، ولم تصبح جزءاً أساسياً ثابتا فيه إلا مع الكتابة العربية القديمة، إذ لم تفارقه وصارت أساساً له.

والدائرة فيه تفسير وضع الشفتين عند إنتاجه دونما شك، ووضع اللسان داخل الفمّ يتحكم أيضاً في إنتاج هذا الصّوت، ليس كالميم، لذلك تناسبه نصف تعريقة النون الملازمة له: .

هذا عن الحروف وعلاقة رسمها بكيفية نطقها، أمّا بالنسبة للملاحظات التي سجلها بحثنا من خلال رحلته مع الحرف العربي فقد كان أهمها:

- من خلال متابعتنا للرسومات التخطيطية المطروحة في كتب علم الأصوات بشكل عام، كان من الواضح تقصيرها في نقل هيئة الصّوت حال إخراجه، بل وضبط مخرجه بشكل صحيح ، فقد كان اللسان في غالبها لا ينقل حاله عند نطق صوت ما، فالرسومات تركز بشكل عام على نقطة الحدوث، دون مراعاة لحجمها أو مداها أو شكلها، وليس القلم بعاجز عن نقل ذلك فلم التقصير؟

- كما أن ظاهرة طغت على الدراسات الصّوتية قديمها وحديثها تُهمل دور الوجنة من الداخل في تردد الصّوت وإنتاجه.
- والأهم من هذا كلّه تحديدهم للمخارج الأمامية للأصوات الانفجارية على أن اللسان يلتقي بطرفه مع أصول الثنايا محكما الإغلاق ثم ينفجر الصّوت، وليس هناك توضيح: كيف يُحبس الهواء بالطرف مع أصول الثنايا وتكون حافة اللسان حتى جذره فاتحة المجرى للهواء؟ فأين يكمن السدّ بالتحديد؟

والأصل –بتجربة بسيطة– أنك تستطيع إدراك ارتفاع حواف اللسان لتساعد نقطة الحدوث على السماح للمخرج للقيام بوظيفتة الانفجارية، أمّا دون حبس من جميع الجوانب فلا مجال لصوت انفجاري أمامي أن يحدث، وهذا في حدود وصف اللغويين الذي يهمل هذا العنصر في الدراسات التي أمكننا التعرف عليها.

نسأل الله التوفيق وسداد الخطى، ونسأله بلوغ الأهداف وقد أعلنا

نِسَا الخالصة لخدمة لغتنا التي سطعت بنور حروف قرآنها.

الطالبة هناء سعداني، الوادي.

2012-03-14

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، (ط:5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979م.)
2) ابن البناء المراكشي، عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تح: هند شلبي، (ط:1، بيروت:دار المغرب الإسلامي، 1990م.)
3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح: جمال الدين محمد شرف، (ط:1، دار الصحابة للتراث بطنطا، 2002م). ج1.
4) ابن الجوزي، تلبيس ابليس (د ط، دار ابن خلدون، د ت) .
5) ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح:محمد حسن محمد حسن إسماعيل، (ط:1، بيروت، لبنان:دار الكتب العلمية، 2000م).
6) ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون (المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر.)، (ط:1، بيروت، لبنان: دار الفكر، 2004م.)
7) ابن سينا، الشفاء، الرياضيات، 3 جوامع علم الموسيقى، تح: زكريا يوسف، (ط:2، جامعة الدول العربية، المجمع العربي، 1984م.)
8) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسن الطيان، يحي مير علم، (ط:1، دار الفكر، 1983م.)
9) ابن سينا، تسع رسايل في الحكمة والطبيعيات، (ط : 2، القاهرة، دار العرب للبستاني، د ت)
10) ابن عربي ، الفتوحات المكية، تح: عثمان يحي، (ط:2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.)
11) ابن عربي، رسائل ابن عربي، تق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط:2، بيروت، لبنا:دار إحياء التراث العربي، 2002م.)
12) ابن مسرة، رسالة الحروف، تح: محمد كمال جعفر، (مصر: مكتبة دار العلوم، 1978م.)
13) ابن منظور، لسان العرب، 2311/4، (طبعة دار المعارف) .

14) أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله: عدنان درويش، محمد المصري، (ط:2، بيروت، لبنان:مؤسسة الرسالة، 1998م.).
15) أبو الحسن الحرالي، تفهيم معاني الحروف، ضمن رسالتان في سر الحروف ومعانيها، المسماة مواد الكلم في ألسنة جميع الأمم، تح: عبد الحميد صالح الحمدان، (دط، المكتبة الأزهرية للتراث، دت.)
16) أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، وضع حواشيه، خليل المنصور، (د ط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2001 م)
17) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المحكم في نقط المصحف، تح : عزة حسن، (ط:2، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1997م)
18) أبو منصور محمد بن احمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1(الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1997م.)
19) أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف ، تح: محسن مهدي، (ط:3، بيروت، لبنان: دار المشرق، 2004م).
20) أبو نصر الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة، (القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دت.)
21) أحمد بن البناء المراكشي، عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل، تح:هند شلبي، (ط:1، بيروت، لبنان، دار المغرب الإسلامي، 1990م)
22) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، (ط:8، بيروت، لبنان: دار المعرفة، 2004م.)
23) أحمد ديكقور، شرح مراح الأرواح، (دط، اسنطنبول، دار الطباعة العامرة، 1885م)
24) أحمد زرقة، أسرار الحروف (أصول اللغة العربية)، (ط : 1، دمشق، دار الحصاد للنشر والتوزيع، 1993.)
25) أحمد فارس الشدياق ، الساق على الساق فيما هو الفرياق، (دط، باريس، 1855م.)
26) أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، (ط:2، دمشق:دار الفكر، 2003م.) .
27) أحمد محمد قدور ، مدخل إلى فقه اللغة العربية، (ط:3، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2003م.)
28) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، (ط:2، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1999م.)

29) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (القاهرة:عالم الكتب، 1991م.)

30) أحمد مطلوب، الأرقام العربية ، (ط:2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983م).

31) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج1، تق: عليوش عبود، (الجزائر:موفم للنشر، 1992م.)

32) أرثور سعدييف، توفيق سلوم، الفلسفة العربية الإسلامية (ط :1 ، بيروت، لبنان، دار الفارابي، 2000م)

33) أندريه مارتينيه، وظيفة الألسن وديناميتها، تر: نادر سراج، (ط:1، بيروت، لبنان:دار المنتخب العربي، 1996م.)

34) إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم، (ط:1، بيروت:دار صادر، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، طرابلس: جروس برس، 2003م).

35) برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، (ط:2، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1994م.)

36) بروكلمان، فقه اللغات السامية، تر: رمضان عبد التواب، (السعودية: جامعة الرياض، 1977م.)

37) بسام بركة، علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربية)، (د ط، لبنان، مركز الإنماء القومي، دت)

38) تمام حسَّان . اللُّغة بين المعيارية والوصفية، (المغرب: الشركة الجديدة ، دار الثقافة، دت.)

39) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (المغرب:دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1986م.)

40) التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، (دط، الجزائر:دار الوعي للنشر والتوزيع، 2008م)

41) ثلاثة كتب في الحروف للخليل بن أحمد وابن السكيت والرازي، تح: رمضان عبد التواب ، (ط:2، القاهرة:مكتبة الخانجي، 1995م.).

42) جان جاك روسو، محاولة في أصل اللغات، تح : محمد محجوب، نقد : عبد السلام المسدي، (د ط، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، الدار التونسية للنشر، 1986 م)

43) جان كانتينو ، دروس في علم أصوات العربية، تر:صالح القرمادي، (الجامعة التونسية، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، 1966م.)

44) جرجي زيدان . الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، (ط:1، بيروت، لبنان:دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م.)

45) جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جم قد : عادل سليمان جمال، ج2، (ط:1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2003م).

46) حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، (ط:1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2007م.)

47) حاتم صالح الضامن، علم اللغة، (الموصل: مطبعة التعليم العالي، 1989م.).

48) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1:(الدولة العربية في مصر والمغرب والأندلس 622-749م) ، (ط:14، بيروت:دار الجيل، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1996م.)

49) حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، (ط:2، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، 1990م.)

50) حسن ظاظا، اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، (ط : 2، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، 1990 م)

51) حسن عباس ، خصائص الحروف العربية ومعانيها، (دط، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1998م.)

52) حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، (ط:1، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.)

53) خالد بلقاسم، الكتابة والتصوف عند ابن عربي، (ط:1، المغرب، دار توبقال للنشر ، 2000م.)

54) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج1، (سلسلة المعاجم والفهارس.)

55) رحاب عكاوي، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري صانع النحو وواضع العروض، (ط : 1، بيروت، لبنان، دار الفكر العربي، 2003م)

56) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، (ط:3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997م.)

57) روني غينون، أسرار حرف النون، تر: فاطمة عصام صبري، مجلة الباحثون: ع: 56 نشاط 2012م

58) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر.(دط، مكتبة الشباب، 1975م.)

59) سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، (ط:1، القاهرة: عالم الكتب، 2000م.)

60) سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، (ط:1، عمان: دار وائل للنشر، 2003م.).

61) سهل التستري، رسالة الحروف، تح : محمد كمال جعفر ، (مصر: دار المعارف، 1974م.)

62) سيبويه، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، ج4، (بيروت:دار الجيل، دت.).

63) السيد أحمد عبد الغفار، الكلمة العربية كتابتها ونطقها، ج2 (النطق) (ط:2، دار المعرفة الجامعية، 2006م.).

64) السيرافي أبي سعيد، ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، تح:صبيح التميمي، (دط، باتنة، الجزائر:دار الشهاب للطباعة والنشر، دت.).

65) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، (ط 3، القاهرة، مكتبة دار التراث، د ت)

66) الشيخ عبد الباقي مفتاح، ضمن "التصوف الإسلامي المقارن وتأثير الحضارة الإسلامية في الغرب مع بحوث أخرى"، ص: 47، مخطوط ملك صاحبه.

67) صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة، (ط : 14، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 2006 م)

68) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، (ط:2، بيروت، لبنان:دار الكتاب الجديد، 1979م.) .

69) طالب عبد الرحمن، نحو تقويم جديد للكتابة العربية، (ط:1، الدوحة:وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999م) كتاب الأمة.

70) عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، (ط:6، دار المعارف، دت.)

71) عباس محمود العقاد، ا للغة الشاعر، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م.)

72) عبد الباقي مفتاح، المفاتيح الوجودية والقرآنية لكتاب فصوص الحكم لابن عربي، (دط، بيروت، دار البراق للنشر والتوزيع، 2005م.)

73) عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي، (الجزائر:دار هومة، 2003م.)

74) عبد الجليل مرتاض، دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، (الجزائر:دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م.).

75) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، (د ط، الجزائر، موفم للنشر، 2007 م).

76) عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، (ط:1، دمشق:دار الفكر، 2000م)

77) عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، (ط:1، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2009م)

78) عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، (مطبعة هندية بالموسكي بمصر، 1915م.)

79) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، (ط:1، عمان: دار صفاء، 1998م.)

80) عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، (الأردن: الأزمنة، 1998م.)

81) عبد الكريم الجيلي، الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، (دط، دد، دت.)

82) عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، فقه اللغة العربية، (ط:1، عمان، الأردن:دار أسامة للنشر، 2004م.)

83) عبد الله العلايلي ، مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد، (دط، مصر دار المطبعة العصرية، دت.)

84) عبده الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها (ط : 4، بيروت، دار صادر، 1965 م) .

85) عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية، (الفنولوجيا)، (ط:1، بيروت، لبنان: دار الفكر اللبناني، 1996م.)

86) عفيف البهنسي، فن الخط العربي، (ط:2، دمشق، سورية:دار الفكر، بيروت، لبنان:دار الفكر المعاصر، 1999م.)

87) علاء جبر محمد، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، (ط : 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006 م)

88) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، (ط:1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، 1986م)

89) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، (دط، دار نهضة مصر للطبع والنشر، دت.)

90) غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، (ط : 1، الجمهورية العراقية، 1982 م)

91) غانم قدوري الحمد، الميسر في علم التجويد، (ط:1، جدة، مركز المعلومات والدراسات القرآنية، 2009م.)

92) فندريس ، اللغة، تع : عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص (د ط، د د، د ت)

93) فولفد يتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، تر: سعيد حسن بحيري، (ط:1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2002م.)

94) فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي (الطريق والرجال)، (د ط، مكتبة سعيد رأفت، 1983 م) .

95) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، (القاهرة: المطبعة الأميرية، 1914م.).

96) كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، تر : رمضان عبد التواب (د ط، المملكة العربية السعودية، نشر جامعة الرياض، 1977 م).

97) كمار بشر، علم الأصوات، (القاهرة:دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.).

98) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، (ط : 9، دار المعارف ، 1986 م) .

99) كوليزار كاكل عزيز، دلالات أصوات اللين في اللغة العربية ، (ط:1، عمان، الأردن: دار دجلة، 2009م.) .

100) محمد أديوان، الصوت بين النظرين الفلسفي واللساني، (ط:1، الرباط، دار الأمان ، 2006م.)،

101) محمد بن سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.)

102) محمد حسام الدين إسماعيل، الكتابات العربية حتى القرن السادس الهجري، (ط:1، القاهرة:دار القاهرة، 2002م.)

103) محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، (الجزائر: دار الهدى، دت.)

104) محمد فتح الله الصغير، الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية ، (ط:1، الأردن:عالم الكتب الحديث، 2008م.)
105) محمود فهمي حجازي، علم اللّغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دت)
106) محمود فهمي حجازي، اللغة العربية عبر القرون، (القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968م.)
107) محي الدين عبد القادر الجيلي، سر الأسرار ومظهر الأنوار (د ط : المطبعة البهية المصرية، د ت) .
108) مختار الغوث، لغة قريش، (ط : 1، الرياض، دار المعارج الدولية للنشر، 1997 م)
109) مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، خلفيات وامتداد، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2007م.).
110) ناجي زين الدين، مصور الخط العربي، (ط:3، بغداد:مكتبة النهضة، بيروت:دار القلم، 1980م.).
111) نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، تق: عبده الراجحي، (ط:1، الاسكندرية:دار الوفاء، 2006م.).
112) نعيم علوية، بحوث لسانية، بين نحو اللسان ونحو الفكر، (ط:2، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1986م)
113) هيام كريدية، الألسنية الفروع والمبادئ والمصطلحات، (ط:2، بيروت، لبنان، د د، 2008م.)
114) وفاء زيادة، محاضرات في الأصوات العربية، (دط، القاهرة:دار الهاني للطباعة، دت).
115) يحي عبابنة، دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، (ط:1، عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2000م.)
116) يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية ، (ط:1، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1994م.)

المراجع الأجنبية:

117) EDGAR, H. Sturtevant, An introduction to linguistic. Science (Landon. Geoffrey Cumberlege. Oxford university Press)

118) Josiane Boutet. Langage et societe,(paris,France:mémo seuil,1997)

119) René guénan,symboles de la sience sacrée. (France:editions gallimard,1962),

120) Roger D. Woodard, The Ancient Languages of Syria – Palestine and Arabia ,(Cumberlege university, Press:2008).

121) Steven Roger fisher, A History of Writing,(London,published byreqktion books ltd,2001).

المخطوطات:

122) عبد الباقي مفتاح، التصوف الإسلامي المقارن، (نصوص مترجمة، لروني غينون)، (مخطوط ملك صاحبه).

123) عبد الباقي مفتاح، شروح تساعد على فهم الباب الثاني من الفتوحات (مخطوط ملك صاحبه).

المقالات:

124) روني غينون، أسرار حرف النون، تر: فاطمة عصام صبري ومجلة التراث العربي، إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ع:44، تموز1991م.

الفهـــــارس:

1) فهرس الأشكال.

2) فهرس الجداول.

3) فهرس الموضوعات.

1) فهرس الأشكال:

رقم الشكل: عنوانه: رقم الصفحة

1. نموذج لكتابة الإنسان في الدور الصوري.....16
2. الكتابة المسمارية.....24
3. الخطوط العربية الشمالية المبكرة 37
4. نص نقش النمارة.....41
5. الخط العربي القديم في المصحف المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب....45
6. الحنجرة.....72
7. الوتران الصوتيان.....73
8. لسان المزمار.....74
9. رسم يوضح عضو اللسان.....75
10. اللهاة في وضع الراحة والارتفاع.....76
11. الأسنان العلوية والسفلية.....78
12. رسم يوضح موضع الحجرة الأنفية.....79
13. الشفتان في بعض وضعيات الحركة.....79
14. هيئة إنتاج الهمزة.....106
15. مراحل إنتاج الهمزة.....107
16. هيئة الجهاز النطقي عند إنتاج الباء.....111
17. هيئة الشفتين عند إنتاج الباء.....112

18. هيئة إنتاج التـــــــاء.....114
19. مجال اتصال اللسان بسقف الحنك الأعلى ونقاط ضغط العضلتين الجانبيتين.....115
20. هيئات إنتاج الثاء.....118
21. كيفية خروج الهواء بين الأسنان واللسان عند إنتاج الثاء.....118
22. هيئة إنتاج اليـــــاء.....121
23. نقطة حدوث الياء.....122
24. الفاء كما وصفها ابن سينا.....124
25. هيئة إنتاج الفـــــــــاء.....125
26. هيئة إنتاج الجيم كما يصفها ابن سينا.....127
27. هيئة الممر بين اللسان والغار.....129
28. هيئة الأسنان عند إنتاج الجيم.....130
29. هيئة إنتاج الحـــــــاء.....132
30. هيئة إنتاج العـــــــين.....135
31. هيئة إنتاج الخـــــــــــاء.....139
32. هيئة إنتاج الغـــــــين.....142
33. هيئة إنتاج الدال.....145
34. الفرق بين مخرج الدال والتاء.....146
35. هيئات إنتاج الذال.....149
36. هيئة إنتـــــــــاج الراء.....152
37. مجال الراء بين اللسان والحنك الأعلى.....153
38. هيئة إنتاج الزاي (الزاء).....156

39. وضع اللسان عند إنتاج الراء وإنتاج الزاي.....156
40. هيئة إنتاج السين.....158
41. هيئة إنتاج السين كما يصفها تمام حسان.....159
42. وضع اللسان والأسنان عند إنتاج السين.....160
43. هيئة إنتاج الشين.....163
44. الاحتكاك والرطوبة في الشين.....164
45. هيئة إنتاج الصـــــــــاد 166
46. هيئة اللسان مع الصاد.....166
47. هيئة إنتاج الضاد.....170
48. اللسان حال إنتاج الضاد.....171
49. هيئة إنتاج الطاء.....173
50. حال اللسان عند حدوث الطاء.....173
51. هيئة إنتاج الظـــــــــاء.....176
52. هيئة إنتاج القـــــــــاف.....179
53. هيئة إنتاج الكاف.....183
54. اللسان حال إنتاج الكاف.....183
55. هيئة إنتاج اللام.....187
56. مساحة التقاء اللسان بالحنك الأعلى كما وصفها سيبويه.....188
57. بصمة اللسان على اللثة مع اللام.....188
58. هيئة إنتاج النون.....191
59. مقارنة بين مخرج اللام والنون.....192
60. هيئة إنتاج المـــــــيم.....194

61. هيئة الشفتين مع الميم.....195
62. هيئة إنتاج الهـــــــاء.....199
63. هيئة الوترين الصوتين عند إنتاج الهاء.....200
64. هيئة إنتاج الواو.....202
65. هيئة الشفتين عند إنتاج الواو.....203

2) فهرس الجداول:

رقم الجدول عنوانه رقم الصفحة

1. أنواع الخط الهيروغليفي..... 21
2. الحرف الهيروغليفي، معناه والصوت الذي يوازيه.....22
3. الحروف اللأوغريتية وما يوازيها من كتابة صوتية.....28
4. رموز الكتابة الفينيقية 29
5. تطور الخط العبري 31
6. رموز الكتابة الآرامية(الصوامت).....33
7. يمثل رموز الصوائت في الكتابة الآرامية.....33
8. رموز الحروف العربية من خلال النقوش القديمة.....42
9. تطور حروف الخط العربي من النبطي إلى النسخ الحديث 43
10. الحروف العربية قبل أن تنقط.....53
11. الحروف العربية سبب نقطها وعلة عدد نقاطها. 56
12. صورة الحرف العربي منفردا، وفي أول الكلمة، في وسطها، وفي آخرها.....57
13. مخارج الأصوات بين القدامى والمحدثين.....82
14. جدول حساب الجمَّل.....92

3) فهرس الموضوعات :

العنوان **الصفحة**

إهـــــــداء..... **د**

شكر وعرفان.....**هـ**

المقدمة.....**و– ك**

تمهـــيد.....**12–17**

الفصل الأول: تطـــور الحرف العربي:.....**18**

توطئة :.....20

I. أصول الخط العربي.....25

II. العرب والكتابة قبل الإسلام.....35

III. الشكل النهائي للحروف العربية: 44

IV. بين الحرف والصوت:.....61

V. الصّوت اللّغوي، جهازه، مخارجه، صفاته :.....70

VI. أسرار الحرف عند المتصوفة :.....88

الخلاصة 96

الفصل الثاني: علاقة صوت الحرف برسمه.....**98**

توطئة 100

حرف الهمزة، الألف:(ء -أ).....105

حرف الباء (ب).....110

حرف التاء (ت).....113

حرف الثاء (ث).....117

حرف الياء (ي).....119

حرف الفاء (ف).....123

حرف الجيم (ج).....127

حرف الحاء (ح).....132

حرف العين (ع).....134

حرف الخاء (خ).....138

حرف الغين (غ).....141

حرف الدال (د).....144

حرف الذال (ذ).....148

حرف الراء (ر).....151

حرف الزاي (ز).....155

حرف السين (س).....158

حرف الشين (ش).....162

حرف الصاد (ص).....165

حرف الضاد (ض).....168

حرف الطاء (ط).....172

حرف الظاء (ظ).....175

حرف القاف (ق).....177

حرف الكاف (ك).....182

حرف اللام (ل).....186
حرف النون (ن).....190
حرف الميم (م).....193
حرف الهاء (هـ).....197
حرف الواو(و).....201

الخلاصة:.....205

الفصل الثالث: معاني الحروف العربية عند اللغويين والمتصوفة.....207

توطئة: 210

معاني الهمـــــزة (ء) والألف عند اللغويين والمتصوفة:.....213

معاني الهــاء (هـ) عند اللغويين والمتصوفة:**.....223**

معاني العين عند اللغويين والمتصوفة.....228

معاني الحاء عند اللغويين والمتصوفة.....231

معاني الخاء عند اللغويين والمتصوفة.....234

معاني الغين عند اللغويين والمتصوفة:.....237

معاني القاف عند اللغويين والمتصوفة:.....239

معاني الكاف عند اللغويين والمتصوفة:.....241

معاني الضاد عند اللغويين والمتصوفة.....243

معاني الشين عند اللغويين والمتصوفة.....246

معاني الجيم عند اللغويين والمتصوفة.....248

عاني الياء عند اللغويين والمتصوفة:.....251

معاني اللام عند اللغويين والمتصوفة:.....254

معاني الراء عند اللغويين والمتصوفة:..... 257

معاني النون عند اللغويين والمتصوفة.....260

معاني الطاء عند اللغويين والمتصوفة:.....266

معاني الدال عند اللغويين والمتصوفة: 268

معاني التاء عند اللغويين والمتصوفة:.....271

معاني الصاد عند اللغويين والمتصوفة:.....273

معاني الزاي عند اللغويين والمتصوفة:.....276

معاني السين عند اللغويين والمتصوفة:.....278

معاني الظاء عند اللغويين والمتصوفة:.....281

معاني الذال عند اللغويين والمتصوفة:.....283

معاني الثاء عند اللغويين والمتصوفة:.....285

معاني الفاء عند اللغويين والمتصوفة:.....288

معاني الباء عند اللغويين والمتصوفة:.....291

معاني الميم عند اللغويين والمتصوفة:.....295

معاني الواو عند اللغويين والمتصوفة:.....299

الخلاصة.....302

الخاتمة.....304

قائمة المصادر والمراجع.....322

الفهارس.....332

فهرس الأشكال.....333

فهرس الجداول.....337

فهرس الموضوعات 338